أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2015/06/07 – الموافق لـ 20 شعبان 1436
السنة 37 العدد 9941
Sunday 07/06/2015
37th Year, Issue 9941

العرب الأسبوعي

alarab.co.uk

وجوه

ص 7 » وجوه السكان الأصليين
خرائط الشرق القديم الحديثة
ص 8 » عبداللطيف اللعبي
الكتابة بصيغة الاعتقاد
ص 9 » غياث الأخرس
الفنان الذي يخترع سوريا تشبهه
ص 10 » فرقة الطريق
دروب الشجن العراقي الطويلة

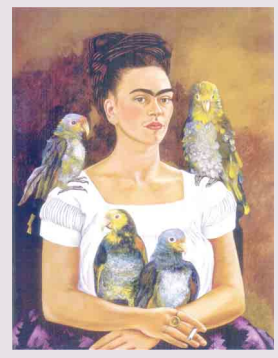

الثقافي

سلمى الخضراء الجيوسي: نثر النوادر والمقامات والأساطير العربية
سامي مهدي: الشاعر والقصيدة
عاصم الباشا: أرض في نهاية الوادي
بدر الدين عرودكي: قصص الفوتوغرافي دومينيك بوديس
تحسين الخطيب: فريدا كالو المرأة الشريط الملتف حول قنبلة
سناء بلحور: ديناميكية الفشل
أمير العمري: السينمائي باولو سورنتينو: شاعر الجمال العظيم
ص 11 إلى 16 »

أردوغان.. حان وقت الحساب

● حزب العدالة والتنمية يدفع ثمن أخطاء «السلطان»

❑ **أنقرة** – تتجمع مؤشرات كثيرة تؤكد أن حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا سيكون ضحية لمواقف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان المثيرة للجدل سواء تلك المتعلقة بالملفات الداخلية أو الخارجية.

وقطع أردوغان الطريق على حزبه لعقد تحالفات مستقبلية في البرلمان الذي ستفرزه الانتخابات التشريعية التي تجري اليوم، مما فتح الباب لأن يصبح الرئيس التركي هدفا لكل الأحزاب التي شخصت في حملاته أخطاء أردوغان، والطريقة المتعالية التي اتبعها في تحقير الخصوم، وشيطنتهم، والاستهانة بإمكانياتهم.

ودفعت مواقف أردوغان الأخيرة الأكراد الذين يتوقع أن يكونوا رقما مهما في البرلمان الجديد، إلى أن يميلوا إلى صف المعارضة رغم وعود أطلقها الرئيس التركي بتقديم حزمة من القرارات لفائدتهم.

ويمسك خصوم أردوغان عليه ملفات كثيرة يمكن أن تقود لإثارة الشارع ضده، وإفشال خطته لتغيير الدستور وترتيب سيطرته على الحكم لدورتين رئاسيتين قادمتين.

أول الملفات هو ملف الفساد وتوظيف المال العام في صناعة المجد الشخصي، وأبرز مظهر على ذلك هو القصر الجديد الذي يضم حوالي ألف غرفة، وكلف تركيا 490 مليون يورو.

وسجلت منظمة الشفافية الدولية تراجع تركيا بشكل حاد في مؤشرات النزاهة المالية وارتفاع معدل الفساد، مما تسبب في رفع ترتيبها على مؤشر المخاطر الاقتصادية، ليصل إلى 209 نقطة بعد أن كان 172.

وأصبح الفساد عنوانا للحكومة التركية في السنتين الأخيرتين خاصة بعد فضائح طالت وزراء من الحزب الحاكم وأبناءهم، فضلا عن الاتهامات التي وجهت لبلال نجل أردوغان الذي ارتبط بأكثر من فضيحة مستفيدا من وجود والده بالسلطة.

ولا يخفي المعارضون قناعتهم بأن الديمقراطية التركية أصبحت في خطر في ظل سعي أردوغان إلى ملاحقة معارضيه وإخضاع جميع المنظومات المختلفة في الدولة لإمرته وخاصة مؤسستيْ القضاء والأمن إضافة إلى وسائل الإعلام.

وزاد صراع أردوغان مع حليفه السابق وخصمه القوي فتح الله غولن في خسارة حزب العدالة والتنمية لثقة فئات كثيرة ذات ثقل بالدولة مثل القضاة ورجال الأمن، فضلا عن الشبكات الكبيرة والمعقدة لحركة الخدمة التي أرساها غولن وتضم طلابا ومدرسين وخريجين بالآلاف يسيطرون على مواقع حساسة بالدولة.

وكان الرئيس التركي قد صنع لنفسه مأزقا يتوقع أن يسهم بشكل كبير في تراجع شعبية الحزب الحاكم في انتخابات اليوم، من خلال مواجهة آلاف الشباب في أحداث ميدان تقسيم.

ونجمت تلك المواجهة عن محاولة أردوغان ممارسة الوصاية عليهم والتدخل للتضييق على حرياتهم.

وكان 3.5 مليون تركي وفقا للأرقام الرسمية للشرطة، تظاهروا ضد أردوغان في كافة أنحاء تركيا خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من يونيو 2013.

وما يثير غضب الأتراك أكثر على رئيس الوزراء السابق، والرئيس الحالي الذي يريد استعادة "المجد العثماني"، أنه ورط تركيا في صراعات خارجية أثرت على مصالح تركيا وشلت حركة دبلوماسيتها في جلب الاستثمارات والسياح إلى البلاد.

وأنهى أردوغان الاستثمارات التركية في سوريا بجرة قلم بعد أن تبنى خيار الإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد، وسمحت حكومته بتسلل مئات المقاتلين الأجانب إلى سوريا، وأغمضت الأعين عن تسلل الأسلحة والأموال إليهم.

وعمل رئيس الوزراء التركي وقتها على أن يتزعم حملة إسقاط الأسد ليبدو كقائد لموجة "الربيع العربي" التي دفعت بالإخوان نحو كراسي السلطة في أكثر من بلد، دون أن يقرأ حساب مصالح تركيا وأمنها القومي.

وكرر الخطأ ذاته بالرهان على إخوان مصر ومهاجمة الثورة الشعبية التي أطاحت بحكمهم في 30 يونيو 2013، وهو ما جعله في حالة عداء مع مصر ودول الخليج، وأفقد تركيا فرصا اقتصادية وسياحية كبيرة، فضلا عن انحسار تأثيرها الدبلوماسي في المنطقة.

وقال متابعون للشأن التركي إن استطلاعات الرأي، التي عرضتها وسائل إعلام محلية بالتزامن مع الحملات الانتخابية لمرشحي الأحزاب والمستقلين، أكدت تخوفات أردوغان وحزبه من أن شعبيتهما تراجعت بسبب مخاوف الأتراك من أن تؤثر سياسات الرئيس المهووس بالزعامة على استقرار تركيا التي قد تصبح هدفا لعمليات انتقامية سواء من موالين للأسد أو من جماعات متشددة دعمتها الحكومة التركية ثم انقلبت عليها استجابة لضغوط خارجية.

وتسود أوساط العمال والشباب الباحث عن عمل مخاوف من أن تفضي سياسات أردوغان المغامرة إلى الركود الاقتصادي وتوسع دائرة العاطلين عن العمل.

وتحدثت تقارير مختلفة عن أن قائمة الغاضبين اتسعت لتشمل قواعد حزب العدالة والتنمية الممتعضة من أسلوب أردوغان في إدارة الحزب وتوجيهه بالريموت كونترول دون أيّ اعتبار لدور مؤسساته وقياداته وقواعده، وهو الأمر الذي انعكس سلبا على وضع رئيس الوزراء أحمد داود أوغلو في الحزب وأمام الناخبين.

وقال عبدالقادر سلوي الكاتب التركي الموالي للعدالة والتنمية في صحيفة "يني شفق" إن الكثير من ناخبي الحزب "ليسوا متأكدين من تصويتهم لصالحه".

أنصار حزب الشعوب الديمقراطي الكردي.. هل يكون دورهم محددا في هزيمة حزب أردوغان

وأضاف أن "تركيا قد تواجه احتمال الاستيقاظ صباح الثامن من حزيران على ائتلاف.. كنا (العدالة والتنمية) معروفين بالتواضع. الآن يذكروننا لعجرفتنا".

ويحتاج حزب العدالة والتنمية إلى 330 مقعداً (60 في المئة) لإقرار التعديل الدستوري في البرلمان وإحالته إلى استفتاء شعبي، وإلى 367 مقعداً (ثلثي عدد المقاعد) لإقرار التعديل الدستوري في البرلمان من دون الحاجة إلى استفتاء شعبي.

ونشرت صحيفة تايمز موضوعا تحت عنوان "يجب تحجيم السلطان أردوغان".

وقال الصحفي روجر بويز إن من مصلحة الغرب ألا يتمكن أردوغان بشكل كامل من تعزيز سيطرته الشخصية وسيطرة حزب العدالة والتنمية الذي يتزعمه على الحياة السياسية في تركيا.

وأضاف بويز أن أردوغان الذي يقارنه كثيرون بالسلاطين العثمانيين يحاكم أحد قادة المعارضة لأنه زعم أن الرئيس التركي بنى حمامات مطلية بالذهب في القصر الرئاسي الجديد، لافتا إلى أن هذا هو ما يحدث عندما يبقى شخص واحد في السلطة فترة طويلة فتتحول كل الانتقادات إلى خلافات شخصية لا أكثر ولا أقل.

وتحدث عن الخلافات بين الغرب وتركيا حول الوضع في سوريا والشرق الأوسط بالإضافة إلى ما يسميه بتضييق الرقابة على تويتر ويوتيوب وغيرها من المواقع ليخلص إلى أنه ليس من مصلحة الغرب أن يحصل أردوغان على مبتغاه من الانتخابات البرلمانية.

إعلان النوايا: انتصار جعجع ومأزق عون
أحمد عدنان
ص 4 »

اللاذقية وحماة في مرمى المعارضة السورية

❑ **بيروت** – يبدو أن مصير الرئيس السوري بشار الأسد لم يعد بيده، وأن الآلاف من الحرس الثوري والميليشيات الشيعية العراقية واللبنانية والأفغانية والباكستانية غير قادرة على وقف انهيار قواته على مختلف الجبهات، وخاصة الجبهة الشمالية الغربية حيث تتقدم المعارضة بشكل يضع اللاذقية وحماة تحت رحمتها.

وتدفع إيران باتجاه عقد معاهدة أمنية مع الأسد تسمح لها بالتدخل العسكري في سوريا متى أرادت في ما يشبه نظام الحماية الذي فرضه الاستعمار الغربي في القرن الماضي.

وما يربك حسابات النظام أن المعارضة المسلحة تتجه رأسا لمحاصرة الجيب العلوي الذي قد يلجأ إليه الأسد كخيار أخير. وعزز مقاتلو المعارضة وجودهم عند تخوم محافظتي اللاذقية وحماة، بعد السيطرة على عدد من القرى وتجمع عسكري كبير إثر معارك استغرقت أربعا وعشرين ساعة مع قوات النظام.

وسيطر "جيش الفتح" فجر السبت، على "معسكر القياسات"، وقرى أخرى، كانت تتمركز فيها قوات النظام السوري على الطريق الواصل بين محافظة إدلب، شمالي سوريا، واللاذقية (غرب).

وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان "تمكنت فصائل جيش الفتح المؤلف من جبهة النصرة وتنظيم جند الأقصى وفيلق الشام وحركة أحرار الشام وأجناد الشام وجيش السنة ولواء الحق، من السيطرة خلال أقل من 24 ساعة على حاجز المعصرة الذي يعد أكبر حواجز قوات النظام المتبقية في محافظة إدلب (شمال غرب)، وعلى بلدة محمبل".

وأسفرت الاشتباكات عن مقتل 13 مقاتلا من الفصائل المقاتلة وجبهة النصرة، و32 عنصراً من قوات النظام والمسلحين الموالين لها.

وأقر الإعلام الرسمي السوري بالتراجع، ونقلت وكالة الأنباء "سانا" عن مصدر عسكري أن "وحدة من قواتنا المسلحة أخلت بعض المواقع العسكرية في محيط بلدة محمبل بريف إدلب وتمركزت في خطوط ومواقع جديدة أكثر ملاءمة لتنفيذ المهام القتالية اللاحقة".

وكانت تقارير كشفت أن "نحو سبعة آلاف مقاتل إيراني وعراقي وصلوا إلى سوريا" أخيرا، وأن من أهداف النظام في المرحلة الحالية استعادة السيطرة على مدينة جسر الشغور.

ومع سقوط مدن جسر الشغور وأريحا وإدلب، مركز المحافظة، خلال الشهرين الماضيين، خرجت محافظة إدلب عمليا عن سيطرة النظام الذي تتوالى خسائره الميدانية منذ فترة على أيدي فصائل المعارضة من جهة وعلى أيدي تنظيم الدولة الإسلامية من جهة أخرى، ولا أمل له إلا في تفعيل الوعود الإيرانية بإنقاذه من المصير المجهول.

صواريخ سكود.. ورقة الحوثيين لتحسين شروط التفاوض قبل جنيف

❑ **صنعاء** – قلل خبراء عسكريون من فاعلية صواريخ سكود في تغيير مسار الحرب في اليمن، لافتين إلى أن هدف الحوثيين والقوات الموالية للرئيس السابق علي عبدالله صالح من إطلاقها هو محاولة تحسين شروط التفاوض قبل بدء لقاءات جنيف.

ولا يعرف على وجه التحديد عدد صواريخ "سكود" التي يمتلكها الجيش اليمني وكم منها بات بحوزة الحوثيين، غير أن السعودية تمتلك ما يكفي من أنظمة الصواريخ الدفاعية التي تبطل فاعلية سكود مثلما حصل مع الصاروخ الذي تم إطلاقه أمس.

وكشف الناطق الرسمي باسم قوات التحالف لدعم الشرعية في اليمن، العميد ركن أحمد عسيري، امتلاك ميليشيات الحوثي والرئيس السابق لما يقارب 300 صاروخ سكود.

وقال إن إطلاقهم لصاروخ واحد بعد مضي 70 يوميا من بدء العمليات العسكرية يدل على نجاح قوات التحالف في تدمير الكثير من الصواريخ التي يمتلكونها، مؤكداً أن قوات التحالف لا تستبعد أن تعيد الميليشيات إطلاق صواريخ، لكن قوات الدفاع الجوي السعودي في أتم جاهزيتها للتصدي لهذه الصواريخ.

وأسفرت المعارك التي تلت هذا الهجوم صباح أمس السبت عن مقتل أربعة عسكريين سعوديين بينهم ضابطان إضافة إلى عشرات القتلى في الجانب اليمني كما أعلنت قيادة التحالف في بيان.

وجاء في بيان لقيادة القوات المشتركة أن القوات المسلحة السعودية تمكنت من صد هجوم على عدة محاور بقطاع جيزان ونجران من الجانب اليمني "اتضح أنه منسق ومخطط ومنفذ من قبل تشكيل للحرس الجمهوري" التابع لقوات الرئيس السابق وبمساندة من ميليشيا الحوثي.

وردا على ذلك قصفت الطائرات الحربية لقوات التحالف العربي مواقع عسكرية عدة وكذلك مواقع للمتمردين في شمال اليمن بما في ذلك العاصمة صنعاء.

واستهدفت الغارات مخازن للأسلحة والذخيرة في جبل نقم وفج عطان والنهدين وهي ثلاث تلال مطلة على صنعاء تعرضت لهجمات مرارا في السابق، وكذلك مقر قيادة القوات الخاصة ما أدى إلى انفجارات عنيفة هزت العاصمة صنعاء بحسب شهود عيان.

وأفاد شهود عيان أن طيران التحالف استأنف قصف مخازن الأسلحة التابعة لميليشيات الحوثي والرئيس السابق في معسكر الحفا جنوب شرق صنعاء كما شوهد تحليق كثيف للطيران في سماء صنعاء.

وفي محافظة حجة بشمال اليمن أكد مصدر في السلطة المحلية أن عشرات القتلى والجرحى من ميليشيات الحوثي وقوات الرئيس السابق صالح سقطوا في قصف طائرات التحالف لرتل عسكري في مثلث عاهم الحدودي مع السعودية.

ويأتي هذا التصعيد في وقت وافق فيه الحوثيون الجمعة على المشاركة في محادثات مع الحكومة بجنيف تبعا لمبادرة الأمم المتحدة في مسعى لإنهاء الحرب في هذا البلد الفقير في شبه الجزيرة العربية.

وقال متابعون للشأن اليمني إن الحوثيين يريدون الظهور بمظهر الطرف العسكري المؤثر، وأنهم لا يقبلون التفاوض من موقع ضعف، ومن ثمة يريدون أن يفرضوا شروطهم في الحوار، وهو ما يتناقض مع تعهدات قطعوها في مسقط أو مع وسطاء إقليميين بالاستعداد للانسحاب من المدن والعودة إلى ما قبل السيطرة على صنعاء في 21 سبتمبر الماضي والاحتكام إلى المبادرة الخليجية كأرضية للحل السياسي.

ولم يحدد أيّ موعد رسمي لمحادثات جنيف، لكن بحسب دبلوماسيين في نيويورك فإنها ستبدأ في 14 يونيو. والهدف منها وقف إطلاق النار ووضع خطة انسحاب للمتمردين من المناطق التي سيطروا عليها.

«الحكيم».. ومعالجة ميشال عون
خيرالله خيرالله
ص 5 »

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWETZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الأوروبيون سيدفعون ثمن اختلافهم حول الشرق الأوسط

دانيال كافشينسكي: ليبيا مصنع مثالي لمقاتلي الدولة الإسلامية

أكّد النائب دانيال كافشينسكي أن ليبيا من الملفات التي تحتل أولوية على قائمة أهدافه التي قرر من أجلها الترشح لمنصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس العموم البريطاني (البرلمان)، وقال كافشينسكي في حوار مع "العرب ويكلي"، إن الربيع العربي خيب الآمال وانعكس سلبا على الدول التي اندلع فيها وعلى المنطقة بأسرها.

توم دينهام

□ في يناير 2011 زار عضو البرلمان البريطاني عن حزب المحافظين، دانيال كافشينسكي، تونس ضمن وفد رسمي حينما كانت البلاد تستعد لصناعة التاريخ. ويتذكر كافشينسكي أجواء تونس التي أطلقت الشرارة الأولى لما بات يعرف فيما بعد بـ"الربيع العربي". وتحدث في حواره مع جريدة "العرب ويكلي"، التي تصدر باللغة الإنكليزية، عن تلك الأجواء التي وصفها بـ"الغريبة جدا".

وأضاف قائلا "كان الهدوء يعم الشوارع والميادين، وشعرنا حينها أن شيئا ما على وشك الحدوث، كنا متأكدين أن الأوضاع غير طبيعية فقررنا الابتعاد عن الناس".

وبعد ثلاثة أيام كان على الرئيس التونسي، آنذاك، زين العابدين بن علي مغادرة البلاد وإعلان التنحي عن منصبه بعد 23 عاما في السلطة.

ولم تكن هذه الأحداث هي الأولى، التي يكون كافشينسكي في قلبها وتتغير على إثرها ملامح إقليم بأكمله، فعضو البرلمان البريطاني، الذي ولد في العاصمة البولندية وارسو، كان شاهدا في بلده الأصلي، من قبل على انهيار النظام الشيوعي الذي كان مقدمة لانتهاء الحقبة السوفيتية بأكملها.

ويقول كافشينسكي "أصبحت بولندا دولة مستقلة عام 1989 وبعدها كان بإمكانك مشاهدة جميع دول وسط وشرق أوروبا تتهاوى واحدة تلو الأخرى مثل قطع الدومينو".

وخلال الأيام الأولى لأحداث "الربيع العربي" تسابق المحللون للمقارنة بين ما يجري في العالم العربي وبين ما حدث من قبل في شرق أوروبا، لكن على ما يبدو لم تكن مقارناتهم في محلها.

وكان الأمل يحدو كافشينسكي حينما امتدت الثورة بعد تونس إلى مصر ثم ليبيا "لكن للأسف بتنا نرى موقفا الآن معروفا للجميع".

وقال "بعض البلدان مازالت تقاتل من أجل تحقيق أهداف ثورتها، بينما سوريا ودول أخرى سقطت تحت هيمنة التنظيمات الإرهابية والمتطرفة".

ويرى كافشينسكي أن زعماء أوروبا فشلوا في تشكيل رد فعل موحد تجاه هذه الأحداث، وهو فشل يصر على أن الأوروبيين سيدفعون ثمنه قريبا.

ويقول "التاريخ يعلمنا أن ما حدث في أوروبا حينها كان بعيدا عن الوحدة التي نحتاجها من أجل التفاعل بقوة مع المشكلات التي تفجرت في بلدان جيراننا في منطقة الشرق الأوسط".

ومازال كافشينسكي يعتقد أن بإمكان بريطانيا لعب دور بنّاء في المنطقة، ولا يتمنى أن يرى عودة "دبلوماسية التدمير" التي كانت تعتمدها بلاده في السابق لحل صراعاتها مع الصين ودول أخرى، لكنه يسعى إلى أن تستخدم لندن ثقلها الدبلوماسي في بناء التوافق المطلوب لحل الأزمات التي تعصف بالشرق الأوسط.

وبنى كافشينسكي هذا الثقل الدبلوماسي على علاقات المملكة المتحدة وعضويتها الدائمة في مجلس الأمن التي اعتبرها موقعا متفردا، وأن "الناس سيتطلعون إلينا باستمرار لاستخدام هذا الموقع ومحاولة التعاون مع دول المنطقة وإيجاد حلول لأزماتها".

وليبيا من بين هذه الدول التي يتخوف كافشينسكي من أن غياب الوحدة فيها قد يكون ثمنه باهظا، وهو من بين الملفات التي تحتل أولوية على قائمة أهدافه التي قرّر من أجلها الترشح لمنصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس العموم البريطاني (البرلمان).

وتراقب اللجنة السياسة الخارجية للحكومة البريطانية، وتعمل عن قرب مع فيليب هاموند الذي احتفظ بمنصبه في حكومة حزب المحافظين الجديدة.

وقال كافشينسكي، صاحب كتاب "ليبيا والغرب والربيع العربي"، الذي طرحه قبل أيام من سقوط الزعيم الليبي السابق معمر القذافي، "لا يجب أن نزيل أعيننا من على الكرة وهي تدور"، في إشارة إلى ما يحدث في ليبيا، "لأنني أستطيع أن أرى في ذلك تهديدا كبيرا ليس فقط لأوروبا ولكن للاستقرار العالمي بشكل عام".

ويصف كافشينسكي ليبيا بـ"المصنع المثالي" للدولة الإسلامية، ويدعو إلى عدم إغفال الثروة النفطية هناك وإمكانية استخدامها من قبل التنظيم المتشدد.

ويرى أنه "يجب تشجيع القوى الإقليمية على التدخل ومحاولة الوصول إلى حل لانسداد الأفق السياسي الذي يمثل بيئة حاضنة للتنظيمات المتشددة".

ويستبعد كافشينسكي دخول بلاده في مواجهات عسكرية مباشرة مع المتشددين في ليبيا، وبدلا من ذلك يعتقد أن بريطانيا "يجب أن تتعاون مع الدول القوية بجوار ليبيا كمصر من أجل تبني خطوات فعالة للقضاء على داعش".

وبمجرد تشكيل التحالفات الضرورية للمساعدة في تحديد المشكلات التي تعاني منها ليبيا، يقول العضو البارز في حزب المحافظين الحاكم، يجب اتخاذ خطوات غير تقليدية لم يسبق تناولها من قبل.

ومن بين الخطوات غير التقليدية التي يطرحها بناء تحالف بين روسيا والغرب لإنقاذ الوضع في ليبيا وغيرها من دول المنطقة.

ولا يشعر كافشينسكي بالارتياح تجاه اللغة الحادة التي يستخدمها السياسيون الغربيون تجاه موسكو، ويرى أن دون مساعدة الروس لن تتمكن بريطانيا وحلفاؤها في مجلس الأمن من محاولة التوصل إلى حلول لأزمات الشرق الأوسط.

ويقول "الفشل الأوروبي في بناء تحالف يضم روسيا والقوى الأميركية في المنطقة لن يفيد أحد في النهاية. ومع ازدياد ثقة تنظيم داعش في نفسه ستصبح مهاجمته وطرده خارج حدود هذه الدول أكثر صعوبة. لذلك يجب علينا الإسراع في اتخاذ خطوات حاسمة اليوم قبل الغد".

> بإمكان بريطانيا لعب دور بناء في المنطقة العربية، شرط أن تتخلص من «دبلوماسية التدمير» التي كانت تعتمدها في السابق لحل صراعاتها مع الصين ودول أخرى

كافشينسكي يحذر من تداعيات الوضع الليبي على أوروبا والاستقرار العالمي ككل

دانيال كافشينسكي: بريطانيا يجب أن تتعاون مع الدول القوية المجاورة لليبيا من أجل تبني خطوات فعالة للقضاء على داعش

أزمة الجنوب تشق صفوف اليسار التونسي

□ **تونس** – يعاني الائتلاف اليساري في تونس "الجبهة الشعبية" حالة انقسام كبيرة، على ضوء الاختلافات العميقة بين مكوناته في قراءة التطورات السياسية والأمنية التي تعصف بالبلاد مؤخرا وخاصة بالجنوب، ما بات يهدد بتفككه.

وظهر هذا الانقسام إلى العلن عندما تم تسريب وثيقة طرحها أحد أبرز مكونات الجبهة في اجتماع للأمناء العامين، والتي تضمنت ضمنيا دعم حراك "شعب المواطنين" الذي يقوده الرئيس السابق المنصف المرزوقي في الجنوب، عبر حملة "وينو البترول" وغيرها من الحملات التي اتخذت عناوين مختلفة للإطاحة بحكومة الحبيب الصيد.

وليست الخلافات بين مكونات التحالف اليساري المشكل من عدة أحزاب يسارية وأيضا قومية (11 حزبا) وليدة اللحظة بل تعود إلى فترة تشكيل حكومة الحبيب الصيد، حيث انقسمت فيما بينها بين مؤيد لدخول الحكومة ورافض للأمر بتعلة اختلاف البرنامج الاقتصادي والاجتماعي لحزب نداء تونس وأيضا بسبب مشاركة حركة النهضة لاعتبارات أيديولوجية.

وأحدثت الوثيقة المسربة ضجة كبيرة في الأوساط السياسية والشعبية التونسية، كما كشفت عن حجم الانقسامات بين أقطاب اليسار وخاصة بين حزب العمال التونسي الذي يتزعمه حمة الهمامي وحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحد الذي أسسه الحقوقي شكري بلعيد الذي تم اغتياله في فبراير 2013.

وفيما نفى حمة الهمامي أن تكون الوثيقة طرحت في اجتماع الجبهة أو أنه تم اعتمادها، يؤكد القيادي بـ"الموحد" والنائب عن الجبهة الشعبية بالبرلمان منجي الرحوي أنها اقترحت بالفعل وأن أحد الأطراف تقدم بها إلا أنه تم رفضها شكلا ومضمونا، مؤكدا على أن الجبهة ليست في وارد دعم الحراك الحاصل في الجنوب وغيره لطبيعته "المشبوهة".

وتشهد بعض الولايات في الجنوب التونسي على الحدود مع ليبيا تحركات احتجاجية تطالب بالكشف عن الثروات الطبيعة بالبلاد تحت عنوان "وينو البترول".

هذه التحركات تصاعدت موجتها في اليومين الماضيين، خاصة في مدينة دوز، حيث عمد المحتجون إلى حرق مراكز أمنية والاعتداء على أمنيين (4 جرحى)، الأمر الذي دفع بالسلطات إلى فرض حظر تجوال، وسط تصاعد مخاوف من استغلال متطرفين هذا الوضع لإحداث الفوضى بالبلاد.

وأعلنت وزارة الداخلية التونسية، مساء الجمعة، فرض حظر تجوال ليلي بدوز، قائلة في بيان لها "تبعا للأحداث الدائرة بمدينة دوز من ولاية قبلي وحفاظا على الأمن العام وأرواح المواطنين وأرزاقهم، تقرّر فرض حظر التجوّل على الأشخاص والعربات بالمدينة المذكورة اعتبارا من اليوم (..) بداية من الساعة الثامنة مساءً (19.00 تغ) إلى الساعة السادسة صباحا (05.00 تغ)، ويستثنى من ذلك الحالات الصحية العاجلة وأصحاب العمل الليلي".

وأفاد مسؤول محلي أن مواجهات ليلية بدأت منذ الثلاثاء الماضي بين محتجين وقوات الأمن "إثر منعهم من (التسبب في) وقف إنتاج شركة غاز أجنبية تقع في الصحراء على بعد 25 كلم من مركز مدينة دوز، أو الاعتصام داخلها".

اتهامات بوقوف الرئيس السابق خلف التحركات الاحتجاجية الأخيرة بتونس

وأوضح أن عدد المحتجين ارتفع من عشرات في بداية الاحتجاجات إلى "بضعة مئات ليلة الخميس والجمعة بعدما "ساندهم" سكان من قرى مجاورة.

وأغلق المحتجون طرقات بعجلات مطاطية مشتعلة ورشقوا بالحجارة والزجاجات الحارقة قوات الأمن التي ردت عليهم بإطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع، بحسب المسؤول.

ومنذ الشهر الماضي أطلق نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي حملة "وينو (أين) البترول؟" طالبوا فيها الحكومة بـ"كشف ملفات الفساد في قطاع الطاقة".

ويقول هؤلاء إن بلادهم التي تقع بين جارين نفطيين هما ليبيا شرقا والجزائر غربا تملك ثروات مثل جارتيها لكن "شركات أجنبية تنهبها" وهو أمر تنفيه السلطات.

ومن ناحيته، قال رئيس الحكومة التونسية الحبيب الصيد "الذي حدث في دوز غير مقبول مهما كانت الطلبات، والدولة لن تتسامح في هذه الأمور".

ودعا الشباب إلى "توخي الهدوء والصبر"، مضيفا "ليس عندنا عصا سحرية كما قال البعض ولا يمكن أن نغير الأمور ما بين صبح وعشية".

ويشير العديد من المسؤولين والسياسيين بأصابع الاتهام إلى الرئيس السابق المنصف المرزوقي بالوقوف خلف التطورات الخطيرة بالجنوب التونسي، واستغلال الأوضاع الاجتماعية الصعبة بهذا الشطر لأغراض سياسة ضيقة.

وتقول مصادر مطلعة من داخل الجبهة إن بعض الأحزاب اليسارية تسعى اليوم إلى الاصطفاف بجانبه، في تجربة شبيهة بـ18 أكتوبر، فيما يشدد آخرون على رفض السير بهذا الاتجاه نظرا لمآلاته الكارثية، خاصة وأن المتطرفين داخل البلاد وعلى الجانب الليبي يتربصون بالبلاد محاولين استغلال أيّ فرصة لإدخال فوضى بها.

> تسريب وثيقة طرحها أحد أبرز مكونات الجبهة الشعبية في اجتماع للأمناء العامين، وتضمنت ضمنيا دعم حراك "شعب المواطنين" الذي يقوده الرئيس السابق المنصف المرزوقي في الجنوب

وتجربة 18 أكتوبر هي تحالف تم في 2005 بين قوى علمانية ويسارية من ضمنها حزب العمال التونسي وإسلاميين "حركة النهضة" للإطاحة بنظام زين العابدين بن علي.

وقد أثرت هذه التجربة على وحدة اليسار في تونس المهترئة بطبعها، وأعلنت آنذاك معظم القوى والشخصيات اليسارية تبرّأها منها ومن مشاركة أطراف بها، باعتبار الاختلاف الجوهري بين مكوناتها.

واستمر السجال حول التحالف اليساري الإسلامي الآنف ذكره إلى ما بعد ثورة 14 جانفي، حيث دعت حركة النهضة قبل وبعد تسلمها الحكم إثر أول انتخابات تشهدها تونس ما بعد بن علي المكونات اليسارية إلى إعادة تفعيل هذا العمل السياسي المشترك بيد أن اليسار كانت مواقف تشكيلاته متذبذبة نتيجة خضوعها للمتغيرات المتلاحقة التي فرضت انقلابات جذرية في المشهد السياسي التونسي وبات ما كان مرفوضا خلال حكم الترويكا خاصة مقبولا لدى البعض اليوم.

الكورنيت الروسي في مواجهة عربات داعش المفخخة

نجاحات أميركية وهمية على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق

تستمر معركة الأنبار بين داعش والقوات العراقية دون أي تقدم فعلي للأخيرة، رغم نجاحها مؤخرا في تقليص خطورة هجمات العربات المفخخة التي يستخدمها التنظيم المتطرف، وذلك بفضل منظومة صواريخ الكورنيت الروسية.

□ **بغداد** – تجد الحكومة العراقية في صواريخ الكورنيت الروسية الصنع الوسيلة الأنجع في مواجهة العربات المفخخة لتنظيم الدولة الإسلامية في الأنبار غربي العراق، في الوقت الذي ما تزال تنتظر فيه الوعود الأميركية بتمكينها من صواريخ إضافية مضادة لهذه العربات.

وتشهد الأنبار معركة مصيرية بين القوات العراقية ومسلحين موالين لها وبين تنظيم داعش الذي ما يزال يسيطر على معظم أجزائها.

وصدت القوات العراقية فجر السبت هجوما بثلاث عربات مفخخة في المحافظة مستخدمة صواريخ الكورنيت المضادة للدروع، بحسب مصدر عسكري.

وقال ضباط برتبة عقيد في الجيش إن "قوة من الجيش وبالتنسيق مع الطيران الحربي العراقي تمكنت من إحباط هجوم لتنظيم داعش على ناظم التقسيم شمال الفلوجة بواسطة ثلاثة مركبات مفخخة يقودها ثلاثة انتحاريين".

وأوضح أن "قوات الجيش تمكنت من حرق وتدمير مركبتين مفخختين بواسطة منظومة صواريخ الكورنيت، بينما استطاع الطيران الحربي العراقي قصف المركبة الثالثة ما أدى إلى تدميرها بالكامل".

والكورنيت هو صاروخ روسي مضاد للدروع، موجه ومصوّب بأشعة ليزر وبشكل نصف أوتوماتيكي، حيث يصوّب الرامي الصاروخ نحو الهدف ويوجه علامة تصويب الصاروخ حتى الإصابة، ويمكنه أيضا ضرب الطائرات ذات العلو المنخفض وخاصة الطائرات المروحية.

وكانت القوات العراقية صدت الخميس هجوما للتنظيم الجهادي على مقرين عسكريين في الأنبار، استخدم خلاله أيضا عربات مفخخة.

ويلجأ التنظيم بكثافة الى تكتيك العربات المفخخة التي يقودها انتحاريون في هجماته ضد القوات العراقية والمسلحين الموالين لها.

واعتمد التنظيم بقوة هذا الأسلوب في الهجوم الذي أتاح له الشهر الماضي السيطرة على مدينة الرمادي، مركز الأنبار، في أبرز تقدم له في العراق منذ سيطرته على مساحات واسعة من البلاد.

وأعلنت الولايات المتحدة إثر سقوط الرمادي، أنها ستزود القوات العراقية بألفي صاروخ مضاد للدروع، لتمكينها من صد الهجمات الانتحارية، ولكن يسجل بطء كبير في عملية التسليم، وسط شكوك كبيرة في مدى التزام واشنطن بالأمر.

وما يعزز هذه الشكوك العراقية هو عملية إدارة الولايات المتحدة للمعركة ككل مع تنظيم الدولة الإسلامية.

وهذه الشكوك لا تقتصر فقط على الجانب العراقي بل امتدت إلى الولايات المتحدة الأميركية، إذ بات تتعالى الأصوات المنتقدة لسير العمليات في العراق.

وقال النائب بمجلس الشيوخ الأميركي رايان زينك إن "ما يجري في العراق والحرب التي يشنها التحالف الدولي بقيادة أميركا ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق يذكرنا بالحرب في فيتنام".

وجاء تصريح النائب الأميركي ردًا على إعلان الجيش الأميركي أن الحملة أدت إلى مقتل "أكثر من ألف" عنصر من عناصر تنظيم الدولة الاسلامية كمعدل شهري.

وتساءل زينك في مقابلة مع سي أن أن "كيف استطعنا الحصول على أرقام مثل مقتل عشرة آلاف عنصر بالدولة الاسلامية منذ بدء الحملة؟ في حين ليس لدينا أيّ قوات على الأرض يمكنها التحقق من هذه الأرقام، فعملياتنا الاستخباراتية تتم من الجو..".

مضيفا "هذه الأرقام هي مجرد تخمينات في أحسن الأحوال".

وقال قائد القوات الجوية المشتركة في القيادة المركزية الفريق الطيار جون هيسترمان، في مؤتمر صحفي عقده بمقر "البنتاغون" الجمعة بواشنطن "القوات الجوية لم تكن فعالة فحسب بل تمكنت في الواقع من جعل كل نصر في ساحة المعركة ممكنا، فهي قد ساعدت القوات البرية على استعادة أراض وقتلت أكثر من 1000 من مقاتلي عدونا (الدولة الاسلامية) شهريا، وقضت على معظم قدرات التنظيم القائمة على تكرير النفط".

بيد أن هيسترمان اعترف بأن ضرب التنظيم "بات يشكل تحديا أكثر من أيّ وقت مضى، وذلك لكون عناصر التنظيم المسلح قد أحاطت نفسها بالسكان المسالمين"، مشيرا إلى تعقيد عملية ضرب أهداف التنظيم المسلح لـ"تواجده في مناطق التجمعات السكنية، ما يحتم سقوط ضحايا في صفوف المدنيين، وهذا أمر لم نواجه واحدا مثله خلال 32 عاما".

وكشفت تقارير لمنظمات حقوق الإنسان عن وقوع ضحايا جراء القصف الجوي للتحالف لأهداف الدولة الإسلامية في العراق كان آخرها غارة جوية نفذتها قوات التحالف الجوية فوق قضاء "الحويجة" التابع لمحافظة كركوك شمالي العراق، استهدفت معملا لتصنيع العبوات الناسفة تابعا الدولة الاسلامية ما أدى إلى مقتل وجرح عدد كبير من الأشخاص.

الأطفال أكبر المتضررين من طول أمد الحرب في الأنبار

وفي تعليق منه على هذه الغارة الجوية قال هيسترمان "كما تعلمون فإن استهداف معامل تصنيع العبوات الناسفة، ليس بالشيء الجديد، لقد قمنا بهذا من قبل، وبسرعة فائقة بعد أن قام داعش باللجوء لهذا الأسلوب الإرهابي (تفخيخ المصفحات) الذي يستخدمونه".

وتابع "بعد عملية استهداف قمنا بإلقاء كمية صغيرة إلى حد ما من الأسلحة على بناية تصنيع عبوات ناسفة في منطقة صناعية، إلا أن الانفجار الثانوي الناتج عن انفجار كمية كبيرة من المفرقعات شديدة الانفجار التابعة الدولة الاسلامية كان كبيرا جدا ودمر المنطقة الصناعية".

واستطرد "لم نرَ أيّ أدلة على وجود ضحايا من المدنيين حتى الآن، لكننا ندرس باستمرار جميع الدعاوى كما نفعل دائما"، ملقيا باللائمة على تنظيم الدولة الإسلامية في هذا الأمر، حيث قال "لنكن واضحين بخصوص ما تسبب بالأضرار، فكمية هائلة من المواد شديدة الانفجار كانت الدولة الاسلامية تنوي تحويلها إلى سلاح قاتل لقتل القوات العراقية والمدنيين الأبرياء، لذا، فإذا كان هنالك ضحايا بالخطأ فإن مسؤولية ذلك تقع على الدولة الإسلامية بشكل تام".

تبريرات هيسترمان، لم تقنع النائب المحافظ زينك الذي قال "واضح أننا لا ننتصر، الحملة الجوية وحدها فاشلة ونحن مستمرون في خسارة المساحات، ويتضح أكثر فأكثر يوميا أن السياسات المتبعة تسقط.. ماذا سنفعل في سوريا؟ ماذا سنفعل مع إيران؟ في الوقت الحالي أنا لا أرى أيّ مؤشرات على ذلك".

وتقود الولايات المتحدة التحالف الدولي الذي تنضوي تحته أكثر من 60 دولة، وتشكّل في صيف العام الماضي عندما تمدد التنظيم المتشدد في سوريا والعراق.

الأردن يوافق على دفن طارق عزيز على أراضيه بناء على وصيته

□ **عمان** – وافقت السلطات الأردنية، أمس السبت، على دفن جثمان وزير الخارجية العراقي الأسبق طارق عزيز الذي توفي في سجنه الجمعة، في أراضي المملكة بناء على رغبة عائلته، وفق ما أعلنه مصدر أردني رسمي.

وقال المصدر الذي فضل عدم كشف هويته إن "السلطات الأردنية وافقت على طلب من عائلة طارق عزيز لإحضار جثمان السيد طارق إلى الأردن لدفنه هنا لأسباب إنسانية".

وأضاف "الآن يتم مخاطبة السلطات العراقية بعدم ممانعتنا ثم تتخذ إجراءات هناك من قبلهم لتسليم الجثمان لعائلته".

وفي وقت سابق قال بديع عارف عزة محامي طارق عزيز أن موكله أوصى بدفن جثمانه في الأردن، وأن عائلته لديها علم بالوصية، وفق وكالة الأنباء الأردنية.

وأضاف أن موكله أبلغه وصيته بأن يدفن في الأراضي الاردنية لأنها بلد احتضن عائلته حوالي 12 سنة.

وتوفي طارق عزيز، الذي أمضى أعوامه الأخيرة في السجن، الجمعة، في أحد مستشفيات جنوب البلاد حيث نقل إثر تدهور حالته الصحية.

وأوضح عادل عبد الحسين الدخيلي، نائب محافظة ذي قار حيث كان عزيز مسجونا، "طارق عزيز توفي في مستشفى الحسين التعليمي في مدينة الناصرية، بعد نقله إليه إثر تدهور حالته الصحية".

وطالبت عائلة عزيز مرارا بالإفراج عنه نظرا للظروف الصعبة التي كان يعانيها في السجن، كما نقلت عن محاميه في العام 2011، طلبه من رئيس الوزراء السابق نوري المالكي الإسراع في تنفيذ حكم الإعدام الصادر بحقه، بسبب تردي وضعه الصحي.

وحكم على عزيز بالإعدام شنقا في أكتوبر 2010، لإدانته "بالقتل العمد وجرائم ضد الانسانية".

ويأتي الحكم على عزيز كما هو الشأن بالنسبة إلى عدد من رموز النظام العراقي السابق في سياق عملية ممنهجة لاجتثاث البعث، والذي تعاني العراق اليوم من تبعاته الخطيرة.

وعزيز المسيحي الوحيد بين الأركان البارزين للنظام السابق، وكان الوجه الدبلوماسي الأبرز لصدام حسين لدى الغرب.

وعرف الرجل الذي كان يتحدث الإنكليزية بطلاقة ويدخن السيجار الكوبي الفاخر، بنظارتيه الكبيرتين ولباسه الأنيق، وسلم عزيز نفسه للقوات الأميركية بعد أقل من شهر على اجتياحها البلاد.

وشغل طارق عزيز مناصب عدة إذ عين وزيرا للإعلام في سبعينات القرن الماضي، ووزيرا للخارجية في 1983، ونائبا لرئيس مجلس الوزراء في 1991.

المقنع الكندي والمقنع الجولاني

أسعد البصري

❑ الولايات المتحدة في ظرف لا تحسد عليه، فهي لا تريد إرسال قوات برية إلى العراق، وفي نفس الوقت لا تريد أميركا حربا طائفية تفجر المنطقة، وبما أنه لا يوجد بديل عن الحشد الشعبي الشيعي في العراق لقتال الدولة الإسلامية، فإن هذه العملية الجراحية الصعبة لا بد أن يرافقها مسكّن للعصب السني في المنطقة.

لا يوجد مسكّن في العراق بل في سوريا، دعم وتسليح سري لجبهة النصرة، مع أخبار انتصارات جيش التوحيد واسترداد الأراضي السورية من داعش. النظام السوري من جهته يرفض هذا المخطط ليس حبًا بالدولة الإسلامية، ولكن القوات المنتصرة ستتجه نحوه كغنيمة، وتحرمه من أن يكون هو العدو الأول للنصرة والدواعش معا.

دول عربية أخرى ترفض هذا المخطط لأنه يعني تأهيلا للقاعدة وجبهة النصرة بطريقة غير مضمونة النتائج، فعند بعض الدول تخوّف من تكرار تجربة الجهاديين في أفغانستان لقتال الاتحاد السوفييتي.

ثم إن مشروعا كهذا يعني دورا أكبر لقطر والإخوان المسلمين في المنطقة. دول عربية كثيرة ترفض أن تجد نفسها بين خيارين لا ثالث لهما في سوريا: إما القاعدة أو الإخوان المسلمون.

> لا يمكن أن نكون بين خيارين لا ثالث لهما: إما بطش الإرهاب أو مكر الإخوان المسلمين

الدواعش يعرفون أنهم وجدوا لأنفسهم مكانا في قلب التناقضات، ولا توجد معادلة حتى الآن تسمح باحتوائهم أو القضاء عليهم بشكل نهائي.

على خلفية هذا المشروع قامت قناة الجزيرة القطرية ببث لقاء من حلقتين لزعيم جبهة النصرة في محاولة لتحسين صورته أمام العالم. اللقاء نفسه جدير بمقال كهذا لما احتوى من طرفة سياسية حقيقية.

بدا الجولاني رجلا قلقا فحركات يديه وميلان جسده تكشف عن رجل غير مستقر، فهو لا يمتلك هدوء زعيم القاعدة أسامة بن لادن أو الخليفة أبو بكر البغدادي.

زعيم جبهة النصرة ظهر واضعا قطعة قماش على رأسه، وسط ذهول الناس من هذا السلوك. فالشاعر الأموي المقنّع الكندي لم يكشف لثامه عن وجهه خوفا من العين، ومن افتتان المحصّنات به لجمال وجهه وحسن ملامحه، بينما الجولاني لماذا لم يكشف عن وجهه؟ هل يخاف من العين أيضا؟ فرفاقه في الإرهاب من الزرقاوي والبغدادي والظواهري قد كشفوا عن وجوههم ولم يبالوا بخطر. ثم كيف نثق بثورة مغطاة بخمار؟

الجولاني ظهر كشخصية نادمة وتطمح بالعفو وبثقافة متواضعة جدا. حين سأله أحمد منصور ما هي مشكلتكم مع إيران كان جوابه بائسا، فهو يقول إن ايران امبراطورية فارسية قبل الميلاد كانت تحتل القدس واليمن والعراق وسوريا، والفرس يريدون استعادة أمجادهم.

لا أعرف لماذا لم يقل له مقدم البرنامج بأن العرب فتحوا فارس وهدموا ملكهم، وكادت لغتهم أن تنقرض لولا الفردوسي وغيره. فإذا كنا سنعود إلى ما قبل الميلاد فالأجدر بألا ننكر طموحات العرب والأتراك الإمبراطورية. وما زالت طموحات الأتراك العثمانية متمثلة بمشروع الإخوان المسلمين، وكذلك طموحات العرب الإمبراطورية متمثلة اليوم بالدولة الإسلامية أليس كذلك؟

كان على الجولاني الحديث عن تشيّع إيران لأغراض دفاعية في القرن السادس عشر ضد التوسع الإمبراطوري العثماني حينها، ثم ينتقل إلى الحديث عن التشيّع الهجومي الذي بدأ بالخميني ومبدأ تصدير الثورة والتبشير الصفوي منذ 1979 حتى يكون لكلامه معنى.

ثم إن زعيم جبهة النصرة يقول صراحة إنه سيدعو القرى العلوية والدرزية إلى التوحيد، أي أنه لا يسمح بتعدد الطوائف في سوريا، وقد نتفهّم موقفه من العلويين في سياق الحرب الطائفية الدائرة منذ أعوام، ولكن ما ذنب الدروز؟ هؤلاء قوم عرب أصبحت مناطقهم ملاذا للنازحين من المناطق الساخنة، ولم يعتدوا أو يظلموا بل ساعدوا العوائل والأطفال وتبرعوا لهم طوال سنوات المحنة.

كيف سيذهب الجولاني إلى السويداء بعد كل تلك المواقف الكريمة ويطلب منهم ببساطة تغيير مذهبهم؟ الجبل الدرزي يستعد للحرب بكل أسف بعد سماع هكذا كلام.

> كيف سيذهب الجولاني إلى السويداء بعد كل تلك المواقف الكريمة ويطلب منهم ببساطة تغيير مذهبهم

لم نفهم من زعيم جبهة النصرة ما هو الهدف من الصراع السوري الذي كلفنا 300 ألف شهيد سوري وعشرة ملايين نازح وهدم المدن السورية الجميلة. فهو يصرح بأنه لا يؤمن بالديمقراطية ويريد تطبيق الشريعة، مع هذا هو مصر على أنه يختلف عن داعش وأنهم خوارج.

وفي سياق حديث الجولاني عن الدولة الإسلامية، يبدو وكأنه يعتبرها حركة عراقية متجاهلا بأنها باتت تسيطر على ثلثي مساحة سوريا في الواقع. وحتى اتهامه للدولة الإسلامية بأنها تحرر المناطق المحررة بدا مضحكا، لأننا جميعا نعلم بأن هدف الدولة الإسلامية ليس إسقاط هذا النظام أو ذاك بل "التمدد جغرافيا" فهي تبني نفسها على حساب العراق وسوريا ولا تهتم لنوعية الخصم سواء كان جيشا سوريا أو معارضة أو أكرادا أو ميليشيات شيعية.

يبدو الجولاني لا يعرف ما هي الدولة الإسلامية، فهو يخلط بينها وبين حركات التحرر أو الثورات، وينسى بأنها مشروع بناء دولة جديدة وليست لتحرير دولة موجودة أساسا.

في الحلقة الأولى قبل أسبوعين رأينا مقدم قناة الجزيرة يقول للجولاني "شكرا للشيخ الجولاني لأنه خص الجزيرة دون بقية القنوات وشرفنا بهذا اللقاء". أما في الجزء الثاني قبل يومين رأينا أحمد منصور نفسه يغير نبرته ويقول "لقد تركتك يا جولاني تستفيض وتتكلم حتى يعرف العالم كيف تفكر"، هذا هو مكر الإخوان المسلمين الذي لا ينجو منه حتى زعماء الإرهاب.

لا أعرف لماذا بعد ذلك اللقاء شعرت بأن الرئيس عبدالفتاح السيسي بطل حقيقي ومخلص لشعبه، فلا يمكن أن نكون بين خيارين لا ثالث لهما: إما بطش الإرهاب أو مكر الإخوان المسلمين.

* كاتب عراقي

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

إعلان النوايا: انتصار جعجع ومأزق عون

أحمد عدنان

إعلان النوايا.. لحظة سياسية تعني أن عون يبحث عن طوق النجاة الأخير وأن جعجع انتصر أيا كان مصير الإعلان

❏ كانت زيارة المرشح الرئاسي وزعيم حزب (القوات اللبنانية)، د. سمير جعجع، إلى غريمه المسيحي، زعيم (التيار الوطني الحر) ومرشح (حزب الله) للرئاسة، ميشال عون، حديث كل وسائل الإعلام في لبنان وحديث بعضها خارجه. وكان لافتا، رأي بعض غير المختصّين بالشأن اللبناني، فمنهم من ظنّ أن إعلان النوايا الذي توج الزيارة، انقلاب من جعجع على قوى 14 آذار، ومنهم من ظنها تملصا عونيا من التحالف مع (حزب الله).

إن ورقة إعلان النوايا هي بمثابة إطار تفاوضي من جهة، وقواعد لإدارة الخلافات والاختلافات من جهة أخرى، لا يمكن لجعجع أن ينشق عن ثورة الأرز لأنه عمادها، ومن الصعب على عون أن يتحرر من (حزب الله) لأنه تابعه.

بقراءة عامة لفحوى إعلان النوايا الناجم عن مبادرة القوات اللبنانية، يمكن تلخيصه بتنفيس احتقان الشارع المسيحي، تحرير المشهد السياسي من رواسب الحرب الأهلية وتراكماتها، تحديد القواسم المشتركة وإدارة الخلافات والاختلافات من خلالها، والأهم، الاتفاق والتنسيق على حضور المسيحيين في الدولة اللبنانية ودورهم ورفض تهميشهم.

أي أنه ليس من المنطقي، أن نصف إعلان النوايا مثال لتحالف قواتي – عوني، بل هو تدشين مرحلة تحولت فيها العلاقة القواتية – العونية من العداوة إلى التنافس، وهو توجه محمود لصالح المسيحيين ولصالح لبنان.

لبنان بلد عربي تميز بوجهه المسيحي، وبالعنصر الماروني على وجه الخصوص، ومن خلال سير الأحداث – على مدى عقود خلت – اتضح بما لا يدع مجالا للشك، أنه كلما ضعف مسيحيو لبنان اقترب وطنهم بكل طوائفه ومناطقه من الهاوية، كما أن المسيحيين في هذه المرحلة يواجهون تحديات وجودية، فالإرهاب الداعشي يريد إلغاءهم، والإرهاب الإيراني يريد ابتلاعهم، لذلك كان لا بد من تحرك يراعي المسؤولية التاريخية وطنيا وطائفيا بشد الصفوف، وأتت هذه المبادرة من د. سمير جعجع.

من ناحية عون، لم يكن أمامه مفر إلا قبول المبادرة، فقيام حزبه على عصبية طائفية وإقليمية تستهدف السنة والعرب، فاقم المخاطر على جمهوره، والرجل مسؤول عن تعطيل الموقع المسيحي الأول في العالم العربي، رئاسة لبنان، لمآرب شخصية، مما يرجّح الرأي الذي يقول، إن مبادرة القوات لو حصلت قبل ثلاث سنوات لما وجدت آذنا صاغية، هذا إن لم تكن هناك بالفعل مبادرة لم تجد القبول.

إن الصراع التاريخي بين القوات وبين التيار العوني يعبر عن هويتين مختلفتين وعن مسارين متناقضين، فـ(القوات اللبنانية) تعبر عن لحظة أرادت حماية لبنان من أن يكون وطنا بديلا للفلسطينيين، وأرادت حمايته أيضا من أن يكون مزرعة ملحقة بالدولة البعثية في سوريا، لذلك فإن الظن بأن القوات وليدة تعصب يستهدف الإسلام ليس دقيقا بالمرة، القوات هي أكثر التيارات السياسية حرصا على الدولة وعلى لبنان كوطن نهائي بصيغة العيش المشترك، والشاهد على ذلك زمن الحرب نفسها، فالدولة لم تغب عن المناطق المحكومة من القوات، والقوات حاضرة – أيا كان زعيمها – لصد أيّ مشروع يلغي لبنان أو يبتلعه، وصادف أن أغلب المزاج المسيحي ينتمي إلى هذا النهج، وصادف – في المقابل – أن أغلب المزاج الإسلامي زمن الوصاية الفلسطينية ثم الوصاية السورية كان مكرها على التموضع في صفوف أخرى، وحين تحرر اللبنانيون من الوصاية السورية انخرط المسلمون والمسيحيون تحت راية لبنان، وقبل الوصاية الفلسطينية كان والد الاستقلال اللبناني مسلما سنيا اسمه رياض الصلح، بالشراكة مع رفيقه الماروني المسيحي بشارة الخوري.

على الضفة الأخرى، التيار العوني هو وليد لحظة مختلفة تماما، فاسمه السائد يشير إلى حالة مرتبطة بشخص لا بمبادئ، لذلك من يريد معرفة عون عليه ملاحظة تاريخه في الحرب الأهلية وما تلاها، كان همه بداية كرسي وزارة الدفاع، وحين ارتكب الرئيس أمين الجميل جريمة تاريخية، بتسليم السلطة إلى حكومة عسكرية يرأسها عون، ارتفع سقف طموح الجنرال إلى كرسي الرئاسة، وما زال لبنان ومسيحيوه يعانون من هذه اللعنة.

> ليس من المنطقي، أن نصف إعلان النوايا مثال لتحالف قواتي – عوني، بل هو تدشين مرحلة تحولت فيها العلاقة القواتية – العونية من العداوة إلى التنافس، وهو توجه محمود لصالح المسيحيين ولصالح لبنان

المطامح الشخصية الصرفة للزعيم جعلته مستعدا للتنقل بين الشرق والغرب، فتارة هو جندي صغير في جيش حافظ الأسد، وتارة أخرى يشن حرب التحرير على الجيش السوري، هو داعية إلى الدولة الفيدرالية مرة، وواعظ الدولة المركزية مرات، هو الصديق المخلص لإسرائيل حين احتلت بيروت، وهو حليف المقاومة الأول حين تمدّدت إيران بعد أن كان خصمها اللدود. اعتبر حكومته العسكرية ممثلة شرعية للبنان رغم خلوّها من المسلمين، وحين استقال وزراء (أمل) و(حزب الله) من حكومة الرئيس فؤاد السنيورة اعتبرها وزارة غير شرعية. في عهد حكومته العسكرية تم تكميم الصحافة والإعلام، وتمت استباحة البطريركية المارونية، ومذكرات البطريرك صفير توثق أهوال تلك المرحلة. عون لا يبالي بأخذ جمهوره إلى التهلكة مقابل كرامة عناده وسلامته الشخصية. وفي المقابل فإن جعجع مستعد للتضحية في سبيل حماية جمهوره ونصرة قضيته. ولعل التعامل مع الوصاية السورية يكشف الفارق بين الشخصيتين، فرّ عون تاركا أسرته وجنوده، بينما قرر جعجع المقاومة كسياسي ثم كسجين رغم نصائح الرئيس إلياس الهراوي بمغادرة البلاد، ورغم عروض البعثيين بالحرية مقابل التبعية.

من خلال هذا السياق التاريخي، نجد ورقة إعلان المبادئ تمثل انتصارا صريحا لسيرة جعجع، وتمثل إحراجا واضحا لمواقف عون، فالقارئ لورقة إعلان النوايا سيدرك فورا أنها وضعت عون تحت الاختبار. فالبند الذي يتحدث عن "احترام قرارات الشرعية الدولية كافة والالتزام بمواثيق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية" لا يضير جعجع الذي يطالب بتطبيق قرار الأمم المتحدة 1559 القاضي بحل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ونزع سلاحها، إنما يحرج عون الذي يغطي سلاح ميليشيا (حزب الله).

كما أن رصيد جعجع السياسي والوطني قائم على السعي لبسط الدولة اللبنانية لسلطتها على كل أراضيها، لكن تحالف عون – (حزب الله) يغطي تفرد الحزب الإيراني ببعض المناطق بعيدا عن سلطة الدولة وأن تكون "المقاومة" دولة داخل لبنان وفوقها. وحين يطالب إعلان النوايا بالالتزام بمقررات الحوار الوطني اللبناني، فلا أحد يعطلها إلا حلف (حزب الله) – عون، كالموقف السلبي من المحكمة الدولية، والموقف المعادي من إعلان بعبدا الذي يحصر قوة الإكراه المشروع وقراري الحرب والسلم في يد الدولة، إضافة إلى تقريره الجيش قوة شرعية وحيدة في البلاد.

وحين يتحدث إعلان النوايا عن "العمل على تعزيز مؤسسات الدولة وتشجيع ثقافة الاحتكام إلى القانون والمؤسسات الشرعية لحلّ أيّ خلاف أو إشكال طارئ وعدم اللجوء إلى السلاح والعنف مهما تكن الهواجس والاحتقانات" يذكر على الفور بأحداث مايو 2008 حين احتل (حزب الله) بيروت وروّع الجبل بمساندة كاملة من الجنرال عون.

يؤكد إعلان النوايا، أن بُعد لبنان العربي هو الأساس، وسياسة عون – حزب الله ترى أن الارتباط بإيران هو الأصل، يؤمن إعلان النوايا بالمبادرة العربية للسلام وبحل الدولتين لكن إيران وحزبها (حلفاء عون) لهم رأي آخر، يريد إعلان النوايا سياسة خارجية صديقة للدول العربية والمجتمع الدولي، بينما مواقف عون – حزب الله معادية لمحيطها العربي والدولي باستثناء بشار الأسد وإيران.

يدعو إعلان النوايا إلى "الحرص على ضبط الأوضاع على طول الحدود اللبنانية السورية بالاتجاهين وعدم السماح بإقامة منطقة عازلة في لبنان وباستعمال لبنان مقرا أو منطلقا لتهريب السلاح والمسلحين ويبقى الحق في التضامن الإنساني والتعبير السياسي والإعلامي مكفولا تحت سقف الدستور والقانون والمصلحة الوطنية العليا" والمنتهك الرئيسي لذلك هو (حزب الله) بتأييد معلن من عون.

من خلال حديث إعلان النوايا عن اتفاق الطائف، يتأكد لنا الانتصار التام لمنهج جعجع على خطاب عون، فالإعلان يقر صراحة التمسك باتفاق الطائف، وينتقد مساره التطبيقي المشوه خلال الوصاية السورية ويطالب بتصحيح ما اعتور التطبيق، وهذا تماما موقف مرجعية بكركي في عهد البطريرك صفير وموقف جعجع الأزلي منذ تولي قيادة القوات اللبنانية، بينما موقف عون الذي عبّر عنه صراحة في المنفى، أو عبّر عنه وكالة عبر أبواقه بالدعوة إلى مؤتمر تأسيسي يعتمد صيغة المثالثة بين السنة والمسيحيين والشيعة بدلا من صيغة المناصفة الإسلامية – المسيحية، أي نسف اتفاق الطائف.

> ورقة إعلان النوايا بمثابة إطار تفاوضي من جهة، وقواعد لإدارة الخلافات والاختلافات من جهة أخرى، لا يمكن لجعجع أن ينشق عن ثورة الأرز لأنه عمادها، ومن الصعب على عون أن يتحرر من (حزب الله) لأنه تابعه

والحقيقة، أن إعلان النوايا ضم بنودا وطنية أكثر منها حزبية أو طائفية، كحل ملف اللاجئين السوريين والفلسطينيين، وإعادة الاعتبار لمقام رئاسة الجمهورية، والعمل على قانون انتخابي يحقق المناصفة، وغير ذلك من النقاط الواردة بوضوح في برنامج سمير جعجع الانتخابي.

الغرض من تشريح إعلان النوايا ليس تمجيد سمير جعجع، أو التبشير بمستقبل مشرق لتداعيات الإعلان، بل التأكيد على أن عون لم ينجح في استدراج جعجع، بل إن جعجع هو من حاصر عون في الزاوية. فإعلان النوايا هو شهادة وطنية وسياسية لمسيرة جعجع وإدانة شاملة لمواقف عون وتقلباته ومصالحه.

إن هذا الإعلان مهدّد بالفشل، فربما تكون فرص موته أعلى وأكبر من فرص حياته، والسبب هنا ليس حلفاء جعجع أو قادة عون، إنما تقلبات الجنرال ومصالحه الشخصية، فعين الجنرال شاخصة إلى موقع رئاسة الجمهورية ملكا له، وقيادة الجيش لصهره، وزعامة المسيحيين لصهره الثاني، وحين يتأكد من تضارب المبادئ قبل تضارب المصالح سيدهس كل وعوده واتفاقياته تحت قدميه.

يتغاضى عن الحقائق من يظن أن إعلان النوايا سيجعل عون يسحب ترشحه الرئاسي لصالح جعجع أو العكس، ربما يمهد في أفضل الأحوال تفاؤلا إلى توافق على اسم ثالث بإرادة مسيحية صرفة، ويخطئ من ظن أن عون أدار ظهره لـ(حزب الله) وإيران أو أن جعجع تخلى عن حلم الدولة وأواصر العروبة، لكنها لحظة سياسية تعني أن عون يبحث عن طوق النجاة الأخير، وتعني أن جعجع انتصر بإعلان النوايا أيّا كان مصيره، فهو من سعى إلى وحدة المسيحيين، وهو من أكد حجمه الكبير أمام أصدقائه قبل خصومه، وهو الذي جرّ خصمه إلى مبادئه المناقضة لخطاب الخصم ومواقفه واضعا المتشدقين بالمصلحة اللبنانية والمسيحية تحت مقصلة الاختبار، والأيام حبلى بمفاجآت يشيب لها الولدان ويبكي عليها الحجر.

* صحافي سعودي

إعلان النوايا يضم بنودا وطنية أكثر منها حزبية أو طائفية وغايته الأساسية سيادة الدولة اللبنانية

«الحكيم».. ومعالجة ميشال عون

خيرالله خيرالله

❑ لا يمكن إلّا الترحيب بأيّ تقارب مسيحي ـ مسيحي في لبنان. حتّى عندما يكون هذا التقارب بين النائب ميشال عون، حليف "حزب الله" الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري الإيراني"، من جهة والدكتور سمير جعجع رئيس حزب "القوات اللبنانية" المتحالف مع القوى الاستقلالية اللبنانية من جهة أخرى.

في حال صفت النيّات، من شأن أيّ تقارب المساهمة في بدء البحث الجدّي في المشكلة الأساسية التي يعاني منها لبنان. هذه المشكلة مزمنة. يعود تاريخها إلى العام 1969 من القرن الماضي، عندما اضطرّ الوطن الصغير إلى توقيع اتفاق القاهرة الذي كرّس وجود سلاح غير شرعي على أراضيه.

كان هذا السلاح غير الشرعي فلسطينيا، لكنّه تحوّل، شيئا فشيئا، بعد العام 1982 إلى سلاح إيراني يستهدف مؤسسات الدولة اللبنانية. يعمل السلاح غير الشرعي هذه الأيّام على تحقيق ما عجز عنه في منتصف الثمانينات، من القرن الماضي.

وقتذاك، عمل هذا السلاح الإيراني على إغلاق لبنان في وجه العرب، فكان حريق السفارة السعودية والهجوم على السفارة المغربية. الآن، يعمل هذا السلاح، الذي استعان في العامين 2012 و2013 بحكومة "حزب الله" برئاسة النائب السنّي نجيب ميقاتي، على استكمال هذه المهمّة. يحصل ذلك عبر تصرّفات تستهدف التأكيد لكلّ عربي أنّه ليس مرغوبا فيه في لبنان.. لا كمستثمر ولا كسائح. كلّ ما هو مطلوب عزل لبنان عن محيطه العربي، خصوصا عن أهل الخليج.

عندما يزور "الحكيم" الرابية للقاء ميشال عون، يفترض به أوّلا التأكد من حصول تغيير ما في سلوك القائد السابق للجيش اللبناني الذي يدعو حاليا إلى "تحرير" جرود عرسال.

وهذا الكلام يعني، بين ما يعني، انخراط الجيش اللبناني في المغامرة السورية لـ"حزب الله" تنفيذا لخطة تصبّ في قيام دولة علوية على جزء من الأراضي السورية، على أن يكون لهذه الدولة امتداد لبناني.

أمام سمير جعجع تحدّيات كثيرة. هل يمكن، على سبيل المثال، لمثل هذا التقارب مع ميشال عون أن يشمل البحث في الدور الذي يلعبه "الجنرال" على صعيد تغطية ارتكابات "حزب الله" في سوريا؟

على الرغم من ذلك كلّه، لا يمكن إلّا الترحيب مجددا بزيارة رئيس حزب "القوات" للرابية حيث يقيم قائد عسكري لم يتردد في زجّ الجيش اللبناني في مواجهة مع الجيش السوري خريف العام 1990، من أجل أن تتمكن القوات السورية من السيطرة على القصر الجمهوري في بعبدا وعلى مقر وزارة الدفاع القريب من القصر.. تمهيدا لوضع اليد على كل لبنان ونقل كلّ الملفات الموجودة في الوزارة إلى دمشق!

يتجاوز الموضوع زيارة سياسي لآخر وإعلان نيّات يصدر عنها. الموضوع مرتبط في نهاية المطاف بما إذا كان في إمكان "الحكيم" معالجة حال مرضية اسمها ميشال عون، بما يساعد في عودته إلى رؤية البديهيات.

مثل هذه العودة تعني، أوّل ما تعني، أخذ العلم بالموقف الواجب أن يتخذه كلّ لبناني، تعلّم شيئا ما من تجارب الماضي القريب، عن السلاح غير الشرعي وخطورته.

إنّه السلاح الذي يتبجّح به "حزب الله" ويهدّد به اللبنانيين من كل الطوائف، بما في ذلك قسم من أبناء الطائفة الشيعية الكريمة. هل تساهم الزيارة في جعل ميشال عون يعي أبعاد وجود ميليشيا مذهبية تابعة لإيران في لبنان؟ هل يمكن أن يعي خطورة تجاوز هذه الميليشيا كلّ المسلّمات اللبنانية والتورط في حرب يشنها النظام السوري على شعبه من منطلق مذهبي ليس إلّا؟

في كلّ الأحوال، يظلّ التقارب بين أيّ لبنانيين مفيدا، خصوصا أنّ سمير جعجع معروف بصلابته وتمسّكه بمواقفه الوطنية وبالثوابت.

انتقل "الحكيم" من قائد ميليشيا إلى زعيم لحزب سياسي يؤمن بالدولة اللبنانية ومؤسساتها. أمّا ميشال عون فقد انتقل من موظّف في الدولة اللبنانية، إلى موظّف لدى ميليشيا تعمل على تدمير مؤسسات الدولة، بما في ذلك المؤسسة العسكرية.

نسي ميشال عون فجأة ما فعله "حزب الله" مع الجيش، نسي حتّى من اغتال النقيب الطيار سامر حنا داخل الأراضي اللبنانية قبل سنوات قليلة. كان الذنب الوحيد لسامر حنّا، الضابط في الجيش اللبناني، السماح لنفسه بالتحليق فوق أرض لبنانية!

هل يمكن لميشال عون أن يتغيّر؟ إذا كان التقارب مع "القوات" سيساعد في تحقيق أيّ تغيير من أيّ نوع كان لدى ميشال

> الهدف من منع مجلس النواب من انتخاب رئيس للجمهورية يتمثل في تمكين إيران من القول إنها تمتلك ورقة رئاسة الجمهورية في لبنان. كذلك، تريد إيران تغيير طبيعة النظام اللبناني

عون في اتجاه إيجابي، يكون الدكتور جعجع قدّم بالفعل هدية للبنان واللبنانيين وللمسيحيين على وجه التحديد.

بعد أيّام، سيتبيّن ما إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاؤل، علما أنّ تعطيل ميشال عون للعمل الحكومي لا يبشّر بالخير. هناك أسئلة عدة تحتاج إلى أجوبة واضحة. من بين هذه الأسئلة انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية. هل ينزل ميشال عون ونوابه إلى مجلس النوّاب للمشاركة في انتخاب رئيس أم يتمسّك "الجنرال" بمقاطعة جلسات الانتخاب.. إرضاء لـ"حزب الله" ومنْ خلف الحزب؟

الواقع أن الهدف من منع مجلس النوّاب من انتخاب رئيس للجمهورية يتمثل في تمكين إيران من القول إنّها تمتلك ورقة رئاسة الجمهورية في لبنان. كذلك، تريد إيران تغيير طبيعة النظام اللبناني. تريد تمكين "حزب الله" من أن يكون له حق الفيتو على أيّ قرار لبناني عبر نائب لرئيس الجمهورية يمتلك، بموجب الدستور، صلاحيات تنفيذية محدّدة تجعل من نائب الرئيس الرئيسَ الفعليَّ للجمهورية.

هذا غيض من فيض الخدمات التي يؤديها لإيران النائب ميشال عون.. الذي لم يتردّد في طلب زجّ الجيش في معارك لا طائل منها في عرسال وجرودها. تشبه تلك المعارك، المطلوب من الجيش خوضها، إلى حدّ كبير تلك التي خاضها في الأعوام 1988 و1989 و1990 مع "القوات اللبنانية" ومع المسلمين من أجل تهجير أكبر عدد من اللبنانيين، خصوصا من المسيحيين، من لبنان.

بمجيئه إلى الرابية، تصرّف سمير جعجع كرجل طبيعي يريد بالفعل طيّ صفحة الماضي. من المستبعد أن يكون ميشال عون على استعداد للإقدام على خطوة، ولو صغيرة، في اتجاه التخلّص من عقده. ليس مستعدا، أقلّه إلى الآن، للقبول بأيّ رئيس غيره.. حتّى لو أدّى ذلك إلى خراب لبنان واستمرار الفراغ الرئاسي إلى ما لا نهاية.

لن يقبل أيضا باتخاذ موقف صريح من السلاح غير الشرعي ومن الحرب التي يشنّها "حزب الله" على الشعب السوري. لن يستطيع بأيّ شكل التخلص من عقدة حلف الأقلّيات التي تتحكّم به والتي يُخشى من أن تقضي على مسيحيي الشرق عاجلا أم آجلا، خصوصا إذا لم يفكّ مسيحيو سوريا ارتباطهم بالنظام الأقلّوي فيها.

كان المجيء إلى الرابية خطوة شجاعة وجريئة لسمير جعجع الذي يبدو أنّه باشر مهمّة، أقلّ ما يمكن أن توصف به أنّها مستحيلة. من يدري؟ ربّما لديه ما يدعو إلى التفاؤل على الرغم من صعوبة التوفيق بين منطق الدولة ومنطق الميليشيات المذهبية التي ترى في نفسها مستقبل الشرق الأوسط.. من منطلق أن إيران ستكون القوّة المهيمنة على المنطقة وعلى كلّ ما هو عربيّ ومتعدّد ومتنوّع فيها.

> يتجاوز الموضوع زيارة سياسي لآخر وإعلان نيات يصدر عنها. الموضوع مرتبط في نهاية المطاف بما إذا كان في إمكان «الحكيم» معالجة حال مرضية اسمها ميشال عون، بما يساعد في عودته إلى رؤية البديهيات

* إعلامي لبناني

القفز على الواقع وترحيل الأزمات

د. سالم حميد

❑ لا بد من امتلاك مفاتيح لفهم الأحداث من حولنا، وذلك بالتركيز على المسائل الجوهرية في القضايا والأزمات العالقة، وما أكثر أزمات بلدان الشرق الأوسط في هذه الفترة، وخاصة منذ بداية العقد الجاري الذي لا يلوح في الأفق حتى الآن أنه سينتهي على خير في مناطق عديدة.

الإشكالية المضافة إلى سوء فهم الكثيرين للأحداث من حولنا هي تعمد اللجوء إلى تعويم الأزمات وترحيلها، سواء عبر الانسياق لتبني توصيفات خاطئة، أو منحازة غالبا لرواية أحادية لما يجري فتتمثل وجهة نظر طرف وتتجاهل الطرف الآخر، ناهيك عن ثقة البعض الطاغية بتقارير مجموعات الخبراء الدوليين المختصين بمتابعة الأزمات، حيث صرنا نستقي توصيفات الأحداث من مجموعات استشراقية تركز أغلب تقاريرها على التسليم المطلق بحتمية الانقسامات الطائفية في الوطن العربي، بل إن توصيفاتهم لا تتخلى عن المفردات والثنائيات المذهبية بمسمياتها المستهلكة، في حين أن الترويج للصراعات الطائفية لا يخدم سوى من يريدون للبلدان العربية أن تغرق أكثر في الصراعات المدمرة.

وبالطبع هذا مما يسعد إيران التي لا تنتعش وترفع رأسها إلا تحت هذه العناوين المريضة سياسيا، وتودّ أن تنقل عدوى مرضها إلى كل مكان، ويشترك معها في الانتعاش والترحيب بالانقسامات الطائفية الكيان العبري.

وبات معروفا أن السياسة الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط تخدم إسرائيل من حيث لا تدري، وتسعى بدأب إلى تأجيج الصراع العربي العربي، بعد أن كانت الذاكرة الجمعية للعرب ترى أن الصراع الوجودي الأهم هو الصراع العربي الإسرائيلي.

وبالعودة إلى موضوعنا حول خطورة ترحيل الأزمات، نجد حتى المساعي النبيلة التي تقترح جمع أطراف هذا الصراع أو ذاك حول طاولة مفاوضات، تبقى في حالات كثيرة دعوات مهمومة ضمنيا بترحيل الصراعات وليس حلها بشكل جذري، فرغم نُبل مقاصد أيّ حوار من حيث المبدأ، إلا أن المقدمات الخاطئة تنتج دائما حلولا سياسية فاشلة، ويعلم الجميع أنها لن تؤدي إلا إلى ترحيل الصراعات والقفز المؤقت على الواقع.

ولا ننسى في المقابل أن بعض الحروب العبثية كذلك تزيد الطين بلة كما يقال، ولنا في سوريا خير مثال على إطالة أمد الصراع والفوضى وفتح الشام على مصراعيه لجماعات همجية متطرفة، لكن الطريف أن بعض قادتها صاروا ضيوفا على بعض القنوات الفضائية، ويتباهون بتكفير أطياف أساسية من المجتمع السوري، وهذا مما لا يؤسس لسلام في سوريا ولا يدعم أيّ أمل بعودة الحياة الطبيعية في المناطق السورية على المدى القريب.

وحتى لا يبقى الحديث هنا عن إشكالية ترحيل الأزمات نظريا، يمكن ضرب أمثلة من الواقع، ولنأخذ على سبيل المثال إلى جانب سوريا العراق أيضا، كنقطتين ساخنتين يتجاوز اشتعالهما حرارة هذا الصيف الملتهب.

ولا شك أن الوصول إلى الاستقرار يتطلب المرور بإحدى وسيلتين أو بكليهما معا، ونعني بهما التدخل العسكري للضغط ثم الانتقال إلى الحوار السياسي، لكن المنطق الآن وبعد تجارب على أرض الواقع يدعونا إلى تجنب التعويل على أيّ حرب تكون أدواتها وأطرافها الفاعلة على الأرض فصائل متطرفة كما يجري في سوريا، أو فصائل طائفية كالذي يجري في العراق.

ومن غير المنطقي كذلك التطبيل الإعلامي لأجنحة عسكرية موالية بشكل علني لتنظيم القاعدة، حتى لو كان التطبيل يتخفى وراء ستار إنقاذ الشعب السوري من نظام الأسد الدموي.

ولا يمكن الابتهاج بتخليص السوريين من عنف النظام مقابل تجاهل خطورة وقوعهم فريسة لجماعات متطرفة ومعادية لتنوع مجتمعهم، وهذا يعني أن ثمّة زاوية نظر غائبة أو مقصيّة عن المشهد، وعلينا الاجتهاد أكثر لمعرفتها، والتوقف عن الانسياق وراء التوصيفات الجاهزة والشائعة لكل ما يدور.

في العراق أيضا تابعنا خبرا عجيبا ويفترض ألا نكتفي بالتعجب من مضمونه الخطير واللافت، بل يجب أن يكون دافعا للتأمل الجاد.. الخبر يقول إن مجموعة من شيوخ عشائر منطقة الرمادي بايعوا تنظيم الدولة الإسلامية،"داعش".

ويبدو من سياق هذا الحدث ومن وقائع أخرى سابقة ومشابهة له أن أسلوب الحكومة العراقية الحالية في محاربة "داعش" يوفر لهذا تنظيم الدولة الإسلامية حاضنة اجتماعية ومناطق نفوذ جديدة!

بينما لا يقابل استخدام الحكومة العراقية للحشود الشيعية الطائفية سوى استنكار غربي خجول من قبيل النصائح لا أكثر، في حين أن معالجة إشكالية تمدد "داعش" بالأسلوب القائم حاليا يخدم هذا التنظيم الإجرامي أكثر ولا يعمل على تحرير المناطق التي يسيطر عليها.

> من غير المنطقي التطبيل الإعلامي لأجنحة عسكرية موالية بشكل علني لتنظيم القاعدة، حتى لو كان التطبيل يتخفى وراء ستار إنقاذ الشعب السوري

> الحكومة العراقية الحالية في محاربة تنظيم الدولة الإسلامية توفر لهذا التنظيم حاضنة اجتماعية ومناطق نفوذ جديدة

ورغم كثافة الحشود العسكرية التي أعدّتها الدولة العراقية لـ"تحرير" الرمادي، إلا أنها حتى الآن لم تتمكن من إحراز اختراق واضح ينبئ عن قرب دحر تنظيم الدولة الإسلامية منها.

ويتخوّف المراقبون من أنه حتى لو تمت هزيمة صورية لداعش، أن يكون مصير السلاح الضخم الذي تم تكديسه حتى الآن على مشارف الرمادي بحجة تحريرها مجهولا، يأخذه الداعشيون ويهربون به بعيدا عن الرمادي لاستخدامه في جهة أخرى بعدما يمنحون قوات الحشد الشعبي نصرا بطعم الأسلحة المفقودة!

وهناك خبر آخر من المشهد السوري، يتحدث صراحة عن وصول آلاف المقاتلين الإيرانيين والعراقيين لمساندة النظام لحماية عاصمته، وهذه إشارة إلى حصول المأساة السورية على وقود إضافي عبر الحبل السري الإيراني الممتد من طهران إلى دمشق، في الوقت الذي لا تزال فيه الدعوات لحلّ سياسي للأزمة السورية مطروحة على الطاولة وعلى ألسنة وزراء خارجية دول غربية عديدة، لكن كما قلنا يبقى الحديث عن حلول سياسية عائما ولا يلامس جوهر الصراعات سواء في سوريا أو غيرها.

ولم يسعفنا الحيز بالتطرق إلى الأزمتين الليبية واليمنية، اللتين تحتاجان بدورهما إلى جهود إقليمية جادة وموحدة لإعادة الاستقرار إليهما، وذلك لن يتمّ إلا بفهم جذور الصراع أولا وليس عبر الحوارات التي تقوم بترحيل الأزمات.

* كاتب إماراتي

صمت انتخابي في تركيا على وقع الاحتجاجات والتفجيرات

حزب العدالة والتنمية يخسر ورقتي الاقتصاد والأكراد

يتوجه الناخبون الأتراك، اليوم الأحد، إلى مراكز الاقتراع للإدلاء بأصواتهم في الانتخابات البرلمانية، وسط تساؤلات حول ما إذا كان الرئيس رجب طيب أردوغان سيعزز قبضته على السلطة فقط، وما إذا كان من الممكن المضي قدما في عملية السلام مع الأكراد وذلك وسط مخاوف متزايدة بشأن الانزلاق مرة أخرى إلى حرب أهلية.

❑ **أنقرة – دخلت تركيا فترة الصمت الانتخابي، قبل انطلاق عملية التصويت لاختيار نواب البرلمان، على وقع التفجيرات والاحتجاجات؛ ونظم مئات من المتظاهرين مسيرات في مدينة ديار بكر في جنوب شرق تركيا أمس السبت تكريما لضحايا الانفجارات التي وقعت، الجمعة، وأسفرت عن مقتل شخصين وإصابة العشرات.**

واستهدفت الانفجارات حشدا كبيرا يشارك في مسيرة سياسية للحزب الشعوب الديمقراطي الموالي للأكراد، وجاءت الانفجارات في أعقاب هجوم وقع في بداية الأسبوع على إحدى المركبات الانتخابية الخاصة بالحزب الكردي، الذي يحاول اجتياز حاجز الـ10 بالمئة ودخول البرلمان للمرة الأولى كحزب ممثل للأكراد في تركيا.

ودعا زعيم حزب الشعوب الديمقراطي صلاح الدين ديميرتاش أنصاره إلى الهدوء. وقال عبر حساب حزبه على تويتر "إنهم (خصومنا) يريدون خلق حالة من الذعر والفوضى. أدعو الجميع إلى التزام الهدوء".

وتتجه الأنظار إلى النتيجة التي قد يحرزها الحزب الكردي، غدا الأحد. فإذا تجاوز عتبة 10 بالمئة التي تجيز له دخول البرلمان فقد يحرم حزب العدالة والتنمية والرئيس رجب طيب أردوغان، من الغالبية البرلمانية التي يحتاج إليها لإقرار تعديل دستوري يعزز سلطات أردوغان الرئاسية.

ويتوقع مراقبون أن تزداد أعداد الهجمات والمظاهرات والاحتجاجات والحوادث التي من شأنها التأثير على صناديق الاقتراع غدا، وأيضا، بعد إعلان النتائج، ومهما كان الفائز. وإذا فشل حزب العدالة والتنمية في تحقيق النصاب المطلوب، فإن أنصاره قد يلجأون أيضا إلى التصعيد، خاصة في ظل تشكيك في نزاهة الانتخابات، التي تبدأ اليوم الأحد

> لا يوجد أي مؤشر على أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان سيغير المسار عما يصفه منتقدون بأنه انجراف نحو الحكم الاستبدادي

ويتنافس فيها 20 حزبا سياسيا، إضافة إلى 165 مرشحا مستقلا، ويبلغ عدد الناخبين داخل تركيا 53 مليونا و765 ألفا و231 ناخبا، فيما يصل عددهم خارج البلاد إلى مليونين و876 ألفا و658 ناخبا.

وانتخابات اليوم هي الأولى التي يخوضها العدالة والتنمية بعد تخلي رجب طيب أردوغان (شكليًا) عن قيادته، ليخلفه أحمد داود أوغلو. ويعتبر الحزب المحافظ، الذي يحكم البلاد منذ 13 عاما، الأوفر حظا للفوز في الانتخابات، غير أنه لأول مرة منذ 2002 يتقدم في موقع أضعف من ذي قبل أمام الناخبين، نتيجة تراجع الاقتصاد والانتقادات المتواصلة التي تأخذ عليه نزعته إلى التسلط، فضلا عن تراجع صورته بسبب استمراره في السلطة؛ وأيضا مع الأخذ بعين الاعتبار الخلافات داخل حزب العدالة والتنمية.

وتشير استطلاعات الرأي، المعروف عنها أنه لا يمكن الاعتماد عليها في تركيا، إلى تراجع شعبية حزب العدالة والتنمية في حين تشير إلى أن حزب الشعوب الديمقراطي قريب من الحد الأدنى لدخول البرلمان.

وإذا نجح حزب الشعوب الديمقراطي المؤيد للأكراد في تخطي هذه النسبة، فإن هذا سيدوّن في التاريخ حيث سيصبح أول حزب كردي ينتخب مباشرة على المستوى الوطني وسيأخذ من حصة مقاعد حزب العدالة والتنمية الحاكم. ومع ذلك، فإن فشله سيسمح لحزب العدالة والتنمية، الموجود في السلطة منذ عام 2002، أن يخرج من الانتخابات بعدد محتمل من أعضاء البرلمان يكفي للبدء في العمل على إجراء تغييرات دستورية لتمكين أردوغان بشكل أكبر.

ويقول فادي هاكورة، محلل في الشأن التركي في المعهد الملكي البريطاني للدراسات، "تشاتام هاوس"، "لا شك أن تراجع شعبية الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية، في حال ما تأكد في الانتخابات اليوم، ستشكل صدعا في درع الشخص الأكثر نفوذا في تركيا."

ويضيف هاكورة قائلا إن "تباطؤ الاقتصاد في تركيا يعد قضية رئيسية، فمن المتوقع أن يبلغ معدل النمو هذا العام نحو 3 بالمئة، وهي مشكلة للحزب الذي اعتمد على الطفرة الاقتصادية لتعزيز شعبيته" كما أن معدل النمو الحالي لن يخفض معدل البطالة البالغ حاليا 11.2 بالمئة والتي من المتوقع أن تتجاوز هذا الحد.

ولن يخوض أردوغان هذه الانتخابات، حيث فاز بالسباق الرئاسي العام الماضي بعد أن شغل منصب رئيس الوزراء لأكثر من عقد من الزمن، وخلفه أحمد داود أوغلو في رئاسة الوزراء ورئاسة حزب العدالة والتنمية، لكن مستقبله على المحك في الوقت الذي يسعى فيه لترسيخ دعائم سلطته.

وحتى إذا فشل حزب العدالة والتنمية في الحصول على أغلبية كبيرة تسمح له بتغيير الدستور، فإنه لا يوجد هناك أي مؤشر على أن أردوغان سيغير المسار عما يصفه منتقدون بأنه انجراف نحو الحكم الاستبدادي، وضيق صدره بالانتقادات في وقت تعرض فيه

هل تنهي نتيجة الانتخابات فترة الاستقرار السياسي في تركيا

منافسوه للمضايقات والاعتقال. وعلى الرغم من إعلان المعارضة عن غضبها مما يحدث، أطلق أردوغان حملة لصالح برنامج الحزب الحاكم، فيما وصفه كثيرون بأنه انتهاك لحظر دستوري على الرئيس يمنعه من الانحياز إلى أيّ حزب. ويعد هذا تلميحا إلى ما عناه أردوغان عندما أصر بطريقة غامضة على أنه يريد إدخال تعديلات دستورية لخلق "نظام رئاسي" لتركيا، فيما يبدو لإضعاف البرلمان.

ويقول سونر كاجابتاي، مدير برنامج الأبحاث التركية في معهد واشنطن، وهو مؤسسة بحثية ذات توجه يميل للمحافظين، إن "ما يريده (أردوغان) حقا هو العودة لإدارة حزب العدالة والتنمية"، الذي يديره حاليا وبشكل صوري رئيس الوزراء أحمد داود أوغلو.

ويعتقد كاجابتاي أن أردوغان قد رأى أن زملاءه من الزعماء الدينيين اليمينيين السابقين فشلوا في الاستمرار في السيطرة على أحزابهم بعد أن أصبحوا رؤساء للجمهورية وفقدوا نفوذهم في نهاية المطاف.

ويقول جاريث جنكينز، وهو باحث لدى برنامج دراسات "سيلك رود"، إنه منذ ضربت أردوغان مزاعم الفساد وانخرط في ممارسة لعبة إثارة الانقسامات الخطيرة "لم يعد بإمكانه التنحي بهدوء".

وإلى جانب قضايا الفساد وتعديل الدستور، برزت خلال الحملة الانتخابية القضية القديمة المتجدّدة، وهي السلام مع الأكراد، والتي اتخذت بعدا جديدا في انتخابات 2015، بدخول حزب الشعوب الديمقراطي المنافسة.

ويتوقّع بعض المراقبين أن تشهد عملية السلام الجارية مع الأكراد منذ عام 2012، انتكاسات أيضا، حيث يتخلى أردوغان بالفعل عن بعض تواصله مع الأكراد وأحيانا يستحضر الخطاب القومي التركي في كلماته. وفي بعض الأحيان زعم أردوغان أن البلاد "لم يعد لديها مشكلة كردية"، الأمر الذي أثار الغضب بين العديد من قطاعات هذه الأقلية التي تشكل نحو 18 بالمئة من سكان البلاد.

ويقول جنكينز "إن المخاوف بشأن انهيار وقف إطلاق النار لا زالت قائمة".

وحتى ما قبل إعلان حزب العمال الكردستاني المسلح وقف إطلاق النار في عام 2013، قتل أكثر من 40 ألف شخص في ثلاثة عقود من الصراع. ولطالما شكا الأكراد من التمييز المنهجي ضدهم.

وفي الأشهر الأخيرة، ازدادت وتيرة المواجهات بين حزب العمال الكردستاني والجيش في جنوب شرقي البلاد. وقطع الاتصال بين حزب الشعوب الديمقراطي وزعيم حزب العمال الكردستاني المسجون عبدالله أوجلان، الأمر الذي أثار قلق الحزب.

وربما لم يعد بإمكان حزب العمال الكردستاني إعادة إشعال التمرد بشكل كامل، لأن مقاتليه مشغولون في الوقت الراهن في المعركة التي يخوضونها ضد تنظيم الدولة الإسلامية المتطرف في سوريا والعراق بمساعدة قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة. ومع ذلك، ففي أكتوبر 2014، شهدت المناطق الكردية اضطرابات مخلفة 40 قتيلا، بعد أن اتهم أردوغان بعدم تقديم المساعدة لردع تنظيم الدولة الإسلامية.

> تراجع شعبية الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية في حال ما تأكد في الانتخابات سيشكل صدعا في درع الشخص الأكثر نفوذا في تركيا

وسيبقى تكرار هذا النوع من العنف عالقا في أذهان الكثيرين إذا لم يتمكن حزب الشعوب الديمقراطي من دخول البرلمان. ويقر الموالون لحزب العمال الكردستاني أن الشباب أكثر تطرفا وأن لديهم توقعات كبيرة فيما يتعلق بالوصول إلى حل سريع ومرض للصراع.

هذا فضلا عن أن التركيبة المؤلّفة من المسألة الكردية والصراع على السلطة داخل الحزب الحاكم والشعور بأن أردوغان سيسعى لترسيخ أركان حكمه بغض النظر عما سيحدث في يوم الانتخابات، قد أثارت قلق من يراقبون الشأن التركي.

وقال هاكورة "لقد انتهت فترة الاستقرار السياسي بالفعل.. ليس فقط خلال الأشهر الـ12 المقبلة ولكن أيضا على مدى السنوات الخمس المقبلة". وقال جنكينز "أعتقد أننا في مرحلة وداع أردوغان. لكننا لا نعرف الفترة التي سيستغرقها هذا الأمر وكيف ستكون طبيعتها".

حلم أردوغان: السلطان هو من يحكم

بوراك بكديل*

❑ **يتوجّه الأتراك اليوم إلى صناديق الاقتراع لانتخاب نواب البرلمان. وفي الواقع سيتوجّهون إلى صناديق الاقتراع ليقرّروا ما إذا كانوا يريدون سلطانا منتخبا أم لا.**

يريد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ما هو أكثر من مجرد الفوز بأغلبية برلمانية لحزب العدالة والتنمية. إنه يريد الحصول على أغلبية الثلثين حتى يتمكّن من تعديل الدستور لفرض نظام رئاسي تنفيذي ويتمكّن السلطان من جديد من الحكم بطريقة رسمية.

في سنة 2003 قارن برهان كوزو، رئيس اللجنة الدستورية في البرلمان عن حزب العدالة والتنمية، الرئاسة الأميركية بالسلطات الواسعة لرئيس الوزراء التركي (الذي كان وقتها رجب طيب أردوغان) حيث قال "أوباما رجل مسكين، أما رئيس الوزراء فهو قوي".

لقد كانت تلك جملة أخرى عبّر بها عن هوسه لتحويل الديمقراطية البرلمانية التركية إلى نظام رئاسي تنفيذي "على الطريقة التركية" حيث يحكم رجل وحيد دون أيّ رقابة أو سلطة موازنة.

إن السلطات التي يتمتّع بها الرئيس التركي لا ترضي أردوغان. صحيح أنه الرجل القويّ لكنه يريد المزيد. إنه يريد سلطات غير محدودة تقريبا فهو يريد أن يكون السلطان المنتخب بطريقة ديمقراطية لإمبراطورية تركية من المفترض أن تنشأ.

بالرغم من البنود الدستورية التي تفرض على الرئيس بألا يكون متحزّبا في شؤون السياسة الداخلية، تولّى أردوغان أمر الحملة الانتخابية وتنقّل من تجمع شعبي إلى آخر مهاجما أحزاب المعارضة وممجّدا "قصص النجاح" لحزب العدالة والتنمية.

يقول أردوغان باستمرار إنه يريد 400 نائب في البرلمان، لكنه لا يقول لأيّ حزب يريد هذا العدد من الأعضاء. في الحقيقة هو ليس مجبرا على ذلك فالجميع يعرف. وهذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها رئيس تركي يفترض أن يكون غير متحزّب حسب أحكام الدستور بجولة في كافة أنحاء البلاد دعما لحزب سياسي معيّن.

يتكون المجلس التشريعي التركي من 550 مقعدا، وكل حزب (أو ائتلاف حزبي) يتحصّل على 276 مقعدا يمكنه تكوين حكومة، لكن ينبغي الحصول على 330 صوتا لعرض تعديل دستوري على الاستفتاء، و367 صوتا لتمرير تعديل دستوري في البرلمان دون استفتاء. وحزب العدالة والتنمية ليس بصدد السعي للحصول على 276 مقعدا لتشكيل حكومة من حزب واحد، بل من أجل 330 مقعدا على الأقل لجعل أردوغان سلطانا منتخبا.

كل استطلاعات الرأي بما في ذلك تلك التابعة للمعارضة تضع حزب العدالة والتنمية في الصدارة، لكن بالرغم من أنه شبه مؤكد بأن يخرج حزب العدالة والتنمية فائزا، ربما يخرج خاسرا أيضا. إذا تمكن الحزب المؤيد للأكراد، حزب الشعوب

> أردوغان ليس راضيا بالسلطات التي يمنحه إياها الدستور التركي. إنه يريد المزيد، يريد أن يصبح السلطان التركي المنتخب. إنه لا يريد أن يكون «أوباما المسكين»، بل يريد كما يقول «تنفيذ القرارات»

الديمقراطي، من تجاوز عتبة العشرة بالمئة من الأصوات لدخول البرلمان، ستتحصل الأغلبية لدى حزب العدالة المتراوحة بين 40 و45 بالمئة على عدد من المقاعد يتراوح بين 280 و310 مقعدا وبالتالي لن يتمكّن من تعديل الدستور تماشيا مع رغبات السلطان.

ومن ثمة يتمثل مفتاح فهم ما سيحصل بعد السابع من يونيو في متابعة أداء الحزب الديمقراطي الشعبي فإن لم يحصل على 10 بالمئة من الأصوات على المستوى الوطني فلن يفوز بأيّ مقعد في البرلمان وستذهب أغلب المقاعد التي كان سيفوز بها إلى حزب العدالة والتنمية، والفضل في ذلك يعود إلى نظام الاقتراع التركي. وبنفس النسبة المئوية من الأصوات يمكن لحزب العدالة والتنمية الحصول على 280 أو 330 مقعدا وذلك حسب نجاح الحزب الكردي في الوصول إلى البرلمان من عدمه، ومن ثمة سيفشل حزب العدالة والتنمية أو ينجح في تعديل الدستور من أجل رئاسة "على الطريقة التركية". وذلك ليس عدلا في بلد العدالة فيه ليست شيئا تافها.

فاز أردوغان بتسعة انتخابات منذ سنة 2002 (ثلاثة برلمانية وثلاثة بلدية واستفتاءين وواحدة رئاسية) ومع ذلك ليس راضيا بالسلطات التي يمنحه إياها الدستور التركي. إنه يريد المزيد، يريد أن يصبح السلطان التركي المنتخب. إنه لا يريد أن يكون "أوباما المسكين"، بل يريد كما يقول "تنفيذ القرارات". حالما يصدر الأوامر لا يجب أن تكون هناك رقابة قضائية أو دستورية أو برلمانية، يجب تنفيذ قراراته بالضبط مثلما هو الحال مع قرارات السلطان.

لم يكن السلاطين العثمانيون ينتخبون. وإذا تم انتخاب أردوغان ستصبح تركيا أكثر استقطابا من ذي قبل وستضعف القدرة على إدارتها فهو سيكون رئيسا ليس لكل البلاد بل لأقل من نصف الأتراك، في حين يكرهه النصف الآخر أكثر من أيّ وقت مضى. وإن فشل من المحتمل أن تندلع معركة داخل حزب العدالة والتنمية حيث بدأت الكثير من الشخصيات السياسية غير الراضية، لكنها الصامتة إلى حد الآن، في إطلاق النار في كل الاتجاهات.

اليوم، السابع من يونيو، يكسب أردوغان الكل أو لا شيء، فإما أن يكون الرجل المنعزل الذي يعيش في قصر رئاسي معزول في أنقرة ويداه مغللتان بقيود دستورية ويحلم بسلطنة منتخبة، أو سيصبح أول سلطان منتخب في الامبراطورية التركية التي يحلم بها.

* باحث بمعهد غاتستون للسياسة الدولية

تائهون في موجات التهجير وعنف الحق التاريخي

وجوه السكان الأصليين وخرائط الشرق القديم الحديثة

إبراهيم الجبين

❏ الهندي الأحمر سياتل زعيم قبائل دواميش واسكواميش الهندية الحمراء في الشمال الغربي لأميركا، استسلم للمستوطنين، ووقّع معهم معاهدة صداقة، واعتنق دينهم، ولكنه أراد أن يترك وصيته خلفه، في خطاب أمام إسحق ستيفنز حاكم مقاطعة واشنطن في العام 1845 قبل توقيع المعاهدة التي سلم بموجبها سياتل أراضي قبيلته للمستوطنين البيض. ولا يجب أن تغيب عن الذهن كلمات ذلك الهندي الأحمر سياتل والتي قال فيها "بعث الرئيس من واشنطن رسالة يعلمنا فيها عن رغبته في شراء أرضنا، ولكن كيف يمكنك شراء أو بيع السماء؟ أو الأرض؟ هذه الفكرة غريبة علينا، كل جزء من هذه الأرض هو مقدس عند شعبي، كل إبرة صنوبر وكل شاطئ وكل نقطة ندى في الغابات المظلمة وكل ينبوع ماء. نحن جزء من هذه الأرض وهي جزء منا، الأزهار العطرة هي أخواتنا، الدببة والغزلان والنسور هم إخواننا، كل خيال في مياه البحيرات الصافية تخبر ذكريات في تاريخ شعبي، رقرقة المياه هي صوت أجدادي، الأنهار هي أخوتنا يحملون زوارقنا ويطعمون أولادنا. نعرف التالي: ليس مرجع الأرض الإنسان، وإنما الإنسان مرجعه الأرض، كل شيء في الدنيا مترابط ترابط الدم الذي يوحدنا، لم يصنع الإنسان الحياة ولكن هو فقط خيط في نسيجها، كل ما يفعله لهذا العش من نفع أو ضرر سيعود عليه، مستقبلكم غامض بالنسبة إلينا، ماذا سيحصل عندما تبيدون كل أبقار البوفالو؟ ماذا سيحصل عندما تطغى رائحة الإنسان على زوايا الغابات النائية أو عندما تشوب الأسلاك الكهربائية مناظر الجبال؟ هذه هي نهاية العيش وبدء صراع البقاء، عندما يختفي آخر هندي أحمر مع غاباته ولا يبقى من ذكرياته إلا خيال سحابة عابرة فوق البراري، هل ستبقى هذه الشواطئ والغابات؟ هل سيبقى أيّ أثر لروح شعبي؟".

> الإحصاءات والدراسات تؤكد اليوم وجود ما يقارب الـ370 مليون إنسان في العالم، يعتبرون «سكانا أصليين» منهم 70 بالمئة في آسيا وحدها، بينما تعيش الـ30 بالمئة الباقية في أميركا الشمالية والجنوبية وكذلك في أستراليا، لهؤلاء ما يعتبره المجتمع الدولي ومجتمع العلماء، «حقوقا أصلية»

والواقع، أن الشواطئ والغابات والجبال والبراري، بقيت واستمرت، ونشأت فوقها مواقع استثمارية ومستوطنات، وبات الهندي الأحمر عنصراً من عناصر الفلكلور الأميركي، وقسماً من أقسام المتاحف الوطنية ووسائل الترفيه، ليصبح الهنود الحمر باعتراف جميع السلطات والهيئات الأميركية "السكان الأصليين" لأميركا، ولكن دون أيّ حقوق خاصة.

كلمات الهندي الأحمر هي ذاتها، ما يحدّث نفسه بها، كل إنسان من هؤلاء الذين يشعرون بأنهم سكانٌ أصليون، وأن غريباً اجتاحهم واستوطن أرضهم، وتعود فكرة السكان الأصليين، إلى نظريات مختلفة، منها القومي والديني والجغرافي، دون أن تتبرأ تلك النظريات من خلل الوقوع في هاوية "الحق التاريخي" الذي يعمل المؤمنون به، على ليّ عنق التاريخ ومحاولة إعادته إلى الوراء، بحثاً عن موطئ قدم هنا أو هناك في خرائط العالم الحديثة.

السكان الأصليون هم بحسب التعريفات، من كان يسكن أولا، قبل الغزو والفتح والاجتياح والإبادة والتهجير، وتقول الدراسات إنه يوجد اليوم ما يقارب الـ370 مليون إنسان في العالم، يعتبرون "سكانا أصليين" منهم 70 بالمئة في آسيا وحدها، بينما تعيش الـ30 بالمئة الباقية في أميركا الشمالية والجنوبية وكذلك في أستراليا، لهؤلاء ما يعتبره المجتمع الدولي ومجتمع العلماء، "حقوقاً أصلية" يتم الاعتراف بها، بعد أن يجري اعتبار هؤلاء سكاناً أصليين، وتضم حقهم في أرضهم، والتحدث والكتابة بلغتهم، وكذلك اعتناق أديانهم وتراثهم الثقافي والفكري، مما يجعلهم "شعبا" يمتلك الحق بتقرير مصيره على أرضه التاريخية، ويضمن القانون الدولي حماية أولئك السكان الأصليين من أيّ شكل من أشكال الاضطهاد الذي قد يمارس ضدهم لحرمانهم من حقوقهم "الأصلية".

ومن هؤلاء في العالم الهنود الحمر والأكراد والعرب والسريان والآشوريون والتركمان والزولو والإنكا، وكذلك اليهود والمسلمون والمسيحيون والبوذيون والإيزيديون، وبالطبع الكثير من المذاهب.

السكان الأصليون في الشرق الأوسط

توجد في الشرق الأوسط سلالات كثيرة، تدّعي كلها بأنها من السكان الأصليين الأحق بهذه البقعة أو تلك من خارطة الشرق الأوسط، بعض تلك السلالات انقرض تماماً، مثل الفينيقيين والأكاديين وغيرهم، غير أن المستمرين من أحفاد تلك السلالات في الوجود، يطالبون بحقوقهم التاريخية، التي كما يقولون، تم هضمها، عبر الفتوحات العربية والإسلامية القديمة، التي أزالت سلطاتهم من الوجود، وأنشأت محلها الدولة العربية الأولى بعد ظهور الإسلام.

ومع صعود القوى الدولية المدافعة عن حقوق السكان الأصليين، بدا شرعياً أن يطالب هؤلاء بحقوقهم كاملة، لذلك فقد كان أول من طالب بالحقوق الأصلية (القومية)، العرب، في ثورتهم ضد العثمانيين، بالتوازي مع مطالبة آخرين بحقوقهم الأصلية (الدينية) أيضا، ولم يكونوا حينها سوى اليهود، فنشأ قطبان أحدهما قومي والآخر روحي، يشعان بفكرة الحقوق الأصلية على جميع سكان المنطقة، لتصعد الحقوق القومية مرة، ثم تهبط لتخلفها الحقوق الدينية، وهكذا، في دولاب ناري متواصل الدوران، ينتج كل مرة شعباً جديداً وطائفة جديدة تنادي بالحق.

لكن زحام وتداخل الخرائط العتيقة في الشرق الأوسط، وتراكم الحقب التاريخية، مع استمرار تلك السلالات في الحياة، يجعل من مسألة الحقوق الأصلية، أمراً غاية في التعقيد، فالحضارات والدول التي قامت في الشرق الأوسط تتالت بصورة لا يمكن معها الفصل بينها بسكين عنصري أو ديني صارم، من حضارات السومريين والأكاديين والآشوريين والفينيقيين والكنعانيين والآراميين وسواهم، في بلاد ما بين النهرين، بمختلف مكوناتها، السومرية، والبابلية، والكلدانية، والآشورية، ثم الفتوحات العربية والخلافتين الأموية والعباسية، وكذلك في الأناضول حيث حضارة الحثيين، والسلاجقة والعثمانيون، ليتحول الشرق الأوسط من منبع لولادة الحضارات إلى "مقبرة للحضارات" كما يطيب لبعض المفكرين تسميته.

ولأن الشرق الأوسط يتموضع عند مفترق طرق العالم، فقد تنازع عليه العالم القديم، وكذلك العالم الوسيط والحديث، مثل الحضارات التي عاشت على ضفاف النيل وتلك التي عاشت في بلاد فارس والبحر الأبيض المتوسط وأوروبا وشبه الجزيرة العربية وآسيا الوسطى، كل أولئك حاولوا الهيمنة على تلك الرقعة من شطرنج الأرض، وجعلوا من الصراع عليها أمراً لا مفر منه كل مرة.

ولم تجد نفعاً المحطات العسكرية التي فصلت بين القوات، بالنصر لهذا أو الهزيمة لذاك، منذ معركة قادش في العام 1294 ق. م، حيث تحارب فيها المصريون والحثيون، وكذلك معركة جاوجاميلا 331 ق. م، التي دارت في منطقة أربيل، بقيادة الإسكندر، والتي أنهت في يوم واحد قرنين من الهيمنة الفارسية، ليعود العرب في العام 636 للميلاد، في معركتي اليرموك والقادسية، وينهوا وجود الإمبراطوريات البيزنطية والفارسية شرقاً وغرباً.

آشوريون وعرب وكورد

تعج الكتب بالكثير من الروايات عن العرب وأصولهم، بعضها أسطوري، وبعضها الآخر علمي، يرصد التواجد الحقيقي لأولئك السكان الأصليين، على مناطقهم، وعلى أراض أسسوا فيها ممالك وإمارات ودولا، عاشت وازدهرت وانهارت، مثل غيرهم من الشعوب، إلا أن أكثر ما يلفت النظر حديث مملكة الرها التي نشأت في شمال بلاد الرافدين والجزيرة السورية وجنوب تركيا، وهي جزء أساسي من المنطقة التي تعرف باسم كردستان، والتي يتم اليوم الاقتتال على القسم السوري منها، من أجل إحياء الحق التاريخي الكردي من جديد، إضافة إلى مملكة تدمر العربية، وإمارة حمص وسواها، التي امتدت خرائطها لتشمل تلك الأرض في أوقات متفاوتة، سبقهم الآشوريون الذين يعتبرون أنفسهم ساميين مثل العرب، وتتقاطع لغتهم مع العربية والعبرية، عاشوا في منطقة الخابور السورية، الأمر الذي يؤكده اكتشاف رقم آرامية تحتوي على أسماء آشورية، يضاف إليهم الأموريون الساميون الذين أقاموا سلالات حاكمة في أسين و لارسا، وكان من أهم الممالك الأمورية التي نشأت في بلاد الرافدين المملكة البابلية الأولى. التي تأسست في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

الآراميون الساميون الذين استوطنوا سوريا، كانوا قد هاجروا من جزيرة العرب، وكانوا من البدو، وكوّنوا ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد، دويلات عديدة سيطرت على بلاد واسعة في الجزيرة الفراتية في سوريا بين دجلة والفرات، وأسسوا مجموعات زراعية مستقرة. وكان اسم تلك المنطقة في زمنهم "بلاد آرام" قبل أن تحمل اسم "سوريا".

أما الأكراد أو الكورد فهم كما يقول المؤرخ الكوردي محمد أمين زكي (1880 – 1948) في كتابه "خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان" ينقسمون إلى طبقتين من الشعوب، الطبقة الأولى التي كانت تقطن كردستان ويسميها محمد أمين زكي "شعوب جبال زاكروس وهي بحسب رأي محمد أمين زكي شعوب "لولو، كوتي، كورتي، جوتي، جودي، كاساي، سوباري، خالدي، ميتاني، هوري، نايري" وهي الأصل القديم جدا للشعب الكوردي، أما الطبقة الثانية فهي طبقة الشعوب الهندو- أوروبية التي هاجرت إلى كردستان في القرن العاشر قبل الميلاد، واستوطنت كردستان مع شعوبها الأصلية أي "الميديين و الكاردوخيين"، وامتزجت مع شعوبها الأصلية ليشكلا معا الأمة الكوردية.

الميديون الأصليون يستند جذرهم إلى ما ورد في التوراة، راداً إياهم إلى سلالة يافث بن نوح، وكان أول ذكر لهم في المخطوطات اليونانية في العام 836 ق.م، عندما تم ذكر دفع الميديين الجزية للملك الآشوري شلمنصر الثالث، وقرابة العام 1500 ق.م هاجرت قبيلتان رئيسيتان من الآريين من نهر الفلوغا شمال بحر قزوين، واستقرتا في إيران، وكانت القبيلتان هما الفارسيون والميديون، وقد حاول مؤرخون كثر، إثبات أن الأكراد جاؤوا من مناطق بعيدة، بينما حاول المؤرخون الكرد برهنة العكس، من أن الكرد هم سكان أصليون لهذه الأرض التي هيمن عليها العرب، لكن تأصيل اللغات الكردية، يردها دوماً إلى منشأ هندو أوروبي، وبالتالي إلى أعراق آرية أو أوروبية، إلا أن أحداً لا يستطيع إنكار وجود الأكراد على المنطقة التي تعرف بكردستان منذ قرابة الثلاثة آلاف عام، لكن لم يتمكن أيّ من المؤرخين الكرد أو العرب أو سواهم، من نفي وجود شعوب أخرى على ذات الرقعة، حيث أن تلك الأرض لم تكن صافية العرق يوماً من الأيام.

> وجود ثلاثة أقانيم، أولها يعتمد المذهبية والعرقية معا في بسط نفوذه (إيران) وثانيهما يصر على مفهوم الحق التاريخي وإعلان الدولة الدينية (إسرائيل) وثالثهما يعتمد الفتح والخروج على جميع المبادئ والشرائع الدولية والإقليمية لتأسيس كيان ديني متطرف (داعش) فإن بروز بقع توتر قومية أو دينية أخرى قابل للحدوث في أي لحظة

الإنسان سليل عرق ما أو وريث دين ما، يقوم على مبدأ الصفاء العرقي، الذي ينطوي على موقف من الآخر، حيث يصبح كل من لا ينتمي إلى هذا العرق أو الدين، من "الأغيار" الذين يتوجب التعامل معهم، إما بالتحالف أو التقاتل، أو العيش ضمن المعادلات القائمة، بينما تشير الظروف التي رافقت تلك الشعوب التي تعيش في الشرق الأوسط، ويعتبر كل منها نفسه من السكان الأصليين، أن تداخلاً كبيراً كان قد طرأ عليها، سواء من ناحية العقائد، أو التزاوج الذي يخلط الأعراق، وينتج أجيالاً وسلالات غير صافية، وبالتالي لا تنطبق عليها المواصفات ذاتها التي تبرّر نفي الآخر واتخاذ موقف حاد منه، فلا يعرف أحد كيف سيكون شكل الدولة العرقية الصافية، أو شكل الدول الدينية الصافية، بوجود الأعداد الهائلة من الأغيار، في أراضيها منذ مئات وآلاف السنين.

وكثير من أصحاب ذلك المنطق، من قادة الرأي والزعماء السياسيين، يواجهون مشكلة حقيقية في إقناع مؤيديهم بأن لهم الحق في إعلان مشاريع صافية العرق أو الدين أو المذهب، فتتشكل لدينا مجموعة هائلة من المشكلات صعبة الحل، مثل مشكل السكان الأصليين الفلسطينيين، ومشكلة السكان الأصليين العرب في ما سيعرف بكردستان في حال إعلانها، لا سيما بعد الاستقلال شبه التام الذي يتمتع به إقليم كردستان في العراق، وكذلك بالنسبة إلى السكان الأصليين من الآشوريين، الذين تمّ تهجيرهم من غرب العراق في الثلث الأول من القرن العشرين ، ولاحقاً من سوريا بعد استيطانهم فيها، وكذلك العرب السنة الذين يتعرضون للتهجير في مناطق مختلفة من العراق وسوريا، داخل بلدانهم وخارجها، مما يخلق دوامة لونية من الهجرات والنزوح، في عموم خارطة الشرق الأوسط، لن تستقر إلا بحدوث تفاهم ما بين القوى التي تتحكم بالنزاع.

بوجود ثلاثة أقانيم، أولها يعتمد المذهبية والعرقية معاً في بسط نفوذه (إيران) وثانيهما يصر على مفهوم الحق التاريخي وإعلان الدولة الدينية (إسرائيل) وثالثهما يعتمد الفتح والخروج على جميع المبادئ والشرائع الدولية والإقليمية لتأسيس كيان ديني متطرف (داعش) فإن بروز بقع توتر أخرى قابل للحدوث، في تصاعد ونمو مشروع حزب العمال الكردستاني المدعوم من إيران والأسد في شمال سوريا، ومع توارد الأخبار عن تهجير أكثر من مئة وخمسين ألف عربي من قراهم، أو منعهم من العودة إليها، بذرائع مختلفة، كما اعترفت رسمياً القيادات العسكرية لقوات حماية الشعب الكردية، وتطوّر حجم جبهة النصرة التي تتبع لتنظيم القاعدة في سوريا، مقابل الحشد الشعبي الذي يتشكل كطائفة مسلحة، وحزب الله اللبناني، وحوثيي اليمن، كل هذا سيساهم في تصعيد الفكر القومي من جديد، ومعه التعصب الديني، بدلاً عن فكرة العيش المشترك على أساس المواطنة، الذي هتفت له الشعوب، ولكن هذه المرة، لن يكون الحل بتنصيب أنظمة حكم ذات جدران حديدية، وقبضات حديدية، وهراوات لا ترحم، لأن الوقت فات على السيطرة على الشعوب والسكان الأصليين باستعادة أو خلق حقوقهم من جديد.

الاضطهاد والاستقرار

تعرضت مختلف أقوام الشرق الأوسط، لموجات هائلة من الاضطهاد والتهجير، وبالمقابل موجات هجرة ونزوح وانتقالات جغرافية، فرضتها الظروف الجيوسياسية، التي لم تتوقف عن التحوّل، مؤثرةً على مفهوم الاستقرار، فارتبط هذا الأخير، بمفهوم القوة، أكثر منه بالعيش المشترك، وبات من الضروري فرض التعايش بالهيمنة، لا بالخيار الذاتي، أو بالحق التاريخي.

فما شهده الشرق الأوسط عبر تاريخه، وصولاً إلى القرن العشرين، وبدايات القرن الحادي والعشرين، لم يكن سوى تكوين سياسي مفروض بالقبضة الحديدية، يجمّع تلك المكونات، ضمن خرائط ثابتة، يرسمها الأقوى، سواء في حالة الدولة التي قامت على الفتح، أو الدول التي قامت على الاستعمار المباشر، وصولاً إلى خرائط سايكس بيكو سازانوف، التي وضعت قواعد لعبة العيش والاستقرار في الشرق الأوسط للمئة سنة الماضية.

وخلال تلك السنين المئة، صعدت مشاريع دول أراد بعضها أخذ شرعيته من الحق القومي، وآخر فضّل الشرعية الدينية، بعيداً عن مفهوم الدولة الحديثة، التي هي لكل مواطنيها، المفهوم الذي كان يتعرض هو الآخر للتغير المستمر في البلاد الأكثر تقدماً مثل أوروبا والولايات المتحدة غرباً وروسيا وآسيا شرقاً.

مغربي حصل على الغونكور وما زال صارما مع ذاته

عبداللطيف اللعبي والكتابة بصيغة الاعتقاد

شرف الدين ماجدولين

❑ كان لقائي الأول بصاحب "تمارين في التسامح"، في ندوة احتضنتها كلية الآداب بمكناس أواخر التسعينات. كان صباحا نديا تتخلله نسمات برد، لكن الجو عموما بدا صحوا بعد أمطار متقطعة استمرت طوال الليل.

كنت قد انتهزت الدقائق القليلة المتبقية قبل المغادرة في تصفح الجرائد في بهو الاستقبال في الفندق. لفت انتباهي الخبر المنشور المعلن عن احتفاء أدبي بالشاعر والروائي المغربي عبداللطيف اللعبي، كان الأمر يتعلق بفعاليات الندوة التي انتهينا من وقائعها مساء اليوم السابق. وقد أرفق الخبر بصورة عتيقة للشاعر التقطت له، على ما يبدو، قبل ثلاثين عاما؛ بشعر كث قوي، ولحية مشذبة، بالكاد بدأ يتخللها الشيب. بدت المفارقة موحية بقوة؛ سعيا واعيا، إلى مماثلة الصورة الذهنية الثاوية في الدواخل عن الشاعر المناضل برمزيته في الحياة والأدب، حيث يستمر دوما في الإيحاء بالعنفوان والفتوة.

اللعبي يتحول إلى أيقونة

في الثامنة وبضع دقائق ألمح اللعبي يترجل من المصعد الرئيسي في بهو الفندق، حسب الموعد الذي اتفقنا عليه، كان لا يزال لدينا بعض الوقت لأخذ فنجان قهوة، كنا وحيدين، مهدودين بفعل السهر، استثرنا بعض التفاصيل عن ندوة أمس، وكان يبدو مقتنعا بالكثير مما قيل في المداخلات النقدية، ومغتبطا أكثر بأسئلة الطلاب وتعقيباتهم، واندفاعهم الحماسي، ربما لم يرق له ذلك الإلحاح المستمر في التركيز على ماضيه النضالي، لم يستسغ أبدا أن يتحول إلى أيقونة. كان كاتبا، لا صانع تمائم. ولم ير في كل ما جرى، بعذاباته وآلامه وأحلامه، بطولة ما، وإنما قدر جيل وزمن في مسار هذا الوطن، وبات يلحّ أكثر على استبطان الحصيلة التي انتهينا إليها اليوم، وضرورة تحصين المكاسب المنجزة على صعيد الحريات والقيم في الحياة وفي الكتابة. كان مدهشا، بحق، سمت التفاؤل العقلاني في نبرات صوته، وقد عتقته السكينة في قسمات الوجه، والنظرات، وحركات الجسد. بدا أبعد ما يكون عن مهاوي الخيبة السوداء، دون خوف ولا ضغينة، لم تفتر جذوة الروح الناقدة، المتمردة، تمد دواخله بجنون الأمل.

أتمثل الآن ذلك الإغراء الرهيب الذي جعلني أحوّل مسار رحلتي مستجيبا لدعوة الكاتب الكبير لمرافقته إلى الرباط، أستحضره على نحو شبيه بالصور التي التقطتها ذاكرة اليفاعة من "يوميات قلعة المنفى" و"تجاعيد الأسد"، ففي ثنايا الاسترجاع التخييلي، اكتشاف جديد لقدرة التجاوز، وتثبيت لأحاسيس يتربص بها البعد والغياب. من هنا، تحدوني الرغبة، فترة بعد أخرى لاستعادة دفقات الحبور التي اجتاحتني وأنا أستمع إلى اللعبي، وأتابع بنهم ثرثرته الوديعة، وهو يقود سيارته البيضاء الصغيرة، وكأن في الاقتراب من تلك اللحظة الهاربة، احتماء من الزيف والابتذال، برهنة للذات على أن الأدب بحث عن التوازن الأخلاقي، وجدلية مطّردة بين الخطاب الصادق والاختيار النقدي في الحياة وبين الناس.

حارس الأحلام المنسية

كان اللعبي يتحدث كما لو في كتاب من كتبه، تستمع إليه فتتداعى الصور والمقاطع الرهيفة، المفعمة بالمشاعر الناعمة، تحدث عن أبويه، وعن البساطة النبيلة التي تكتنز سر السكينة، وعن الأريحية الفطرية، وعن الأحلام الصغيرة قرينة العيش على الحافة، وعن الحدب الشديد الذي لا يضارع بأيّ ترف، كان في حديثه ما يشارف التقديس لذلك الحضور الآفل، المستمر في الوجود رغم غيابه. تنطق عيناه بولع الطفل الذي كانه.

وإذا أردنا، اليوم، أن نضع عنوانا يعكس مسارات عبداللطيف اللعبي بكثافتها وحصافتها، وقسوتها العاتية أحيانا، فلن يكون إلا "حارس الأحلام المنسية"، إنه الكائن الذي طوّع حالة العيش بين المعابر والمرافئ والتجارب المتبدلة لتصير سندا للأمل، لنفي الضرورة وتبجيل الحرية، هو الضمير الذي حوّل الكتابة إلى عمل يومي، تنتفي بتوقفه شهوة الحياة، ليس غريبا إذن أن يستحيل مع مرور الزمن إلى كيان هلامي تلاشت ملامحه الحسية خلف الكلمات والصور، والمبادئ والأسطر الشعرية، والخيالات المنبعثة من عزلة الأقاصي.

لم يأخذ اللعبي يوما مجريات العيش لعبا أو كمراقب محايد، يطالعها وهي تتكشف ببطء أمامه عن خيبات متناسلة، بل كان يشحنها بكل توتره وحيويته، بكل قلقه وجسارته، حتى تعطي سرها، لقد امتلك دوما قدرة الابتعاد وخط المسافات مع الأمكنة والشخوص والعلاقات، لم يستسلم لسكينة الثبات والتواؤم، التي تستهوي الكثيرين، وتجعلهم يحذفون كل ما هو حيوي وخصب، فيجرفهم شلال الصمت. لذا كانت جديته غير قابلة للمعابثة، حجابا حريريا شفافا وصعب الاختراق في آن. إنه غير لعبي بتاتا حين يتعلق الأمر بدور الكاتب وواجبه في المقاومة ومنح الأمل. فيجعلك تقرأه على الدوام بولع وانصهار وجدانيين: روائيا ومسرحيا، وقبل كل شيء شاعرا، غير مهادن في إبراز هامشية الصوت الذي مثله، ونموذج الهوية التي آمن بها، هوية الشاعر المنفي عن كل مراتع الانتماء.

"شاعر يمر"، "تجاعيد الأسد"، "مجنون الأمل"، "احتضان العالم"، "شجون الدار البيضاء"، "ذاكرة الجسد"... حلقات من تكوين أدبي ينتظم على إيقاع الإصغاء لثلاثية الذات والذاكرة والآخرين، رؤيا تتناسخ عبر إبدالات وضمائر وتعبيرات لفظية، تحرس الحلم المنسي، ونفس إنساني لا يفقد نسغه الرومانسي، ولا حرقة أسئلته الوجودية، مع حضور -في الخلفية- للهمّ السياسي، واحتفاء دنيوي مبهج، وكشف تأملي لخبايا الذاكرة والمقبل من الزمن.

تمارين في التسامح

هكذا يمضي صاحب "تمارين في التسامح"، في خيال من قرأه وصادقه عن بعد، صوتا لضمير الانتفاء، وخطابا متمردا يتعهد بحدب خطاطات اليافعين، ولم ير في كل ما جرى، بعذاباته وآلامه وأحلامه، بطولة ما، وإنما قدر جيل وزمن في مسار هذا الوطن، وبات يلحّ أكثر على استبطان الحصيلة التي انتهينا إليها اليوم، وضرورة تحصين المكاسب المنجزة على صعيد الحريات والقيم في الحياة وفي الكتابة. ففي ثنايا الاستعادة التأملية، اكتشاف لقدرة التجاوز، وتثبيت لأحاسيس يتربص بها البعد والغياب، يبدو مدهشا، بحق، سمت التفاؤل العقلاني في نبرات صوته، وقد عتّقته السكينة في قسمات الوجه، والنظرات. فتتخايل ظلاله الرمزية أبعد ما تكون عن مهاوي الخيبة السوداء، دون خوف ولا ضغينة، لم تفتر جذوة الروح الناقدة، المتمردة، تمد دواخله/دواخلنا بجنون الأمل.

هكذا كتب عبداللطيف اللعبي "يوميات قلعة المنفى"، و"حرقة الأسئلة"، و"الهوية: شاعر" و"قاع الخابية". لمجابهة النسيان، والتخلص من وشم قديم في الروح والحنايا، وامتحان صبوات الحياة، واختزال تفاصيل المعابر والمعازل، التي أرّخت لمواجد الذات وتطلعات المحيط وتحولات الزمن، ومجابهة ذلك الضمير المستتر الذي كثفت هامشيته سنوات المنفى الدائم والسؤال المسترسل، وليقدم تجربة تتجاوز ذات الكاتب الضحية، فالضحية لا تتكلم، وإنما تموت، بينما الكاتب يشهد، يكشف عن معنى آخر للكتابة، المعنى الذي يستنطق ضمير الانتفاء.

يمثل المتكلم في كل كتابات اللعبي كبرهان على جدوى المقاومة في دائرة تفتقر إلى معيار متوازن للقيم، وبغض النظر عن وضع الانتفاء والانشقاق التاريخيين اللذين ميزا حالته شخصيا، في تجربته مع فقدان الحرية ثم الرحيل والاغتراب؛ فإن المقاومة ما فتئت تكرّس أبعاد "الانزياح" و"الخروج" بوصفهما محصلتين رمزيتين حاضرتين على جهة اللزوم في أيّ عملية إبداع كبرى، تتطلع إلى تخطي وضع الضرورة، قبل أن تكون فجوة ذهنية مسكونة بالسؤال بين الذات ومحيط انتمائها، وبين المبدع وأصوله.

إيحاء أسطوري

صحيح أن الابتعاد الممتد في الزمن، المسربل بالعذابات، لا يخلو من انثلام في الوعي، هو نتيجة الخيبات المتكررة في إيجاد مساحات خصبة للممارسة الكتابية المنطلقة، وصحيح كذلك أن المنابذ القصية في الجغرافيا، تنطوي على مقوّمات حصار وجودي دائم، إنما الأكيد أنها تمثل أفقا فارقا لاستبطان الذات، دون وجل من تسطح الرؤية بفعل الانغمار في فضاءات الألفة. ولا يجب أن ننسى هنا أن المنفى و/أو المعتقل لم يكن زمنا ظرفيا في تجارب "ناظم حكمت" و"نيرودا"، كما لم يكن زمن عبور عند "جون جنيه"، وإنما صيغة عيش وتفكير لا رجعة فيها. إنه، الموقع ذاته الذي جعل "اللعبي"، في اعتقادنا، يرى في العزلة القهرية تجليا استعاريا لوطن الكتابة؛ ذلك، على الأقل، ما يوحي به عنوان كتابه "يوميات قلعة المنفى"، الذي لم يكن يبتعد عن كونه تفصيلات شفافة لانخراط متجدد في عالم رمزي يجاوز شرنقات السجن والبلد والمحسوس جملة، إلى الأفق الرحيب للتعبير الجمالي، وهو المعنى الذي تعيد صياغته صور متواترة في مجمل كتاباته الشعرية والنثرية، حيث يصير "التوحّد" امتيازا قدريا، ضمن معادلة توازي بين كيان المبدع وحالة الاغتراب.

إن عزلة الكاتب لا يمكن أن تكون مجرد شعور بالتباعد الحسي إزاء أصل مفقود، سواء كان فضاء، أو محيطا بشريا، أو سننا مشتركا؛ كما يستحيل أن تضمن تماهيا، مع سياق يفترض فيه أن يكون مؤقتا وعابرا. إن وضع "الانتفاء" يكشف من إيقاع التوتر الناجم عن إحساسيْ الاقتلاع واللاانتماهي، ويجاوزهما في آن، ليتحول إلى انتماء عاطفي إلى عالم يلتبس مغزاه ومداه حتى لدى المبدع المعني، إنه بالأحرى مسوّغ السؤال الدائم الذي يجعل من الكتابة سفرا للبحث عن المعنى،

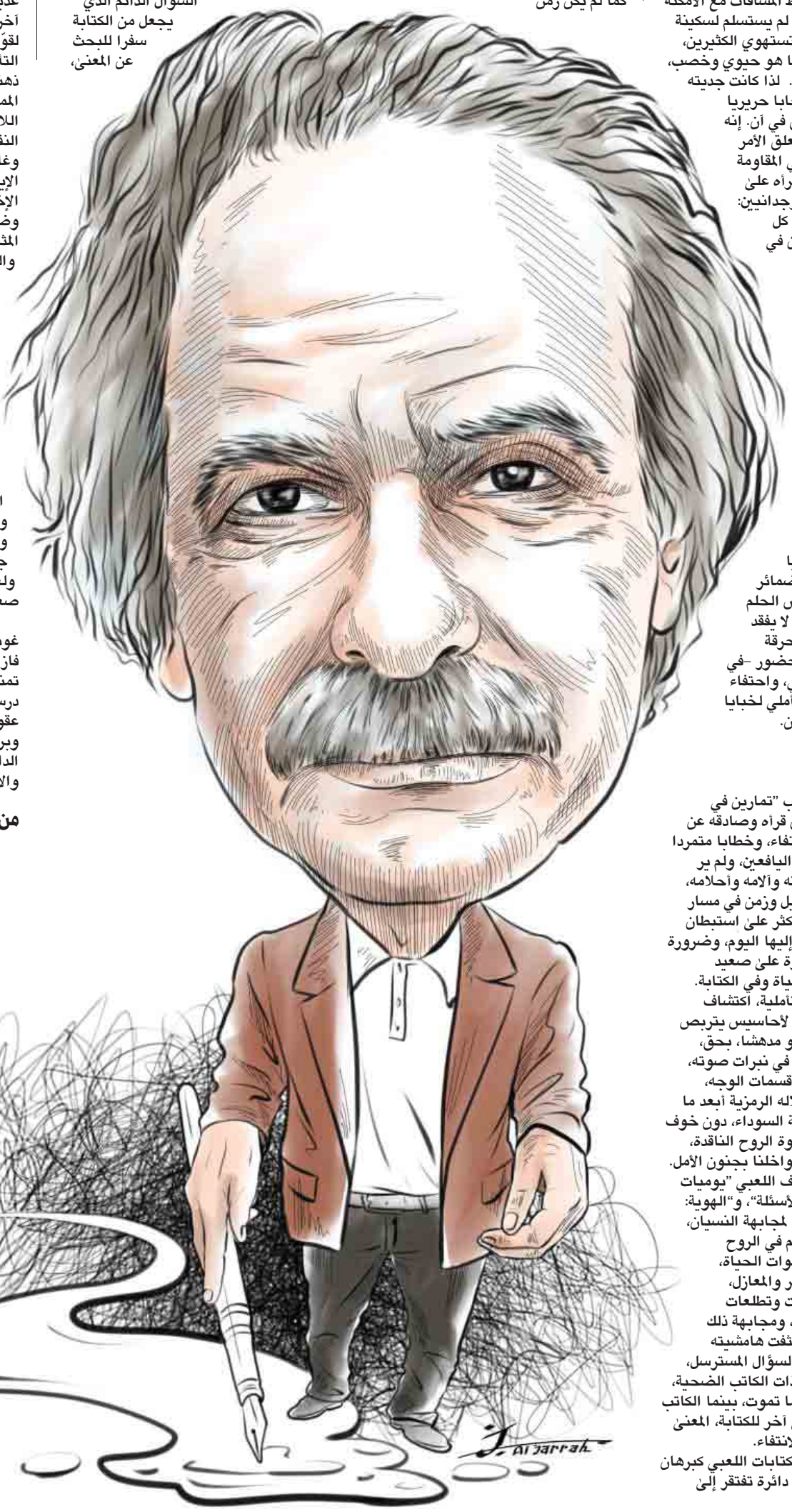

> اللعبي يتغير، حين يتعلق الأمر بدور الكاتب وواجبه في المقاومة ومنح الأمل، ويجعلك تقرأه على الدوام بولع وانصهار وجدانيين، روائيا ومسرحيا، وقبل كل شيء شاعرا

وقلقا شبيها باللعنة القدرية التي تطغى لتختصر كنه الحياة في منطق الشاعر المنذور للتيه والرحيل أبدا.

غالبا ما تكون القيم درسا موجها للآخرين، تنغلق دونه تخوم الذات المحصنة خلف قناعاتها المتعالية، وتغدو الكتابة لعبة للتخفي خلف أقنعة مجازية تستبدل بالموقف الحياتي، تعبيرات صورية موهمة بفضائل افتراضية؛ ذلك جزء من الغواية المرائية للأدب، وهو ما يجعل، ربما، صيغا عديدة لخطابات المثقف والكاتب تمثل مظهرا آخر لمفارقات المؤسسة، حيث يرسل الخطاب لقوّته المظهرية ولما ينطوي عليه من قدرة على التأثير بصرف النظر عمّا يتضمنه من قيمة ذهنية راسخة في الاختيار السلوكي والقناعة الممارسة. فتبدو المحافظة على تلك المسافة اللاشعورية بين البروز الأخلاقي والكمون النفعي للمثقف، علة للنجاح والتفوق والغلبة، وغالبا ما يكون الفشل في التحكم في منطق الإيهام، وإتقان مهارات التمثيل، دليلا على الإخفاق الذريع أو على هامشية الكاتب وضموره. ومن ثمة كان الهامش هو المأوى المثالي للقاصرين عن مجاراة لعبة الخفاء والتجلي، وفضاء للانسجام التام بين الموقف الحياتي وعقيدة الأدب.

هكذا يعلمنا اللعبي في كل مرة أنه لا يمكن كتابة أدب بخلفية أخلاقية دون التزام بقدر كبير من الصرامة مع الذات: صرامة مع المتطلبات الشخصية ومع اللغة والذاكرة والمحيط الاجتماعي، وصرامة في الحفاظ على الحرية الذاتية وفي مجاوزة الاشتراطات العابرة. ولعل تلك القدرة الاستثنائية للكاتب المقاوم هي التي تجعل صورته مسربلة بالعتاقة، وبالإيحاء الأسطوري المنتمي لزمن مفقود. فالقيم من الكثافة والقوة حيث تكاد تفقد كل معنى مباشر، وهي من الألفة والبداهة حيث تضحي غير جديرة بالتأمل: درسا تقليديا مفروغا منه. ولعل ذلك ما يجعل الإقرار بتلاشيها وغيابها صعبا ومحفوفا بالحرج.

في العالم 2009 حصل على جائزة غونكور الفرنسية للشعر. وفي العام 2011 فاز بالجائزة الكبرى للفرانكفونية التي تمنحها أكاديمية اللغة الفرنسية، وما يزال درس "اللعبي" المتواتر عبر أزيد من ثلاثة عقود، كشفا شفيف لجدل النفي والإبداع، وبرهنة للذات على أن الأدب بحث عن التوازن الداخلي، وجدلية مطردة بين الصوت الصادق والاختيار النقدي في الحياة وبين الناس.

من شعر عبداللطيف اللعبي

هو ذا عنقي
أضربي واقطعي
لن يكون هناك دم
ستبقى عيناي مفتوحتين
وديعتين
ستلمع فوق شفتيّ
بسمة المشنوق الغريبة
فوق سريرك
لن يحتل رأسي
مكانا كبيرا
ولن ترتابي بعد فيّ.

قصائد فانية

القارئ العجول
لم جئت إلى هنا
أيها القارئ؟
لقد فتحت هذا
الكتاب
دون تروّ،
وها أنت تقلب رمل
الصفحات
محموما
وكأنك تبحث عن كنز
دفين.
أللبكاء أنت هنا
أم للضحك؟
أما لك من أنيس
تجاذبه الحديث؟
أتكون حياتك
إلى هذا الحد فارغة؟
فلتغلق وبسرعة هذا الكتاب.

> المتكلم يمثل في كل كتابات اللعبي كبرهان على جدوى المقاومة في دائرة تفتقر إلى معيار متوازن للقيم، وبغض النظر عن وضع الانتفاء والانشقاق التاريخيين اللذين ميزا حالته شخصيا، في تجربته مع فقدان الحرية ثم الرحيل والاغتراب؛ فإن المقاومة ما فتئت تكرس أبعاد «الانزياح» و«الخروج»

حفّارٌ رسومه هي خلاصة عيشه

غياث الأخرس الفنان الذي يخترع سوريا تشبهه

فاروق يوسف

❏ معه، من خلاله ومن خلال فنه يمكن للمرء أن يتلمس الطريق إلى ملامح جيل الحداثة الثاني في المحترف الفني السوري، ذلك الجيل الذي سعى إلى أن يضفي على الهوية المحلية طابعا عالميا من خلال تحريرها من سياقات إنشائها الشكلية الثابتة، من غير أن يهدر منجزاتها.

التفكير في الفن

كانت نظرته إلى الفن تتجاوز المشهدية السائدة بمفرداتها المتاحة، فلم تسحره غنائية وحلمية تلك المفردات بكل ما تتركه من أثر قوي على مشاهدين، كانوا في الحقيقة نتاج ما شهده مفهوم الفن في خمسينات القرن العشرين من تغير واضح في المزاج الفني الذي كان في الغالب يهتم بالموضوعات الكبرى.

لقد قرّر غياث الأخرس منذ عروضه الفنية الأولى في النصف الثاني من ستينات القرن الماضي أن يكون حضوره الفني مختلفا بما يعني التفكير في الفن بطريقة خاصة. وهي الطريقة التي ساهمت تقنية الحفر الطباعي في توسيع أفقها.

أيقف شغفه العاطفي والمهني بفن الحفر الطباعي وراء ولعه في اختراع أشكال، تُرى من غير أن تظهر تماما؟ يبقى جزء منها متمسّكا بغموضه كما لو أنه لم يغادر بعد مادة خياله الأولى. يمتعه أن يظل شيء من عالمه عاكفا على خياله، منغلقا على أسراره التي هي أشبه بالطقوس الخفية.

غير أن الرسام فيه لم يكن ليطغى على المفكر الذي اهتدى إلى الرسم لينتشل الحكايات التي هي جزء من ثقافة شفاهية من فخ الوصف منفتحا بها على خيالها الذي هو بمثابة منجم عميق للصور. الصور التي لا توضّح وتشرح بقدر ما تتساءل وهي تقف في مواجهة لغز الإنسان في حياته اليومية.

امتزاجه بالصور دفعه إلى أن يجاور بين أسلوبي التشخيص والتجريد بهدف استخراج علاقات بصرية يتقاطع من خلالها الحسي والروحي بما يشبه البوح الحميمي. لذلك كانت رسومه دائما تعبر عن خبرة شخصية، لا على مستوى تقنية استعمال المواد وابتكار الأشكال والمساحات وحسب بل وأيضا على مستوى اقتراح طرق للنظر. وهي طرق غالبا ما كانت مفاجئة، لما تنطوي عليه من عمق وبساطة في الوقت نفسه.

للوهلة الأولى تظهره رسومه كما لو أنه يذهب إلى هدفه التعبيري في خط مستقيم، كما يفعل الواقعيون تماما، غير أن تأمل تلك الصور لا بد أن ينتهي إلى الإقرار بأن الرسام لم يهتد إلى نتائجه الشكلية إلا بعد بحوث مختبرية معقدة.

رسومه تشبهه إلى حد كبير. تتشبه به من جهة الصبر والرغبة في الانتظار. قوة جمالها تكمن في قدرتها على اللعب بالأفكار، بحثا عن الجانب الخفي فيها. فيما سيكون مفاجئا من احتمالاتها.

الجمال وقد صار محاربا

ولد غياث الأخرس في حمص عام 1937 ودرس الرسم في القاهرة ومدريد وإيطاليا متخصصا بفن الحفر الطباعي (غرافيك) وحين عاد إلى دمشق تولى مسؤولية شعبة الغرافيك في كلية الفنون الجميلة ما بين عامي 1964 و1978 فكان كريما في وضع خبرته في متناول طلابه الذين صار البعض منهم فيما بعد جزءا أساسيا من المشهد الفني السوري المعاصر.

وبالرغم من أن الأخرس كان قد ساهم أواخر الستينات في تأسيس جماعة العشرة التي كان من بين أعضائها الرسامون نذير نبعه وغسان السباعي وخزيمة علوان، غير أن ميله إلى أن يخلص لفنه وحيدا دفعه إلى مغادرة الوظيفة مبكرا والتفرغ للفن الذي صار يمارسه بحرية ودعة بين مرسميه في باريس ودمشق. غير أن هاجس معلم الحفر الطباعي لم يفارقه يوما ما.

كان لديه شيء أكبر من أن تستوعبه المؤسسة الأكاديمية. شيء لا يقع إلا لكي يسمي الحرية خيارا نهائيا له. أكان قدر المركز الوطني للفنون البصرية الذي أقامه الأخرس في دمشق أن يقع في زمن الاختلاف على الحرية؟

كنت قد التقيته عام 2011 وكان المركز جاهزا للافتتاح، غير أن كل شيء كان متشنجا يومها في سوريا. وهو المحسوب اليوم على أسرة الأسد بحكم قرابته من زوجة الرئيس السوري، ثم ذهبت الأمور بعد ذلك اللقاء المتفجر إلى الأسوأ.

"أهناك وقت للجمال؟" لم أسأله لأنني رأيت العناد في عينيه ولم يكن القبح قد نشر راياته في فضاء المدن السورية. كنت أدرك يومها أن الأسوأ قادم، غير أن الأخرس كان يجد في مشروعه نوعا من الحل. سيكون ذلك الحل موضع خلاف مع العقائديين بالرغم من أن الأخرس وهو قومي الفكر لم يكن عقائديا يوما ما في حياته. ربما اتهمه الكثيرون بالترف والمغالاة في الرخاء.

في الأزمنة العصيبة تضرب الأصوات العالية الجمال بالشبهات. ولم يكن مفاجئا لي أن يُفتتح المركز ليستقبل طلابه ويخرجهم ويقيم لهم معرضا شاملا. لم يكن غياث يفكر ببطولته التي كان تجاوزها شخصيا، بقدر ما كان يفكر ببطولة الآخرين الذين سيشاركون في إنجاز حلمه الأسطوري. هل كان يسيرا عليه أن يتخلى عن كل شيء لينزوي في مرسمه بباريس، بعيدا عن بلد، يعيش حربا عبثية ضروسا؟

بالنسبة إلى فنان من نوع الأخرس فإن نجاته الحقيقية تكمن في الجمال باعتباره رسالة. وقد يكون الظرف المأساوي الذي تعيشه سوريا الآن هو الظرف المناسب لإبلاغ تلك الرسالة والدفاع عنها في مواجهة الهمجية. لا يحق لي أن أفكر بدلا عنه، ولكن المتمرد الذي التقيته وأحاطني بصداقته منذ النظرة الأولى مكنه أن يوحي لي بأفكاره.

بعيني الحفار يوثق الطبيعة

"الحفار" صفته التي يعتز بها. هي صفة تقنية تقليدية، غير أنها بالنسبة إلى غياث الأخرس تمثل المجال الحيوي الذي تتحرك فيه خياراته الفكرية والروحية، ولكن قبلها نزعته الجمالية. لا بأس. يثق الأخرس بالمادة التي يعمل عليها. فهو غالبا ما يتسعين بخيالها، زنكا كانت أم خشبا يظل في انتظار هباتها المجاورة. الحفار يثق بمادته ويشغف بخيالها. إنها تعينه في حربه على الواقع. ولكن الأخرس كان حفار حياة، ستكون في كل لحظة ازدهار بمثابة اكتشاف جديد.

بنظرة الحفار كان يرى الحياة من حوله ليوثقها خياليا. لقد توزع اهتمامه الشكلي بين عالمين. عالم يُرى بمفرداته (الطيور والنباتات والصخور) وعالم مطلسم تعبّر عنه الإشارات والعلامات والرموز المستلهمة من الحضارات الرافدينية.

ولكن الحياة المعيشة كانت مختبره الحقيقي، ففي الكثير من أعماله سيقدم نفسه بالأبيض والأسود. وهو ما تفرضه تقنية الحفر الطباعي، غير أن التقنية تملي على من يمارسها أخلاقا. لا يزال الأخرس ينظر إلى الحياة بتقنية الأسود والأبيض، بالرغم من أنه كان قد أنتج الكثير من الرسوم المحفورة بالألوان.

شيء من معلولا يظل عالقا بشخصيته. هل كان يتنبأ بمستقبل سوريا وهو يرسم خلاصة ما كان يراه في تلك البلدة المعلقة في الجبل؟ لم يكن يعنيه يومها أن يقول "كنت هناك"، اليوم سيكون عليه أن ينظر بأسى إلى حياة مرت به وكان وفيا لها.

كانت رسوم غياث الأخرس خلاصة عيش. قد لا يهتم غياث وقد استعاد دوره معلما برسومه القديمة، غير أنها تظل بالنسبة إلى المحترف الفني السوري بمثابة عنوان لتحول حداثوي، هو التجسيد الأمثل لما يمكن أن تكون عليه علاقة الفن بالحياة. كان الأخرس ابن حياة ملهمة، قُدّر له أن يبتكر لها طرقا خاصة للنفاذ إلى الفن. رسام الطبيعة في شبابه صار ناقدها فيما بعد. غياث الأخرس هو ابن سوريا الذي يخترعها في رسومه.

> رسوم الأخرس تعبر دوما عن خبرة شخصية، لا على مستوى تقنية استعمال المواد وابتكار الأشكال والمساحات وحسب، بل أيضا على مستوى اقتراح طرق للنظر. وهي طرق غالبا ما كانت مفاجئة، لما تنطوي عليه من عمق وبساطة في الوقت نفسه

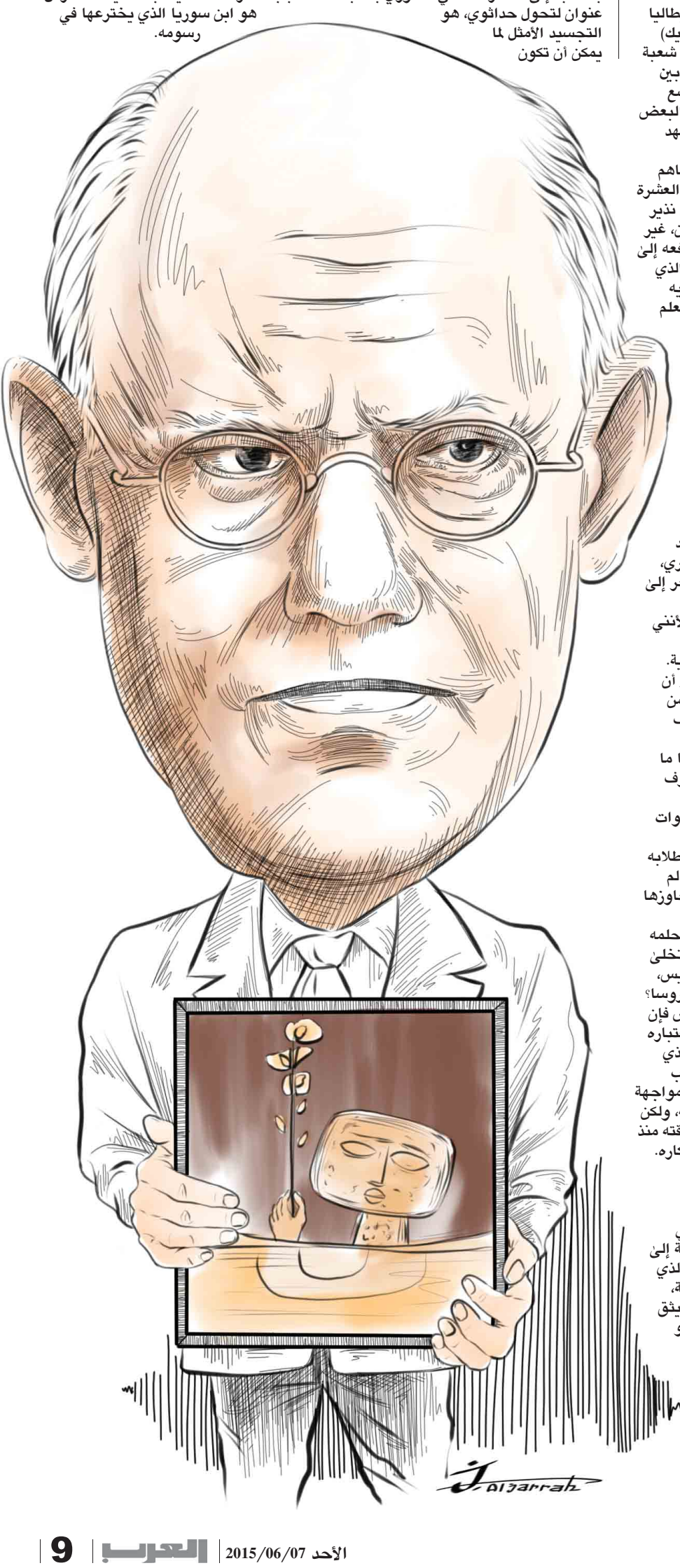

أسرة موسيقية مزجت أغاني الناس مع سلالم المقام العالية

فرقة الطريق ودروب الشجن العراقي الطويلة

فادي بعاج

❏ أسرة توصف بأنها فرقة ثورية لكل العرب لا لفئة أو جماعة معينة، ومع أن مؤسسيها من اليساريين العراقيين المناهضين لحزب البعث الذي حكم العراق، إلا أن فرقة "الطريق العراقية"، كانت قد مثلت الأغنية السياسية العربية والعراقية أفضل تمثيل، شعبياً ونخبوياً، رغم أنها غيرت عنوانها مرات عدة، منذ نشأتها في العراق وتنقلها بين الدول العربية، وصولا إلى هولندا التي أصبحت بلد اللجوء للعائلة ـ الفرقة، وهي أسرة الموسيقار العراقي حميد البصري المؤسس الرئيسي.

مع زهير الدجيلي

القصة بدأت مع تأسيس فرقة "جماعة تموز للأغنية الجديدة" عام 1976 خلال جلسة تشاور ونقاش بين البصري والشاعر زهير الدجيلي حيث تم الاتفاق على تأسيس فرقة غنائية مصغرة يكتب كلمات أغانيها الدجيلي ويقوم بتلحينها حميد البصري، على أن يكون مضمون الأغاني غير مباشر، يتكلم عن حب الوطن والتمسك به وحب الناس، مع تضمين مبطن لقضايا العراق والوطن العربي.

> حميد البصري الذي يعد المؤسس والأب لفرقة الطريق وملحن كافة أغانيها، كان شابا صغيرا أصر ذات يوم على شراء آلة عود دون علم أبيه فنان الموشحات الشهير خلف البصري الذي تمنى له مستقبلا دراسيا ومهنيا آخر

وقدمت الفرقة أغاني وطنية في حفلات جماهيرية كبيرة في بغداد وبعض المحافظات، نالت تلك الأغاني إعجاب كل من سمعها، ولكن المسؤولين في النظام العراقي السابق لم يسمحوا بتسجيل تلك الأغنيات في الإذاعة أو التلفزيون لأسباب سياسية، وفي نهاية سبعينات القرن الماضي، وبسبب الظروف السياسية، غادرت الفرقة العراق مضطرة إلى عدة دول، أما عائلة البصري فقد سافرت إلى اليمن الجنوبي، وهناك كانت بداية فرقة الطريق التي تأسست امتدادا لفرقة "جماعة تموز للأغنية الجديدة"، فقدمت الفرقة حفلات غنائية في مختلف محافظات اليمن الجنوبي في العام 1981.

التوجّه الحزبي الذي يطبع غالبية الفرق الغنائية الملتزمة طغى على توجه "فرقة الطريق" في بداياتها، فكانت بعض الأغنيات تشيد بنضال الثائرين، وتحيي صمود من في السجون، وكان أعضاء الفرقة يسجلون تلك الأغاني ليتداولها المعارضون سراً، وكان من بينها "حرية"، "كل الأغاني انتهت"، "غنوا لرفيق"، "الفكهاني"، "آهون ألف مرة" والأغنية الشهيرة "أعود" التي تقول كلماتها:

"أعود أعود وكيف لا أعود
أعود بالطيارة، محلقاً أعود
إن دمّروا الطيارة ألحق بالسيارة، ومسرعاً أعود
إن أحرقوا السيارة فإن لي رجلين وراكضاً أعود
إن قطعوا الرجلين فإن لي يدين، مجدفاً أعود
إن بتروا اليدين فإن لي صدراً وزاحفاً أعود
إن قطعوا الرجلين فإن لي يدين، مجدفاً أعود
إن بتروا اليدين فإن لي صدراً وزاحفاً أعود
وكيف لا أعود؟ لا بدّ أن أعود".

وكان أول انتشار واسع لأغاني فرقة الطريق السياسية في أوائل الثمانينات من القرن الماضي عندما قدمت الفرقة أكثر من ثلاثين حفلاً جماهيرياً في لبنان للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، وقتها سجلت الفرقة أكثر من عشرين أغنية منها "كفر قاسم"، "صبرا وشاتيلا"، "يا سما أكتوبر"، "لا تسألني عن عنواني" و "صوت الشهيد"، ثم توالت حفلات الفرقة في سوريا حيث كانت الفرقة تدعى سنوياً إلى تسجيل أغان جديدة وتقديم حفلات جماهيرية، كما قدمت الفرقة أغاني وطنية خاصة لسوريا مثل "دمشق أبهج ما غنى به الغابرون" وأغنية "هلا هلا هيا".

استمرت الفرقة بإنتاج الأغاني التي تواكب الأحداث في الوطن العراقي والعربي، تذكّر العراقيين في الخارج بضرورة الالتصاق بوطنهم والعمل، لكن ومع هذا فقد أنتجت الفرقة الكثير من الأغاني الغزلية البعيدة عن السياسة، وأشهرها "تدرون ليش نحب"، "للمرأة غواتنا".

حميد البصري

مؤسس فرقة الطريق وملحن جميع أغانيها هو الموسيقي العراقي حميد البصري الذي أصرّ على شراء آلة العود دون علم أبيه فنان الموشحات الشهير خلف البصري الذي تمنى له مستقبلا دراسيا ومهنيا آخر، لكن حميد الذي برع في التدرّب على آلته الموسيقية التي عشقها، سينطلق في العام 1955 بمسيرة فنية حافلة بالأعمال الغنائية الموسيقية، ليحصل بعدها على أولى شهاداته الأكاديمية التخصصية العليا من تونس في العام 1976.

وقد غادر العراق مكرها في العام 1978 ليبدأ وعائلته وفرقته رحلة المنفى، وليلحّن في مطلع هذه الرحلة بعض أغاني الأطفال في الكويت، ليتنقل بعدها بين بيروت ودمشق وعدن واحتفاليات وسط جموع هادرة بكلمات أغانيه حتى استقر صحبة زوجته وشريكة حياته شوقية العطار في المهجر الهولندي.

وهو أستاذ الموسيقى العربية الذي بدأ تدريس الموسيقى في معهد الدراسات النغمية ببغداد ودرّسها في محافل أكاديمية أوروبية عدة، ولكن البصري الذي اشتغل في الموسيقى العربية طويلا، قرر أن يتحول في انعطاف مهم في حياته الفنية نحو التركيز بالأساس على الموسيقى العراقية وتحديدا منها المقامات، الأمر الذي أثر على شكل ألحانه ونمطها آنذاك، للبصري أكثر من 150 عملا غنائيا وثلاثة أوبريتات هي "بيادر خير" و"أبجدية البحر" و"الثورة وزنوبيا" وله مؤلفات أثرت المكتبة الموسيقية العربية، منها كتاب "الأغنية الشعبية" و"سجل الكلمة والنوتة" الذي قضى في عمله عليه سنوات طويلة.

شارك حميد البصري صحبة فرقته في العديد من المهرجانات الموسيقية العربية والعالمية بالإضافة إلى العراقية، كمهرجان الموسيقى الشفاهية في غرناطة/أسبانيا، ومهرجان ألين ماك في بلغاريا، ومهرجان الموسيقى العربية في الجزائر والوفد الفني لمهرجان الشبيبة في موسكو وطوكيو.

حميد البصري صاحب طموح متجدد ولهذا فقد قرر، وهو يجتاز الخامسة والسبعين من عمره المديد أن يحصل على الدكتوراه بدرجة امتياز، من جامعة لاهاي العالمية، وكانت الأطروحة التي قدّمها دراسة منهجية اعتمد فيها على تجربته الذاتية وقدّم فيها بحثا نموذجيا في التحقيق والإبداع لينقل تعلم دراسة المقام من الشفهية إلى الضوابط العلمية المسجلة، وليقدم إلى طلبة هذا الفرع من الدراسة أسلوب التعلم الأكاديمي الموثق.

ابتكر ابن البصرة العريقة مقاما موسيقيا عربيا جديدا وهو الراست البصري وألف فيه سماعي وموشح وأعاد ترتيب الفرقة الموسيقية العربية على نمط يجعلها أقرب إلى أوركسترا مقامي عربي وألف عشرات الأغاني والمقطوعات الموسيقية الخالصة ودرّس أصول الموسيقى العربية للناشئة في كل مكان عاش فيه.

شوقية العطار صوت الطريق

العمود الغنائي الأساسي لفرقة الطريق العراقية هو شوقية العطار التي بدأت الغناء منذ منتصف خمسينات القرن الماضي، حيث قدمت أغنيات انفرادية لأشهر مطربات ذلك الزمن، مثل أم كلثوم وأسمهان وغيرهما في العديد من الحفلات المدرسية في مدينة البصرة، وكانت أول أغنية خاصة بها عام 1959 من ألحان الفنان حميد البصري الذي تزوجها بعد ذلك بفترة قصيرة.

وبوجودهما معا تدربت شوقية العطار على مختلف أنواع الغناء العراقي والعربي، وفي عام 1969، قامت بدور البطولة في الأوبريت الشهير "بيادر خير" مع الفنان العراقي الكبير الراحل فؤاد سالم ومجموعة كبيرة من الفنانين البصريين، وتكررت التجربة في الأوبريت الثاني "المطرقة" عام 1970.

انتقلت شوقية العطار في العام 1971 مع عائلتها إلى بغداد، فدخلت معهد الدراسات النغمية في بداية تأسيسه، لدراسة المقام العراقي وآلة القانون، لكنها لم تكمل الدراسة في المعهد لكثرة التزاماتها الأسرية والفنية، واستمرت بالتدرب على الغناء العراقي والمقامات وغيرها مع زوجها حميد البصري، ثم أصبحت عضوا في فرقة الإنشاد العراقية التابعة للتلفزيون في بداية تأسيسها كمغنية انفرادية وجماعية.

> الفرقة الأم «جماعة تموز للأغنية الجديدة» تتأسس في العام 1976 خلال جلسة تشاور ونقاش بين البصري والشاعر زهير الدجيلي حيث تم الاتفاق على تكوين فرقة غنائية مصغرة يكتب كلمات أغانيها الدجيلي ويلحنها البصري، على أن يكون مضمون تلك الأغاني غير مباشر، يتناول حب الناس والوطن

وقد اكتسبت من ذلك خبرة في غناء الموشحات، وفي منتصف السبعينات، سجلت مع الفنان فؤاد سالم الأغنية الثنائية الشهيرة "يا عشقنا" من ألحان زوجها حميد البصري، والتي اشتهرت في العراق على كافة المستويات الفنية والاجتماعية وإلى حد الآن، فكانت شوقية نموذجاً مكثفاً للمرأة العراقية التي تعمل وتدرس وتربي خمسة أولاد وتعتني بزوجها وتلحق به في مهجره أينما كان، وهي تبدع في كل ذلك وتبقى لديها طاقة تكفي للغناء الجميل.

العطار التي تلقّب بـ"قارئة المقام" لديها عدد كبير من الأغاني بعيدا عن كونها شريكا حقيقيا في فرقة الطريق، ومن تلك الأغاني "اللول لوه"، "اشتقنالك يا نهر" و"اسهرنالك دهر" وهي من كلمات الشاعر العراقي الكبير "مظفر النواب" وألحان زوجها البصري الذي لحن جميع أغانيها.

فرقة البصري الجديدة

بعد ما التأم شمل العائلة كاملة في هولندا، أعيد تأسيس الفرقة، وهنا كان الاسم موضع نقاش بين أفراد العائلة، هل الفرقة تبقى نفس الاسم أو يتغير اسمها، حينها ألح الأبناء على والديهم بتغيير الاسم إلى اسم يدل على العائلة أي "البصري"، ويذكر حميد البصري في أحد لقاءاته التلفزيونية هذا الأمر قائلا "كوننا ديمقراطيين فالأكثرية غطوا على المسألة، فلم نستطع أن نعارض المسألة فسمينا الفرقة فرقة البصري، وأيضا الفرقة لها مبرر لأنها صارت فرقة عائلية فقط، يعني أنا وزوجتي وأولادي وبنتي".

قدمت الفرقة العديد من الحفلات في مناطق مختلفة في هولندا، كما جالت الكثير من الدول الأوروبية حيث التقت بالجاليات العراقية وغنت التراث العراقي والألوان الغنائية العراقية، مثل المقامات والأطوار والأغاني الشعبية، والألوان العربية كالموشحات والقصائد والأدوار.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أفراد العائلة الفنية بامتياز وهم أربع أولاد وبنت واحدة، نديم الابن الأكبر وهو عازف كمان وفيولا، رعد الابن الأصغر المعروف بـ"رعد خلف" الموسيقار والمؤلف الموسيقي البارز في سوريا، وهو أيضاً عازف كمان من الطراز الرفيع، كما أنه مؤسس فرقة "زرياب" الموسيقية، أما الابن الثالث فهو سامر الذي تخصص في الإخراج المسرحي الغنائي في موسكو، و الابن الأخير "أور" تخرج من أكاديمية ملكية بدانهاخ بهولندا قسم الجرافيك، وأخيرا آخر العنقود وهي بيدر التي صار لها اسمها الفني في عالم الأغنيتين العراقية والهولندية، وهي عضو أساسي في فرقة البصري حيث أنها ورثت من والدتها صوتها الجميل، وما زالت تحمل إرث العائلة الفني بصوتها وتقديمها حفلات في دول أوروبية عدة.

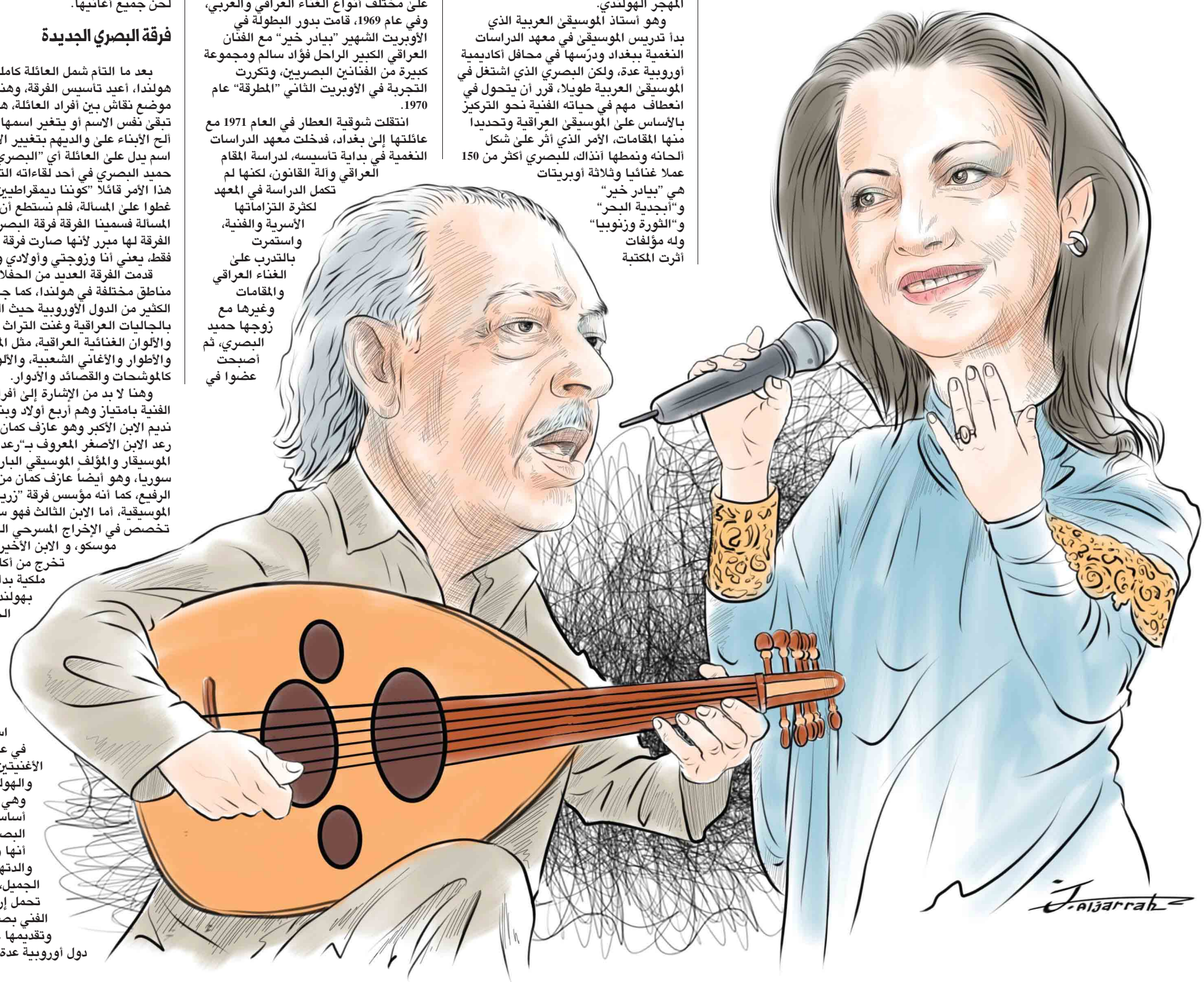

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

ديناميكية الفشل

الشعر الفرنسي المختصر وقصيدة البيت الواحد العربية

سناء بلحور

❏ في كتاب للشاعر البلجيكي ويرنير لامبرسي بالاشتراك مع ثلاثة شُعَراء مُتحدّثين آخرين تحدثوا حول تجربة كل منهم مع ما أسموهُ بـ"الشِّعر المُختصر"، يَنعَتُ ورْنير لامْبرسي الكتابَة بوصفها ديناميكيَة الفَشل. فَكتابَة عمَل شِعريّ بالنِّسبَة إليه لَيسَت سوى مُطَارَدة طويلَة لنَفْس القَصيدة المُستَحيلَة حين يَقول "إذا كُنتُ قَد كَتَبتُ قَصيدة، لَنْ يَكُونَ بمَقدُوري أنْ أفَارِقَ هذه القمّة لأرتَمي بين لهَات الإبْداع".

يُمكنُ القَول بأن هذه المُطارَدة بوصْفها نَشاطًا فكريًا ووُجْدانيًا عنيدًا وعَصيبًا في الآن ذاتهَ، تُعبِّرُ بشكلٍ منِ الأشكَال عن حَالة النُّقصَان أو ما سَمَّاهُ الشاعر لامْبرسي بحالة اللَّامُكتمل ـ اللامُكتمَل. وهذَا ما يُؤكِّدُهُ الخَلل الحَاصل في مشروع كتابَة القصيدة والنَّتيجة التي يَحصُلُ عليهَا الشَاعر، حيث "أنَّ القصيدَة تَحملُ الشاعر وترمي به نحو شيء آخر يُشبِهُهَا دونَ أن تَكونَ هي نَفسها، لتُعطيه إحسَاسًا بعدم التَطوُّر".

يُصَنف لامبرسي الشعر المُختصرَ إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ قصَائد مُختَصرَة تَنتمي إلى الشعر المُختَصر بحكم حَجمها القصير"حيثُ تَعريفُها وَاضِحٌ، ليست سوى قصيرة".

2 ـ هناك نوعٌ من القصَائد القصيرة التي رغمَ حَجمها المُكوَّن أحيانًا من ثلاث كلماتٍ إلا أنّ كَلمتين داخلها زائدتان، "لا تَحملُ سرًا ولا سُمُوًا، "ليس فيها تلك الإضَافة الصغيرة التي تصفها كونها منبعثة من الرّوح".

في هذا السياق "النص القصير لا يبني، لا يوحي بشيء، لا يُغْنِي"، وبالتالي يمكن وصفه بـ"معلومة"، في حين أن هناك تضخما، دون مُبالاة حقيقية بالتواصل (محتوى الخطاب والهدف منه، ونوع المُخاطب).

هنا تتبدى أوجه التباعد الوجداني المجرد من الدعم، والذي نُتج عنه أن امتلاك أسلوب، وأناقة، وتقشّف أو حتى نوع من التواضع الأنطولوجي هو بمثابة نوع من الابتذال أو البذاءة، وعدم امتلاك كل هذه المواصفات هو علامة على امتلاك الموهبة والنبوغ.

هنا يعبّر الشاعر عن تَخوّفه من القصيدة القصيرة الخالية من كل بُعدٍ جمالي وتقني، حيث تصبح القصيدة في خطر حين تستسهلُ كتابتها داخل إجماع رخو لشعور سهل. فتَصير القصيدة القصيرة "رقابة للممكن، وإخصاء للتخييل". وعوض أن تكون "تكثيفًا مُتفجِّرًا نوويًا للواقع ثم للواقعي تنسى أن تعبّر عن غياب الحُدود بين الإنسانية والكون، وتحرم الكائن الكوني من الحصول على "الفرح والسلطات والافتراضية الخالدة والخلاقة".

3 ـ أما النوع الثالث الذي يوليه الشاعر أهمية كبيرة ويفضلُه، فهو الهايكو، قصائد مُختصَرة ذات تقاليد عريقة، تقول بكلمات قليلة أشياء شديدة العمق. تُخلِّفُ نوعًا من الصَّدمة، استعملها السرياليون بقوة، نقبض من خلالها على طرفَيْ الواقع مع حذف الوَسائط، فيُصبح أمامك فجأة، "قوسٌ كهربَائي"، ويصيرُ الكَونُ كلهُ مُختَصرًا في كَلمَة حول حالةَ الطقس، أو عُبورَ حيوان، أو شعور الطَّبيعة. "إنّها شكلٌ مُختصَرٌ (مُضيء) بمعنى البَرق، حيث لا يسْلمُ القارئ من تأثيرها، وحيث من المستحيل أن يَبقى كما كان من قبل". هنا تظهر قوّة القراءة وفعاليتها عبر مُمارستها لفعل التغيير في القارئ. لكن يَبقى الهايكو من أصعب ما يُمكنُ كتابته، فأمام محدودية الجُملة، تَنتصبُ لامحدودية مخيلة القارئ.

يُحيلنا هذا النوع من القصائد إلى دعوة الشاعر الفرنسي " فاليري" الذي تَنبَّه إلى شَكل النَشاط الفكري الذي تَتولَّدُ عنه الأعمال الأدبية، وهو يَلقي مُحاضرةً في "دروس الشعرية"، حينَ تَناوَل هذا المفهوم داخل سياق إبداعي، وليسَ بالمَعنى المُتداول للقَواعد والمَفاهيم الجَماليَة المُتَعلّقة بالشعر. لقد دَعا الشاعر "فاليري" الكُتَّابَ إلى الوقوف على تَجربَة الإبداع، وتحليل حالة تَخلُقَ النصوص، فَكانت فكرتُهُ مَحطَ اهتمَام البَعض، بَينَما قُوبلَت بالرَّفض من قبلَ آخرين تَخَوَّفُوا من إعَاقة قُدرتِهم الآنية على الإبداع. ففي الشعر الفرَنسي، يَقتَصرُ الشعرُ المُختَصر على قصيدة الهَجاء (أبيات قصيرة)، والتي تعُودُ إلى فترة "العَصر القديم" كتابَة مَخطوطة على الشاهد، أو كتابة فَخَرية، أو نَذرية أو وصفية" على حَدِّ قول سَانت بوف، تَصويرٌ رَعوي أو ريفي قَصيرٌ جدًا للتعبير عن قصَّة عشق، (إعلانٌ أو شكوَى عشقية مُختَصرة).

حاليًا، يُصنّفُ البَعض القصيدة المُختصرة فيمَا يُسمُّونَهُ بالمَقطَعي، في حين يَرى آخرون أن لا شيءَ يَتَّسمُ بالاكتمال مثلها. وقد مسَّ هذا النِّقاشَ كل نواحي الأدب، ومُعظم التَّأويلات المُتعلّقة بالتَّوجُهات الفَلسَفية.

ففي القرن التَّاسع عشر، حَاولَ مُعظمُ الكُتَّابُ الإحاطة بواقع مُتنوِّع وهارب عَبرَ نقل التَّفاصيل هي ذَاتُها التفَاصيل التي وَضَعتْ الوَاقعَ في أزمَة، في حين بَذلت الرّمزية كل طاقاتها لجعل الكلمة قادرة على استرجاع الوحدة والانسجام المطلوبين والمفقودين. وفي وطننا العربي، يظنُّ الكثير أن القصيدة المختصرة شكل من الأشكال التي تأثر بها الشعراء، انطلاقا من الكتابات الشعرية الغربية، لكن الحقيقة التي يَجهَلها العديد هو أن هذا الشعر المختصر هو ما اصْطلحَ عليه في تراثنَا الشعري العربي بـ"قَصيدَة البَيت الواحد"، والتي تَوسَّعَ فيها الشاعر الليبي "محمد خليفة التليسي" في كتابه الموسُوم بـ"قصيدة البيت الواحد".

حيثُ يقول "الأصْلُ في الشعر العربي هو البيتُ الوَاحد، وعندَما كان الشَّاعر العربي القديم يُرسِلُ البيت الواحد ليُعبِّرَ به عن لَحظته الشعرية، لم يَكُن يُواجِهُ أيّ مُشكلة تَعبيرية، فقد كان البيتُ الوَاحِدُ يُعبّرُ عن حَاجته، ويَستَوعِبُ اللّحظة الشعرية التي يُعانيهَا بكُلِّ أبعَادها".

وحتَّى بَعد مَجيء القصيدة، ظلَّ البَيتُ الوَاحدُ هو المحور الرَئيسي للقَصيدة، فَنشأتْ وتَطوَّرتْ حوله حَركة نَقدية واسعة، أبدى من خلالها مجموعة من الشعراء والنقّاد رأيهم الداعم للبيت الواحد كابن رشيق وابن خلدون، ثم لاحقًا في عصر النهضة المرصفي بعد وقوفه وتفحصه لشعر البارودي، ومطران خليل الذي واجهه مُشكل القصيدة وتنافر معانيها، ثم العقاد والشابي وغيرهم، ووصولا إلى نزار قباني وأدونيس وآخرين.

وقد أراد التليسي أن يعيد الاعتبار للبيت الواحد في ظل مفهُوم حَديث للجوهر الشعري الذي يحرّره من النظرة الصناعية التي أفرغته من مغزاه وروحه الشعريين. حيث يقول "قصيدة البيت الوَاحد تَعتمدُ على مَفهُوم يُؤمن بأن الشعر وَمضة خَاطفة، ولَمحة عابرة، ودفقة وُجدَانية ولَحن هَارب، وأغنية قَصيرة، يَخلق تَعبيره المُكثف المُركّز الذي يَستَنفذُ اللّحظة الشعرية ويُحيط بها. وما زَاد عن ذلك فهو عَمل الصَّناعةَ والاحتراف ولذلك كان الشاعر العربي القديم في اعتماده على البيت الواحد أقرب إلى الفطرة الشعرية والسَّليقة بل هو ـ الآن ـ أقرب إلى مَفاهيم العصر عن التَّجربة الشعرية".

ويُضيفُ مُؤكّدًا أن البيت الواحد يتنافى مع الحكمة أو المثل، ويرتبط ارتباطا وثيقًا بذات الشاعر ومعاناته، وفي هذه الحالة تجد الحكمة مكانها في التعبير عن التجربة الحياتية للشاعر.

"ونحنُ هُنَا عِندما نَتحَدَّثُ عن قَصيدة البَيت الوَاحد لا نَعني بَيتَ الحكمَة المُجَرَّدة أو الأمثلة الوَعظية السَّائرة، ولَكنَّنا نَعني البَيتَ الفَنِّي الذِي يَتَضَمَّنُ جَوهَرًا شِعريًا، سواء تَمثَّلَ في صُورَة فَنِّية رَائعة، أو بَيت شعري يَحملُ ذاتَ الشَّاعر ومُعَانَاته. وحتَّى الحكَمَة هُنَا تَكُونُ مَقبُولة إذا احتَوتْ على ذَات الشَّاعر وتَجربته في الحَيَاة".

ويَستَشهدُ التَّليسي بأبيات كثيرة من تراثنَا الشعرَي الثر، بَدءًا بشعراء الجاهلية كامرئ القيس وطرفة بن العبد وعنترة والنابغة الذبياني.. ثم شعراء آخرون كالمُتنبي وغيره وصولا إلى شعراء عرب حديثين. هُنا حاول التليسي أنْ يُعيدَ الاعتبار للمتن العربي القديم الذي عاب عليه الكثير الثَّرثرة وجعلوا التكثيف والتركيز وحُضور اللمحة الموحية مقصورة على الشعر الغربي، في حين أنها خصائص منغرسة في لبِّ التراث الشعري في أرقى صوره الموحية والضاربة في جذور الوُجدان الشعري العربي.

يُؤكّد الشاعر التليسي على أنَّ انشغال القصيدَة العربية بقضَايا فكرية وَوجدانية متعددة ضمن لها استقلالية أبياتها، لكن في الوقت نَفسه، وبحكم نَمط العَيش القديم، لم يكن الشاعر مُنفصلا أيما انفصال عن القبيلة وأعرافها وهُمُومها، وأحيانًا ضُغوطاتها، فكان لِزامًا عَليه أن يُضحّي بالتَعبير عن ذاته مُقابل استرضاء هواجس القبيلة وأحكامها، وبالتالي لم يُسخّرْ لذاته سوى مَجالاً ضيّقًا للتعبير عن مُعانَاتها، غير أنّ هذا الجَانب الذاتي يشغلُ الحَيِّزَ الأهم لدى الآخر قارئًا وشاعرًا، لأنه يُعبّرُ عن عُمق التَّجربة الوُجدانية للشاعر في تفَاعُلهَا مع تَجارب الحياة. إنّها عُصارَة وُجوده وخُلاصة انسحاقه وانبعاثه كإنسان تَتَمظهَرُ من خلاله التَّجربة الحَياتية والكَونية.

ومع ذلك، تظلّ هذه الأبيات قليلة ومُتفرِّدة تَحكُمُها اللّحظة الشعرية النَّادرة التي قَلَّما تُسفرُ عنها لحظاتَ الحياة الصَّاخبة، بسَبب الضغوطات والانشغالات والمُثبّطات. إنها الأبيات ذاتُها التي يبحثُ عنها الشاعر والقارئ على السواء باعتبارها تجليا أسمى وأعمق للمشاعر الإنسانية في مُطلق صفائها وتَجرُّدها.

إنَّ هَاجسُ القصيدَة المُختَصرَةُ كما ينعتونها في الغرب، وقصيدة البيت الواحد كما يتمثلها تراثنا الشعري العربي الإحاطةُ بالأساسي، حيث مسار القصيدة الطَّبيعي هو أن تكون أولية، مُؤسِّسة ومُلقِّنَة، وبالتالي فهي تَتطلّبُ مزيداً من الانفتاح المَعرفي والمرجعية الثقافية، بل إنَّها تَستدعي حضورًا كبيرًا للذَّاكرة الجَماعية التي تُؤسِّس وجدان الفرد، وتَشعره بالقوّة بفضل انتمائه للإنسَانية.

* كاتبة من المغرب مقيمة في بروكسل

الشاعر والقصيدة

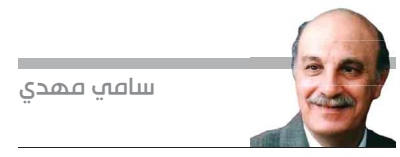

سامي مهدي

❏ أولاً: من ينظر اليوم إلى المشهد الشعري يجد عدة أشكال متداولة للكتابة الشعرية، ولكل شكل من هذه الأشكال قواعده الفنية وشروطه، وهذه الأشكال في حالة جدل وصراع، وكل منها يحاول إثبات جدارته الفنية وحقه في الوجود، ولكن بعضها أخذ يأفل، وبعضها أخذ ينتشر، وليس في وسعنا، موضوعياً، أن نقرر مصير أيّ منها.

ولذا أصبح من الصعب اليوم، وربما من المتعذر، تعريف القصيدة وتحديد شكل معين لها. فنحن في مرحلة مخاض وتحول متسارع، تبدو فيه الأشكال المتداولة قلقة، والأشكال الجديدة ما تزال في طور التشكل، وهي تتقلب في تشكلها، تحت عنوان التجريب، وتتقلب معها الأذواق.

وقد تطول هذه المرحلة دون أن تنتهي الأشكال القديمة وتستقر الأشكال الجديدة وتستقر معها الأذواق، وقد تظهر أنواع أدبية وفنية جديدة ومختلفة، تصبح معها الأنواع التي نتداولها نحن اليوم، أو بعضها، تراثاً من الماضي وزخارف من زخارفه.

هذا على مستوى الرؤية النقدية العامة، أما على صعيد الموقف الخاص، الشخصي جداً، فأنا أحرص على أن تكون قصيدتي نسيجاً دلالياً وإيقاعياً متشابكاً، ومنسجماً في تفاصيله، يفضي في نهايته إلى تشكيل كلي قابل للتأويل. ورغم أنني كتبت الكثير من قصائد النثر، منذ أوائل الثمانينات حتى اليوم، ما زلت أفضل أن تكون قصيدتي موزونة، لأنني أعتقد أن الوزن يؤدي في كل قصيدة موزونة وظائف ثلاثا: تنظيمية وإيقاعية ودلالية، ومن دونه يبدو التشكيل الشعري ناقصاً. فالوزن، كما أراه، ليس حلية ولا زينة، بل ضرورة، وهو بالنسبة إليّ ليس قيداً ولا عبئاً على الإطلاق.

إن تجربتي الشعرية سبقت مفهوماتها في ما أظن. فأنا لم ألجأ إلى تطبيق أيّ مفهوم سابق عليها، ولم أخضعها لأيّ منظومة نظرية جاهزة. وما سأقوله عنها هنا ليس إلا وصفاً نظرياً لتجربة شخصية تحكمها حيوية العملية الشعرية، وتطوّرها التجربة، وتغنيها الثقافة.

وفي ضوء هذا أقول: أولا إن الشعر عندي مزيج من الرؤية والحلم والذاكرة، وكتابة القصيدة مزيج من الوعي واللاوعي، والقصيدة تبدأ عندي بفكرة تلمع في الذهن مثل لمع البرق، بفعل مشهد أراه، أو حادث أشهده، أو تجربة أعيشها، أو حكاية أسمعها، أو قضية أفكر فيها، أو قراءة أقرأها، أو أيّ شيء من هذا القبيل. غير أنني لا أشرع في كتابة القصيدة في لحظة التماع الفكرة، وذلك لقناعتي بأنها ستكون سطحية وفجة، بل أدع هذه الفكرة أياماً ولياليَ كثيرة أو قليلة، حتى تتفاعل عناصرها وتختمر، وتنبثق في لحظة ما انبثاق الينبوع، بلا خطة مقررة لكتابتها وتشكيلها، وهي عادة ما تكون لحظة من الصفاء الذهني والارتياح الجسدي. وحالما تنبثق وتأخذ سبيلها في الكتابة يبدأ الوعي بمراقبة حركتها، فيقيم لها لها مصدات تمنعها من الانديا‌ح في شعاب تبددها أو تخل بتركيبها، لأنني أحرص على أن يكون لقصيدتي شكل واضح وبنية متماسكة تماسكاً عضوياً، لا إسهاب فيها ولا تطويل ولا ضياع في التفريع والتفصيل، وأن تكون لغتها لغة مقتصدة متوترة وذات كثافة دلالية مشعة، ترتفع بالجزئي الطارئ إلى الكلي الشامل، وبالمحدود إلى المطلق.

هذا يعني أنني لا أقسر نفسي على كتابة القصيدة حتى لو كانت هناك فكرة تجول في ذهني، بل أدع هذه الفكرة تتفاعل في الداخل حتى تأتي لحظة انفجارها، وعندئذ أترك للقصيدة أن تختار شكلها وإيقاعها الموسيقي وتركيبها البنيوي حتى تكتمل، فإن تعذر اكتمالها في اللحظة، لسبب من الأسباب، فإنني أتركها لأكملها في وقت آخر. أما عن اللغة فأنا أرى أنها ليست كياناً مستقلاً عن القصيدة، بل عنصر أساسي من عناصرها، ومعنى ذلك أن شعرية القصيدة لا تكمن في لغتها وحدها بل في تكوينها الكلي الكامل. وأرجو ألا أخطئ حين أشير هنا إلى شيء أسميه "كيمياء القصيدة " وأعني تفاعل عناصرها، ومنها اللغة، تفاعلاً وظيفياً أشبه بتفاعل العناصر في مركب كيميائي، والمعطى النهائي الناجم عن هذا التفاعل هو الذي يحدد شعرية القصيدة ويعين الوظيفة التي أدتها اللغة: شعريتها أو لا شعريتها.

لذلك لا أميل إلى تقسيم اللغة تقسيماً مسبقاً إلى لغتين: شعرية ولا شعرية، ولا أقبل تجزئة لغة القصيدة إلى مفردات وجمل ومقاطع في معزل عن تكوين القصيدة الكلي كما يفعل أتباع المنهج الأسلوبي، إذ ليس ثمة لغة شعرية خارج القصيدة وقبل اكتمالها وتحولها إلى جسد مستقل.

وبذلك لا تكون اللغة ومفرداتها وجملها وصورها ومفارقاتها غايات في حد ذاتها، ولا يضطر الشاعر إلى اصطناع الزخرفة والتزيين أو البحث عن نقاء لغوي مفتعل أو الانسياق وراء لغة انفعالية محضة، بل يمارس حرية الخلق ممارسة كاملة وينتهك المعايير الجامدة بهذه الممارسة.

ثانياً: القول بأن القصيدة حدث جمالي موضوعي يحدث في اللغة داخل اللغة، وداخل العالم، هو في ظني ضرب من الميتافزيقا، وهو يذكرني بمعتقد عبراني قديم يوم كان العبرانيون يعتقدون بأن متنبئيهم (وهم شعراء!) ممسوسون بروح إلهية توحي إليهم وتنطق بأفواههم.

ولكن اللغة في الواقع ليست كائناً متعالياً ونظامها الخاص لا يعمل بمعزل عن وعينا وإرادتنا وتدخلاتنا، ومن ثمة فإن القصيدة ليست حدثاً جمالياً تلقائياً محضاً، وإلا لكانت محض هذيان، ولكان الشاعر مجرد يد تكتب، وهذا ليس واقع الحال. فالواقع أن الشاعر هو من يستقبل هذا الحدث، ومن يتدخل في لغته ومن ينظمه ويضفي عليه شكله النهائي ويمهره بقناعته، ولهذا قلت: إن كتابة القصيدة هي مزيج من الوعي واللاوعي، وهي بهذا تنطوي على شهادة الشاعر على عصره وعلى عالمه.

* شاعر من العراق

أرض في نهاية الوادي

عاصم الباشا

حسد وتباه

في القلمون، ما أعرفه عن النبك وبيرود، أصبح الحسد والتباهي أعقد مشكلة أمام الشباب لبناء عائلة، فالمهر (تلبيس الذهب) بدأ يتنامى إلى ما بعد الكيلوغرام (في الثمانينات).

(أذكر أنني اشتريت خاتما رخيصا لزوجي عندما كان ابني باسم في الرابعة من عمره).

كذلك وقت بناء البيوت واختيار أنواع السيارات و...

وما كان إخوتي في منجى من الداء، فنمير كان يشيّد أكبر بناية في يبرود، لم يتركوه يكملها، وأيمن وجد أن بيتا مساحته 1200 متر مربع ليس مبالغا به و...

بينما أفضل مع أمّي سماع أغنية تانغو في اللحظة المناسبة.

شتات

عايشت عن قرب شتات الفلسطينيين ثم الجمهوريين الأسبان ثم التشيليين ثم الأرجنتينيين ثم السوريين.

لاحظت أن طول شتات كل شعب يستجيب للترتيب الذي ذكرته؛ آمل ألاّ تخيب المصادفة.

لماذا لا أجرؤ؟

في بيتي غرفة على السطح جمعت فيها المكتبة العربية. وفي زاوية منها علب فيها أوراق لي قديمة (منتوج المنفى الذاتي).

لا أعرف لماذا لا أجرؤ على فتحها.

الدرس الأخير

عمل أبي حتى آخر يوم. في زيارة لي للأهل في بيرود ما كان بالبيت، قالت أمي "ذهب إلى سكفتا" (أرض في نهاية الوادي كان يملكها). ذهبت ورأيته يستظلّ وشكا من التعب.

أثبت الطبّ أن التعب سببه الداء؛ مات بعد شهر.

لكنه عمل حتى آخر لحظة ممكنة.

كان درسه الأخير.

فقد

صحيح أنني فقدت جهد أربعين سنة، وأنّ قليلا من التشكيليين فقدوا مثلي، لكن صديقي عبدالله مراد فقد ما هو أغلى: ابنه فادي.

واثق أنا أننا لن نتباكى عندما نلتقي، سنتحدّث عن العمل.

(حماتيات 1)

بعض الصباحات تطقّ "فيوزاتها" تماما. قالت اليوم وهي تشرب قهوتها وتنظر نحو الحديقة "هناك طفل مستلق في الحديقة"، ثارت ثائرة ابنتها ففتحت لها الباب وأمرتها "اذهبي واطلبي منه أن يقوم". خرجت وهي تجرّ ساقها اليسرى، اقتربت من المكان وعادت لتقول "صار نبتة"!

يا فتّاح العتمة.

(حماتيات 2)

أحبّ أمّي، كما يحصل لنا جميعا، لكنني أتمنى لها الموت قبل أن تصل إلى الحال التي هي عليها حماتي. نقطة.

تنفّس المومياء لا يجعلها حيّة.

أطفال كوكبا

أجمل أطفال فقراء صادفتهم في "كوكبا" القريبة من صنعاء. ما كانوا يطلبون مالاً أو حلوى، كانوا يطلبون أقلامًا.

جمهورية السجن

سجنت ساعات أيام الانفصال وكنت في بدايات المراهقة، بسبب وجودي في باص يبرودي ويبرود كانت عمومًا ناصرية.

السجن الحقيقي عشته فيما بعد، في عهد آل الوحش.

ليس ضروريًا أن تكون في زنزانة لتكون مسجونًا.

* نحات وكاتب من سوريا مقيم في غرناطة

النوادر والمقامات وأساطير السماء والأرض

مقدمة للقص العربي القديم

سلمى الخضراء الجيوسي

لقد استُخدم جنس "الخبر" (مفرد الأخبار) استخداما واسعا. والخبر في العادة نادرة قصيرة، تشبه القصة القصيرة جدا في الزمن الحديث (1). وغالبا ما يبدو الخبر حقيقيا او يدور حول شخوص حقيقيين او شبة حقيقيين، فهو لذلك بعيد خطوة واحدة من القصة الخيالية المحضة، ويوجد بكثرة في المجموعات الكبيرة والصغيرة لدى جامعي المقتطفات، سواء في العصر الوسيط او الحديث. وتعكس نوادر الأخبار الحياة العربية الاجتماعية والفكرية: معتقداتها، وأعرافها، وتجاربها المختلفة بالوان تنوعها. وتبدا هذه النوادر عادة بقائمة معنعنة من رواة كل خبر، وهي عادة اقتضتها الحاجة إلى زعم "الحقيقة" في الرواية، وهو ما كان الإسلام يطلبه من المؤمنين، خاصة في مراحله المبكرة. وبهذه الطريقة، اتخذت الأخبار الخيالية شكل الحقيقة.

حين يبحث المرء عن جوانب الحياة الاجتماعية العربية في العصر الوسيط، يجب أن يهتمّ بموضوع الصدق عند دراسة جنس الخبر. وسواء أكان الخبر الواحد قائما على الحقيقة او الخيال، فإن جوانبه كشكل فني هي التي تهم الناقد ومؤرخ الأدب الذي يسعى في المقام الأول إلى ملاحظة تطور فن رواية القصة في اللغة العربية، وأسلوبها وبراعة سردها. اما أهم الجوانب الفنية في هذا الجنس فهي الدقة في التعبير، والبناء المغلق، وسرعة البديهة، والإيجاز الذي يقتضي تمكنا لغويا تاما. كان بعض الأخبار قصصا قصيرة أو أحداثا، وبعضها الآخر تعليقا موجزا ينطوي على حكمة أو فكاهة حول مختلف مناحي الحياة.(2) وبعضها طويلٍ يروي أحداثا او قصصا معقدة، وهي كلها تتطور صوب نهاية محكمة. اما لغته فتفتقد في العادة إلى الحميمية التي تخاطب مشاعر المتلقي، وتثير الحماس او الحنين إلى الماضي أو التعاطف العميق. ذلك أن هذه هي حصة القصّة الأموية والذاتية المحببة التي يثيرها بصورة خاصة شعر الغزل المصاحب للقصة. لكن على المرء أن يتذكر أن العصر الذي ازدهر فيه الخبر ازدهارا كبيرا، حين كانت السلطة العباسية في أوجها، كان عصرا واقعيا تخلّى كثيرا عن رومانسية العصر الأموي.

الخبر جنس عربي بامتياز، ويعزى وجوده إلى عدم تشجيع الإسلام للسرد الخيالي المحض، ولكنه يعزى أيضا إلى البراعة العربية القديمة منذ ما قبل الإسلام في التعبير الموجز الدال، باقل ما يمكن من إطناب وضعف في السبك، وهو ما أحب النثر العربي لأجلّا. وهو أيضا نقيض الحكايات التي لا نهاية لها في كتاب التيجان، حيث تنمو القصة من الأخرى. اما الاهتمام بالكرة من المؤلفات التي تحتوي على مئات النوادر،(3) فتاتي من حوافز ثانوية أخرى: حبّ رؤية نمط الحياة العربية، خاصة العباسية، تنبض بكل أنواع التجربة، وبروائح المكان والوانه وإيقاعه؛ واهتمام أفقها بتنوع مواضيع الإنسانية التي لا يخلو بعضها من تسلية، بل أحيانا ما يكون فيها عبث مضحك. إن هذه السرديات تلقي الضوء على تاريخ المكان والناس وحتى على جميع التجربة العباسية. والواقع أن التراث الثقافي والاجتماعي العربي كله، في واحدة من أغنى الحقب، ينطوي على كنز حقيقي من المعلومات في هذه المعاجم والمؤلفات الكثيرة.

لقد بدأت مبكرا مرحلة الصدق في الإسلام. فقد عكس القرن الإسلامي الأول انتباها كبيرا، اكان نقاشا أم مفروضا، لمتطلبات العقيدة الجديدة في حثّه على نشر

> تبدو العلاقة بين الأدب العربي وعامة الناس جليةً حتى أيام الجاهلية، وقد تأكد وجود تلك الصلة في وقت مبكر من ظهور الإسلام بظهور قصص الحب الرومنسي في العصر الأموي

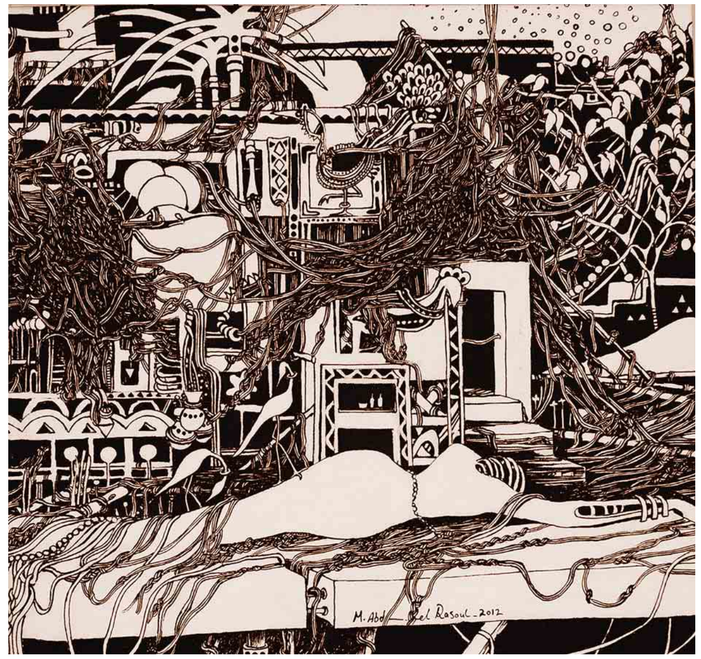

مرت قرون عدة حتى استطاع الخيال العربي تحرير نفسه من أسر الصرامة الاجتماعية

رسالة الدين الجديد حول العالم. وقد أشهر الإسلام هذه البقعة شبه المنسية من العالم وجلب لها الثروة والفتح. فقفزت الجزيرة العربية صوب الطليعة. ومن قسوة الصحراء وجديها وصلت إلى بلاد الفاكهة والأزهار والمياه الجارية. وقد فتحت هذه الحركة الحاسمة آفاقا كثيرة للعرب الذين كانوا محاصرين في صحراء شبه الجزيرة العربية الواسعة والمجدبة في أغلبها، متقلبة إلى حدّ ما على الهوية القبلية للبدو العرب الذين بدأوا مرحلة الحياة الحضرية. وقد جاءت أيضا بشعور بالهوية العربية-الإسلامية الجديدة التي استمرت لذلك في البقاء حيّة في الضمير العربي.

يرتبط الخبر بالباحث والفقيه اللغوي، الأصمعي (124–216هـ/741–831)، (تختلف المصادر في تعيين سنة وفاته بعضها يذكر سنة 208هـ والبعض يذكر سنة 211هـ وآخرون يذكرون سنة 216هـ)، و(213 ،828) وغيره من اللغويين من بعده، مثل ابن دريد (223–321هـ/837–933). ومنذ القرن الرابع-العاشر أصبح واسع الانتشار. وقد استغرق الأمر عدة قرون قبل أن يتجه الإبداع العربي نحو الخيال مرة أخرى، متخذا منه ملاذا من ضغوط الحياة في تحليقات خيالية أخضعت المستحيل ووصلت إلى مواطن الخوارق الجامحة.

كان القص العربي في بواكير الإسلام موضع شبهة بسبب المبالغات والفوضوية وإمكانية أن تنتشر هذه السرديات بعيدا عن تعاليم الإسلام. وقد أراد علماء الدين للمسلمين الجدد أن يركزوا على القرآن وسنة النبي. لأن فيهما كل شيء. بعد ذلك بزمن طويل، ذكر القاضي واللغوي والعالم الفقيه ابن الجوزي (511–597هـ/1117–1200) ستة عوامل رئيسية رأى أنها اجتمعت على التغطية على أن رواية القصص: أولها أن الناس كانت تميل إلى رفض ما لم يكن موجودا أيام الرسول؛ وثانيها أن قصص المتعرّفين الذين يعيشون في المدن المزدحمة من الإمبراطورية، قد سجل الخبر التغير في اللغة لدى العباسيين (9)؛ ذلك انه بينما بقي قادرا على البقاء في مستواه الرفيع الفصيح، كان قادرا أيضا على احتواء أصوات السوق وأصدائه ولغة دهماء العامة فيه. ويستطيع اللغويون المهتمون باللسانيات التاريخية أن يستفيدوا كثيرا من الفحص الدقيق لهذه السرديات الشعبية. والحقيقة، حين حدث اختلاط عرقي ولغوي كبير في العصور العباسية، ترك التغير اللغوي أثره أكثر ما ترك في السرد النثري، لا في الشعر.

وهكذا تمتع الخبر بتحرر رائع من قيود اللغة البليغة وشكلها، وهو ما لم يكن للشعر أن يتمتع به. ثم كان للنثر العربي لاحقا أن يُقيّد بقيود عظيمة بانبعاث الأسلوب البلاغي الضخم الذي المُرصّع بالقوافي الداخلية وزُخرف القول. وسوف نرى هذا في الشكل المقيّد للمقامات وفي رسالة الغفران، تلك الأطروحة البليغة المعقدة للشاعر العظيم أبي العلاء المعري (363–449/973–1057).

لكن هذه البدعة انطلقت في اتجاهها بينما استمر اكتساب ثروة من المعرفة التاريخية والعلمية والاجتماعية واللغوية والأدبية من المجموعات المعدة للأخبار حول المواضيع العامة والمتخصصة. ولم يبدأ العرب والمستعربون النظر باستهتار اكثر لقيمة جنس الخبر، فبدرسون فنيته ومميزاته، إلا حديثا.

لقد خُطّت الكثرة من المجموعات والكتب الصغيرة باستخدام هذا الشكل. فنوادر الأصمعي وملاحه قد ظهرت في مجموعات الأخبار العظيمة. وقد عاش مختلف الكتّاب في صميم الحقبة العباسية الصاخبة، حين كانت الظواهر الثقافية الحضرية قد اخذت شكلها، وحياة المدينة قد اكتسبت سرعتها وإيقاعها وأعرافها، ناهلة المعرفة من خليط من الثقافات والأفكار وانماط السلوك التي لا تتناغم تماما مع العادات القديمة قبل العباسية. كان الجاحظ (159–254/775–868) واحدا من هؤلاء البارزين، وهو كاتب ومؤلف ظهر مبكرا. وبالرغم من اهتمامه الشديد باللغة والأسلوب، فقد اهتم أيضا بالحياة المعيشة والطبيعة الإنسانية وطبيعة كل الموجودات. وقد ألف بعض أشهر المجموعات على موضوع عامة ومتخصصة، مسجلا نوادر عديدة وحكايات متضحكة. ونذكر له بشكل خاص كتاب البخلاء، الذي أخذنا منه هنا عددا من النوادر.

لقد عكس عمله في هذا الكتاب وفي كتبه الأخرى ليس فقط حسه الفكاهي وبراعته في التهكم، بل أيضا اهتمامه الكبير بعامة الناس، حتى بالأوباش، كجزء من اهتمامه العميق بالتصرف الإنساني ذاته. يكشف الكتاب المؤسسة المتينة للثقافة حضرية في العصر العباسية، وبروز طبقة وسطى تحفل بالشؤون المالية وتخزين الثروة لذاتها، وطبقة دنيا تحاول أن تبقى على قيد الحياة في بيئة انغمست في المكاسب المادية. هناك نوادر(10) جميلة مسجلة في البخلاء تصور شخصيات اجتماعية هامشية: أناسا بسطاء ومحتالين طرفاء، وشحاذين، ولصوصا (11). وأما روح الفكاهة، فتعكس أخيرا كبيرا لدى الكاتب العربي منذ أيام بداوته حين كان مقيدا إلى المواقف الرزينة. فالصحراء تنتج القليل من الفكاهة، بينما تُظهر الآن حياةُ المدينة اثرَها على هذا الجانب من ردة الفعل الإنسانية، وهي عادة ما ترتبط بالثقافات الحضرية (12). وقد كان هذا مقدمة لظهور المقامات لاحقا. حقا إن عمل الجاحظ إنجاز ثقافي عظيم قبل اكثر من قرن على نهاية الألفية. لقد استغل استخدام الخبر كثيرا في كتاب الإغاني الشهير لأبي الفرج الإصفهاني (284–355/897–966)(13) وفي مؤلفات ومعاجم أخرى مشهورة.

غير أن سرديات أبي علي التنوخي (327–384/938–994) كانت خلاصة للمعرفة واتساع الرؤية وممتعة جدا؛ فالخبر هنا قصة قصيرة مثيرة وذات طبيعة مسرحية. وللتنوخي عدة كتب منها الفرج بعد الشدة، الذي يدور حول أحداث أناس حقيقيين، وغالبا ما يذهب إلى النصيحة وذكر الأمثلة من النصوص الدينية، لكنه خال من الفكاهة عموما. غير انه يعكس الأسرار الحميمة للحياة السياسية، وطغيان الحكام والرعب الذي يصبونه في قلوب الناس من جميع مناحي الحياة. اما أبرز عمل له، فكتابه الواقع في ثمانية مجلدات ممتعة ومثقفة، "نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، حول مفاز ثقافية واجتماعية عامة. اما كتابه الثالث، " المستجاد من فعلات الأجواد"، فعن مغزى آخر متخصص. ومن المثير أن نرى كيف يستخدم الكاتب في الكتابين الأوليين كلمات من العامية المعاصرة، مثيرا شعورا بالألفة والبداهة للقصص؛ بينما يعود إلى لغة اسمى في كتابه الثالث حول موضوع الكرم وحسن الضيافة، وهو من المثل العربية القديمة المقدسة منذ العصر الجاهلي. وهناك ميزة عظيمة أخرى لهذه الكتابات تتمثل في الاهتمام الواضح بالعامة. إن هذه ظاهرة عامة في الكتابات العربية في ذلك الزمن، كما بحثنا اعلاه. وكذلك صُوّر الإنسان الفرد كشخص تلقائي بمشاعره ونزواته ومذاقه وخياراته، وهو موقف ينقلب إلى عكسه فورا حين يصور المؤلف ردود الفعل المدروسة والمتكلفة لدى الخلفاء رجال السلطة.

بيد ان للخبر، من حيث هو شكل، حدودا أهمها حقيقة مجاله الضيق في تنوع التقنية. لكن الكتّاب الخبر العبدريين وجدوا لاحقا طرقا أخرى عديدة لتنويع تقنياتهم القصصية، وبعضهم أصبح أصيلا إلى اقصى الحدود.

جهنم والجنة

هذه هي قصة الإسراء والمعراج التي تصور معراج الرسول إلى السماء ليلا، بادئا بإسرائه من المسجد الحرام في مكة المكرمة قاصدا المسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس، ليعود بعدها إلى مكة ثانية في الليلة عينها. إنها قصة صعود النبي إلى السماء ليقف بين يدي ربه، يقوده في رحلته ذلك الملاك جبريل. وفي صعوده إلى السماء استطاع أن يشاهد عذاب جهنم وجمال جنة الفردوس المنير. إن هاتين الرحلتين الليليتين اللتين حدثتا قد ظهرت في مجموعات من بين قلة من حكايات العجائب في الإسلام، ولقد احتسبتا على الفور خميرة كبيرة، مما يدل على هيام الناس بالمعجزات والعجائب، فانتشرتا انتشارا واسعا حتى خارج عالم الإسلام، وهو أيضا دال على انبهار الناس عامة بالمعجزات وخوارق الطبيعة. ولقصة المعراج عدة روايات تحتل الكثير من الروعة في وصف الجنة وجهنم. وفيما يلي مقتطف مما كتبه عبدالوهاب لؤلؤة (14):

حسب عدة روايات في السرد الإسلامي، لقد رأى النبي جهنم من حيث وقف في السماء الثالثة. وهي ذات عدة طبقات حيث القى بالمذنبين بحسب درجة خطاياهم. وجهنم في مكان عميق تحت بيت المقدس، مركز الأرض. ولها شكل يشبه المحقان المقلوب، وسلسلة من القيعان الدائرية المركزية هابطة من الأعلى إلى الأسفل. (كذلك) لها سبعة أبواب. اما الجنات فسبع أيضا، مما يدل على الأهمية الخاصة للعدد سبعة في الثقافة الإسلامية. وللجنة في الإسلام أربعة أنهار. أما الرحلة فإلى العرش المقدس حيث يبهر الضوء العيون. وأما الصعود فمن بيت المقدس.

لقد بعد لؤلؤة إلى القول:

طبيعي جمال الجنّة في الإسلام، خاصة في التركيز على الضوء والصوت في العملين: فالضوء دائما باهر، والصوت إما من الطبيعة، كاصوات الأشجار والطيور، أو صوت التسبيح بحمد الله. ... (فالآية التي تقول) "الله نور السموات والأرض" هي أصل الإسراف والترتيل عند المسلمين، استنادا إلى ذلك الوصف القرآني. والإضواء مفعمة بالألوان... والملائكة تظهر كذلك في أنوار رائعة (15).

لقد اقتبس أبو العلاء المعري لاحقا من قصة المعراج كتابه، "رسالة الغفران"، وكذلك فعل الشاعر الأندلسي، ابن شهيد (383–449/992–1035) في كتابه، "التوابع والزوابع . وقد تُرجمت إلى لغات كالكتالونية والفرنسية واللاتينية. ويرى بعض المهتمين إمكانية وجود اثر لها على الملهاة الإلهية. وقد كتب عبد الواحد لؤلؤة، في دراسته أعلاه، بشكل كامل عن التشابه الكبير بين الروايتين العربية والإيطالية وعن الظن في اقتباس دانتي للأسطورة الإسلامية بحيث لا يترك مجالا للشك بحقيقة ذلك.

جهة الأساطير

مع نهاية العصر الأموي، كان لدى العرب عدة أنواع من الأجناس القصصية الضخمة التي تعكس البناء المكتنز للأدب المكتوب. من أول تلك الأعمال كليلة ودمنة، وهي مجموعة من أساطير ترجمها ابن المقفّع (102–139/720–756) من الترجمة الفارسية لمجموعة هندية. وقد استخدم ابن المقفع، وهو فارسي مستعرب ومعتنق جديد للإسلام، أسلوبه الفصيح البليغ وتمكنه من اللغة لإنتاج نص خالد نال عددا كبيرا من الدراسات النقدية وبعض التراجم، ولم يفقد سحره حتى اليوم. لقد كانت الأساطير جذابة للكتّاب في الكثير من الثقافات، وقد استخدمت كثيرا للتعبير عن ملاحظات الإنسان للحياة والإخلاق. تدور كليلة ودمنة حول الأجوبة التي زُعم أن وزير دبشليم، أحد ملوك الهند، أعطاه إياها. وقد كان هذا الوزير فيلسوفا برهميا يدعى بيدبا. وكانت أجوبته على شكل أساطير تمثل فيها الحيوانات وتتكلم، مطلقة إشارات ذكية للحياة والتجربة الإنسانية. والغاية في كل حكاية إلقاء الضوء على منحى أو اكثر من مناحي الحياة، أو وضع حلول لمشاكل يواجهها الناس، أو إعطاء درس حول التصرف الصحيح. وقد تحقق هذا بمقارنة وضع أو عمل إنساني بحادثة حدثت ببعض الحيوان، او بتذكار فكرة قالها آخر، وبالتعبير عن حالة عاطفية وقع فيها ثالث، ولكنها كلها حقيقة تمثل تجربة إنسانية فيدرك القارئ معزّاها فورا. وبالرغم من أن الغاية من هذه الأساطير تعليمية، فإنها عادة ممتعة وغالبا ساحرة. والإتيان بالحكمة العميقة من ألسنة الحيوان يجعل تذوقها اسهل، لأن الحيوانات قادرة دائما على استثارة مزيد من العطف وقليل من العداء لدى الناس. اما في عصر يتسم بالاضطراب والخطر، كذلك الذي عاش فيه ابن المقفع، والذي قتل فيه بوحشية وهو في ريعان الشباب على يد الدولة العباسية، فاللجوء إلى هذا النحو من المواربة كان طريقة جد ذكية للتغلغل على نقد المرء للأوضاع السائدة. وعلى مدى الكتاب، كان الملك دبشليم يقترح موضوعا على بيدبا، أو يعرض مسألة، فيرد بيدبا بجواب كان يقول، مثلا: حين رأى الأسد العظام في عرينه... ثم يمضي في رواية الأسطورة.

لقد كانت هذه الأساطير ناجحة بامتياز، سواء أكان ترجمها ابن المقفع كلها أو جزءا منها، وكتب الجزء الأخير بنفسه، كما يميل إلى ذلك بعض الباحثين (16). لقد عاش العرب في الصحراء قريبا من الحيوانات، فكان لها دور كبير في حياتهم. وفي أدب الجاهلية، صُوّرت الحيوانات بتفصيل دقيق، منها ما كان صيدا أو صيادا، ومنها ما كان مصدرا للطعام أو مطية للسفر يُعتمد عليها للبقاء على قيد الحياة في الصحراء. وقد بلغ وصف الشعراء البدو لها ابعادا مثالية ورمزية. لذلك، فإن الإشارات والترميزات الموجودة في عمل ابن المقفع كانت متناسبة مع المعاملة (الطيبة) التي خصها بها الشعراء الكبار، من أمثال لبيد في الجاهلية، وذي الرمة في العصر الأموي (77–117/696–735)، معطين إياها توصيفا دقيقا جدا.

والأساطير مشهورة أيضا في الأدب الغربي، خاصة أساطير العبد الأفريقي أيسوب في القرن السادس قبل الميلاد. لقد أتبعت أساطير ابن المقفع العربية لاحقا في العصر العباسي بمحاولات أخرى تكاد تشبه النمط ذاته، وهي التي رأيناها في ألف ليلة وليلة، وغالبا ما كانت رواياتها تُحرّر بشكل لافت. وقد كتبت فريال غزول مقالا مفصلا عن استخدام الأساطير في ألف ليلة. وكذلك كتبت عن تبني إخوان الصفا الفلاسفة لها، مما يدل على استمرارية هذا الجنس في العربية الفصحى والتقدير له. وفي ألف ليلة، تصور الأساطير انماط السلوك عند الناس، وتبدي التصدعات ضد الضعف لدى البشر. بيد أن لإدخال الأساطير في أعمال إخوان الصفا اعتبارا مهما، إذ تُخدم الفلسفة ومنبوذين، ومتشردين، وبلهاء سذّج ينطلي عليهم أي شيء، ومهرجين، ومحدثي نعمة، إلى الفن القصصي العربي إنما يدل على النمو السريع للمدنية، وعلى حنكة قفزت فوق التقسيمات الاجتماعية طويلة الأمد حين كانت أعناق الفن القصصي تشرئبّ إليها الطبقات العليا وحدها، تاركة وراءها الآخرين في الدرجة الثانية او ما دونها، بلا قيمة حقيقية في السرد.

للهمذاني أن يفتخر بانه كاتبٌ ذو نوع خاصّ من الأصالة، كاتبٌ ابتدع شكلا قصصيا جديدا ونجح فيه نجاحا باهرا. ولم تقتصر مغامرته على اختلاق خطة تنظيمية غير مسبوقة للجنس، ولكنه أيضا تصرف بالمضمون بطريقة تاتي بمعالجة جميلة لمضمون محض قصصي مبني حول شخوص متخيلين، فالخبر، كما رأينا، كان دائما ذا صلة للحقيقة ويدور حول شخوص حقيقيين أو شبه حقيقيين. غير أن الهمذاني بهذا العطاء المزدوج كان قادرا على عرض إضافة جديدة ومثيرة لكلتا الحالتين المحدودة في الفن القصصي في العالم، معطيا هيكلا ومادة للتغير الثقافي والاجتماعي والأدبي العظيم الذي حدث في النثر الفني المختلفة من الحياة العربية في العصر الوسيط.

لقد خاض الكتّاب قبل الهمذاني تجربة النمط الساخر لمدة طويلة؛ وكان الجاحظ ابتدع صلات قريبة من هذا النمط ونجح فيه نجاحا رائعا. أما الهمذاني، فقد جاء بهذا النمط الساخر بكليّته إلى الفن القصصي، وفي هذا إشارة واضحة إلى إحساس متغير لا رجعة عنه، عاكسا اختلافا كبيرا مع ما لدى النثر من مُثل وخطاب مترفّع. وأما شخوص المقامات المتنوعون المختارون من الخلفية الاجتماعية للمجتمع العباسي، فقد كانوا، باستثناء نادر (20)، لا تدركهم عين الشاعر الفصيح، مترفعا عنهم لا يعيرهم اهتماما. وعلى التقدير الناجح للمقامات، من حيث الهدف والنمط والنية، تراجعا عن التركيز المفرط على الفخامة والعظمة الاجتماعية؛ وقد أنشا هذا شقا لعله تامٌ بين الشعر الرسمي وبين النثر القصصي في العالم الروائي للهجرة من غير ترابط عفوي بينهما.

في المقامات الإحدى والخمسين الباقية للأجيال القادمة (يزعم الكاتب أنه كتب اربعمئة) يبدي الهمذاني رؤية بعيدة، وبراعة في استخدام اللغة، وقدرة عظيمة على الوصف، وتمكنا من الكتابة في مواضيع المختلفة ويصفها بلغة عالية فصيحة على لسان راويته المسمى عيسى بن هشام. والأخير هو من يرويها للقارئ او المستمع. ظريفة ومرحة دوما، تلك هي المقامة. إنها لوحة لتجربة واحدة، ولمغامرة كاملة بحد ذاتها، تركز على العمل والحوار معا، محمود بالوقت والمكان، على مسرحي مكثّف، وحوار خادع مسل في اغلبه. أما عالم المشاكل لما يخلف الحكاية، وهو عادة رجل محتال، فغالبا ما يخلف حدوده المقيّدة حيث يتجاوزها البطل منتصرا. بلى، إنه سيد زمنه ومصيره.

> كثيرا ما قيل إن رسالة الغفران قد تكون الأساس الذي بنى عليه دانتي الملهاة الإلهية (التي صدرت في القرن الرابع عشر للميلاد)؛ وهي رحلة أخرى إلى العالم الآخر

كان يعمل الهمذاني أن يستمر ويزدهر. ذلك أن كُتّابا آخرين أخذوا عنه طريقة المقامة مغيرين أسماء الأبطال. وسرعان ما رحل هذا الجنس الذي ابتدعه إلى المغرب جاذبا له عدة كُتّاب أندلسيين، كالشاعر الشهير ابن شهيد (382–426/992–1035). غير أن أشهر خلف للهمذاني كان أبا محمد القاسم بن علي الحريري (446–516/1054–1112) في المشرق، وهو من جعل من شكل المقامة وسطا للتمرين العظيم في البراعة اللغوية، فملأ مقاماته بالزخارف وابتداعات الصنعة. وقد ركزت مقاماته على تجريب مستمر في روعة الأسلوب وفي تضمين المجازات المعقدة. ومقاماته أطول من مقامات الهمذاني وهي تحف فنية في البراعة اللغوية. فكان الحريري من امّد اثره على الكُتّاب العرب من بعده، حتى القرن التاسع عشر عند بداية النهضة الأدبية العربية حين كتب حصته من المقامات بعض أوائل رواد النهضة، مثل نصيف اليازجي (1800–1883) واحمد فارس الشدياق (1801–1887) (21).

رسالة الغفران

لقد كانت رسالة الغفران، تلك الأطروحة المعقدة ذات البلاغة الرفيعة للشاعر الشهير أبي العلاء المعري (363–449/973–1057)، ردا على خطاب جاء من كاتب يدعى علي بن القارح يتضمن أسئلة تدور حول البدعة والإيمان، ويكشف عن موقف رجعي وربما عن انحياز في تعليقاته الناقدة على بعض الرموز الأدبية، فاستثار المعري وحمله على كتابة رسالة الغفران. إنها سرد لرحلة متخيلة إلى العالم الآخر أرسل المعري عليها ابن القارح قصوره زائرا للجنة وللجحيم كليهما، حيث يقابل شعراء وأدباء ولغويين ورواة ويحاورهم. وإذ شعر المعري بالتحدي لما في خطاب ابن القارح من ادعاء، فقد اتخذ هذه الرحلة إلى العالم الآخر كي يكشف مؤهلات ابن الفارض المتواضعة ولكي يتباهى بسعة معرفته بالثقافة العربية، وتمكنه من اللغة العربية وقواعدها وبلاغتها، وإتقانه فقه الدين، وخبرته بالأخبار وبالشعر العربي في الجاهلية والإسلام، وباتساع ثقافته العامة. إن هذا العمل الجليل، الذي كان تجريبا عظيما في الثقافة والبراعة اللغوية، كان أيضا مغامرة أدبية رئيسية في انه نجح في تحويل جنس الرسائل إلى شكل أدبي جديد، ذي خصائص قصصية مميزة.

كان صوت المعري هو الذي يروي ويصف. فاما البطل الرئيسي، ابن القارح، فيتحرك ما بين الجنة وجهنم، ومع كل حركة هناك احداث قصصية تحدث، وهي في الاغلب هما يثير اهتمام القارئ الحقيقي. واما الراوية، فيتبع خطوات البطل، مراقبا كل خطوة له، مطلعا على كل محادثة يجريها مع سكان العالم الآخر، وهو، أي الراوية، يعلم كل ما يدور في أذهان الناس المعنيين. لقد كانت هذه فرصة ملائمة للمعري لكي يقول الكثير من ملاحظاته عن الأفكار والمذاهب المنتشرة في عصره. وهو، من بين أشياء أخرى، يهاجم ساخرا عدة معتقدات دينية، منها صوفية الحلاج.

أما الطبيعة القصصية في هذا العمل فتتجلى في تكوينها من أحداث قصصية مختلفة في كل قطاع من الرحلة، حيث تحتفظ كل حادثة بتكاملها؛ وهي أيضا اختلاف كبير مع الاتجاه المعقد لدى كل من كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة، حيث غالبا ما تتشعب كل المجرّات المعقدة. ومقاماته أطول من مقامات الهمذاني وهي تحف فنية في البراعة اللغوية. فكان الحريري من امّد اثره على الكُتّاب العرب من بعده، حتى القرن التاسع عشر عند بداية النهضة الأدبية العربية حين كتب حصته من المقامات بعض أوائل رواد النهضة، مثل نصيف اليازجي (1800–1883) واحمد فارس الشدياق (1801–1887) (21).

رسالة الغفران

لقد كانت رسالة الغفران، تلك الأطروحة المعقدة ذات البلاغة الرفيعة للشاعر الشهير أبي العلاء المعري (363–449/973–1057)، ردا على خطاب جاء من كاتب يدعى علي بن القارح يتضمن أسئلة تدور حول البدعة والإيمان، ويكشف عن موقف رجعي وربما

لعبت قصص الحب العربية دورا بارزا في تأسيس السرد القصصي العربي

تنشر بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية وبقية الدراسة على الموقع الإلكتروني

فريدا كالو المرأة الشريط الملتف حول قنبلة

أحبت الرجال والنساء واستقبلت في المكسيك ليون تروتسكي

تحسين الخطيب

❏ "ولدتُ غانية، ولدت رسّامة". وبين هذين القدرين قضت فريدا كالو حياتها بعنف المرأة التي ترقص على حافة الجنون. كانت ترسم بنهم الشهوة، وتناوم النساء والرجال على حدّ سواء. كانت تلتهمهم بضراوة النمرة التي تعقد حاجبيها كجناحيّ طائر طنّان فوق عينيها الشاخصتين. فعلت ذلك قبل زواجها من عشيقها دييغو ريفيرا، الرسام المكسيكي الشهير، والذي كان يكبرها بعشرين عاما، وأثناء زواجهما، وبعد طلاقها منه مرّتين، وحتى الرمق الأخير من حياتها التي انتهت بجرعة زائدة من المورفين في "البيت الأزرق"، لم ينج من شهوتها أحد، حتى ليون تروتسكي ذاته، عاشرته في بيتها، بعد هروبه وزوجته من النرويج إلى المكسيك هربا من ستالين.

كان ولع كالو بذاتها هو باعث شهوتها الأكبر؛ ويكشف لنا نثر يومياتها الهادر عن شعريّة باذخة لا تقلّ عنفا عن البورتريهات السوريالية التي رسمتها لنفسها، نثر قائم بين "ملاطفة الأقمشة ولون الألوان والخيوط والأعصاب وأوراق النباتات والغبار والحرب والشمس"، نثر شبقيّ بلا تقاويم، بأحبار ملوّنة، بُريت أقلامها الكاتبة "بحدّ الأبد".

"لا مثيل لديكَ"، كتبت فريدا في دفتر يومياتها إلى دييغو، "ولا شيء كالأخضر الذهبيّ لعينيك، جسدي طافح بكَ لأيام وأيام. أنت مرآة الليل، وميض البرق البطّاش، رطوبة الأرض، غور إبطيك ملجئي، وأصابعي تلمس دمك".

كان دييغو، بالنسبة إلى فريدا، مسالك أعصابها التي لا تكفّ عن الدوران، هو المصباغ وهي حاملة اللون، هو رائحة خلاصة البلوط وهي ذكريات الجوز، هو النفَس الأخضر وهي شهادة الزجاج؛ "عيناك سيفان أخضران في لحمي"، خاطبته قائلة في رسالة أخرى، "وكلُّك في فضاء طافح بالأصوات، في الظل والضياء.. أنتَ تُلبّي وأنا أحوز، كلماتك تطوف الفضاء كلّه، وتصل إلى خلاياي التي هي نجماتي، ثم تذهب إلى نجماتك التي هي ضيائي.. وكان عطشٌ عديد سنينَ قد لُجِمَ في جسدي، كلمات مصفّدة لا نستطيع قولَها إلا على شفاه الأحلام. وكان كلّ شيء مطوّقا بالمعجزة الخضراء لمشهد جسدك، وعلى قدّكَ، سياط الأزهار.. سيرة الثمار في عصارة شفتيك، دم الرمّان.. ضممتك إلى صدري فاندسّ شكلك في دمي، عبر أطراف أصابعي.. أنتَ هنا، غير محسوس، وأنتَ الكون كلّه، الكون الذي أشكّله في فضاء غرفتي. غيابكَ يتدفق مرتعشا في تكّة الساعة، في نبض الضياء؛ وأنت تتنفّس في المرآة. منكَ إليّ يديّ، أمسّد جسدكَ كلّه.. ودمي المعجزة التي تسري في خلايا الهواء.. تصبح المعجزة الخضراء لمشهد جسدي في جسدك الطبيعةَ كلها.. إنه ليس حبًا، ولا رقّة، ولا عاطفة، إنه الحياة نفسها، يا حياتي، أن أجد ما رأيته في يديك، في فمك وفي شعرك وفي ثدييك. في فمي، طعم الجوز من شفتيك".

كان دييغو ريفيرا هو مرآة الليل بالنسبة إلى المرأة التي وصفها أندري بريتون ذات يوم "بالشريط الملفوف حول قنبلة". ولكنها كانت كل شيء بالنسبة إلى نفسها، كانت امرأة القلادة اليَشب وظلّ الشارب فوق شفتيها، امرأة القلادة الأشواك، تاج المسيح، وفي جيدها الطائر الطنّان. امرأة الشعر الأجعد والقرط الدائري الأزرق في شحمة الأذن، امرأة قناع الموت وأيامه، بالزهرة الصفراء، تحت سماء عاصفة، تميل. امرأة رأس النمر الخشب، امرأة الفخذ المجروحة ويد تحت التنورة تستمني. امرأة في مرآة مؤطّرة بالأصداف والمحار وخيوط عنكبوت حول عنقها، امرأة منمنمة في الخشب ووردة حمراء قانية على رأسها كأنها النار. امرأة بحاجبين كجناحي نسر مفتوحة في الأعالي، وعبّادة شمس في حر الظهيرة، امرأة بكتفين غرابين متقابلين. امرأة القرد، سيّد الرقص ورمز الشهوة، وقد طوّقها بذراعه. امرأة الجناحين القشّ والشرائط المدقوقة بالأرض. امرأة فراشات القيامة، والجسد الشمع المقطّع أوصالا. امرأة السرير الذي في الغمام، السرير المقصلة والهيكل الورقيّ على ظُلّته ينوس. امرأة الجسد الكرمة، الجسد المُشلّع، والعشاء الأخير، امرأة الزهرة الزرقاء والببغاء الأصفر الحزين. امرأة السيكارة المعروقة بين الأصابع، والضفيرة التّاج. امرأة ثمار الأرض، امرأة الزهرة اللّهيب، امرأة الساعة الحادية عشرة وثلاث دقائق بالجرس ذي الحلقة النحاس على تكّاتها. امرأة جوز الهند والبطيخ، امرأة الجذع النافذة، والعمود المكسور والمِشدّ الحديد؛ المرأة ذات الشعر الطويل حتى سنابل القمح. امرأة الشمس الساطعة بين نباتات كأنها قضبان رجال وأرحام نساء؛ المرأة الغزالة الرامحة منخوبة بالسهام.

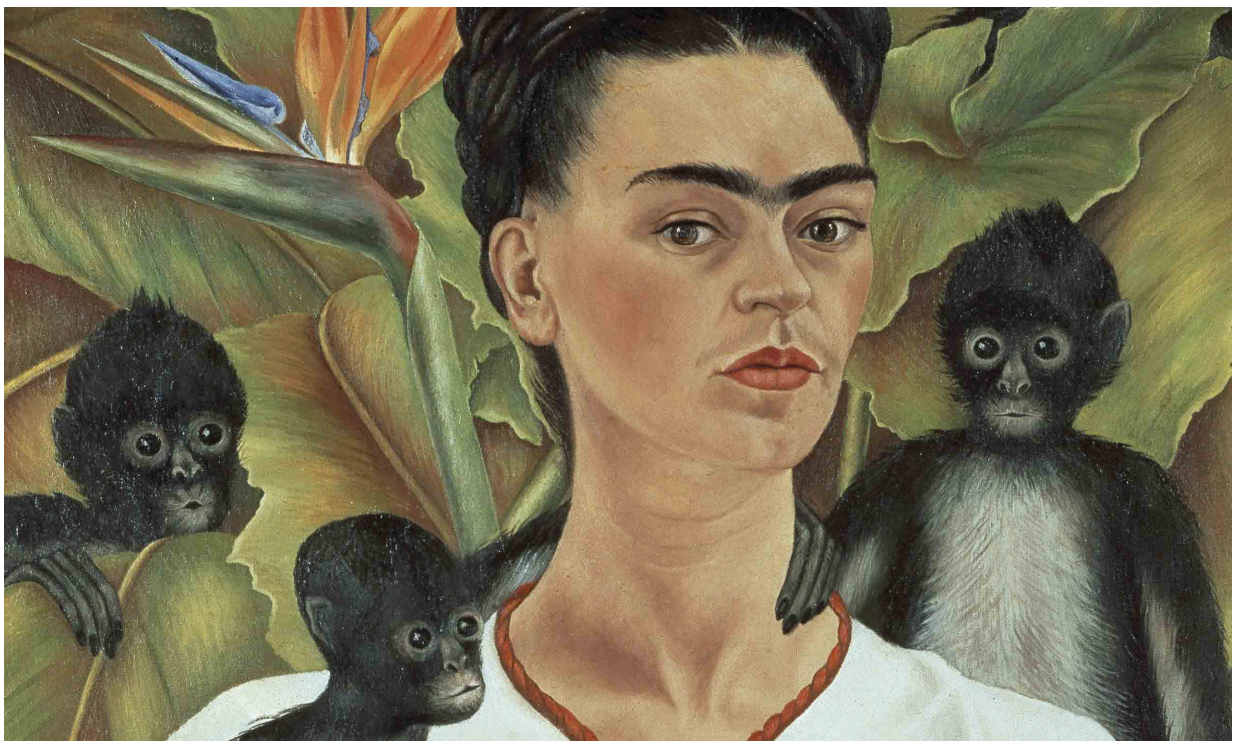

كتبت فريدا كالو: المعجزة الخضراء لجسدي هي الطبيعة كلها

* كاتب ومترجم من فلسطين مقيم في الأردن

فريدا في جوار عمل مشهور لها أثناء إنجازه: إمرأة بحاجبين كجناحي نسر

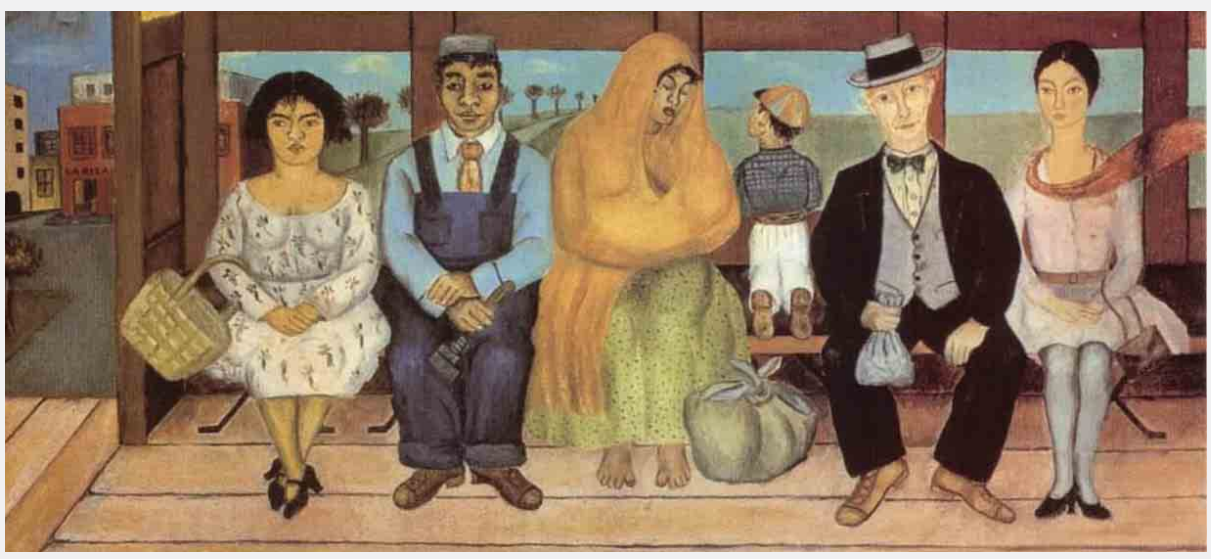

اعمال فريدا كالو تكشف عن نموذج فريد من الرسامات السوريالیات في العالم

ثمن غياب الرقص من حياتنا

سلام سرحان

❏ لم تكن المناسبات التي تضعني أمام فرصة للرقص، قليلة خلال إقامتي في لندن طوال 24 عاما. لكنني كنت أفاجأ في كل مرة بصعوبة التسليم لسلطة الموسيقى والسماح لها بفضّ الاشتباكات المعقدة للجسد، ذلك الكيان الملتبس الذي أحمله متوهما سلطتي المطلقة على ثناياه المغلقة.

في كل مرة أرقص فيها، أخرج بعملية صلح شاملة واقتراب حميم من جسدي، الذي عادة ما أجده قد تخشّب وفقد مرونته وابتعد عنّي إلى مسافة، تتناسب مع حجم الفجوة الزمنية بين جولتي رقص.

بعد كل جولة رقص، تخترق ابتسامة واسعة جميع ثنايا العقل والقلب ويزداد الذهن مرونة وحيوية تمتد الى مفاصل الجسد وعضلاته وتصل إلى المواقف الصارمة من العالم والآخر، وتتسع شحنة المحبة والتسامح والاحتفاء بالجمال.

كل ذلك رغم أنني لست راقصا جيدا وأقصى ما يذهب إليه جسدي هو حركات عشوائية تحاول التناغم مع الموسيقى دون بوصلة محددة؛ ماذا لو كنت راقصا بارعا تعرف الموسيقى طريقها إلى أطرافه وأعماقه؟

في كل مرة أكتشف أنني، أو ربما أننا جميعا في معظم بلدان الشرق الأوسط، لا نستطيع الاستسلام لسطوة الرقص والموسيقى بسهولة مثل الشعوب التي يمثل الرقص أحد أبجدياتها الحياتية الأساسية، ولا تجد حرجا من القفز إلى حلبة الموسيقى.

لم أندفع يوما دون وجل إلى حلبة الرقص، مهما كانت مساحتها ونوعها ومكانها وزمانها أو نوع الصحبة، رغم أن التجربة كانت لذيذة في كل مرة، وتخلّف على الدوام شعورا فريدا وتبث نسمة حرية في مفاصل الجسد.

في كل مرة سقطت فيها في حلبة الرقص بعد مقاومات متباينة، تسربت إلى أوصالي رعشة لذيذة ورهبة غامضة، وكأن الكون سيتوقف ليراقب حركاتي وأنا أبحث عن مفتاح سري يروض حصان الموسيقى الجامح.

أخيرا وقبل أسابيع أقدمت لأول مرة عمدا على الرقص دون وجود من يدفعني إلى الحلبة. ربما لأنه لم يكن هناك مَن يعرفني وأخشى أن يحسب عليّ خطواتي وحركاتي.

لم يكن هناك ما ينتظرني، حين مررت بأحد المراقص في لندن وتأملت جيشا من المستسلمين لبركان الموسيقى الصاخب وسطوته المطلقة.

قفزت إلى ذهني المشاعر اللذيذة التي غمرتني في كل جولة رقص مررت بها في حياتي. لم يكن هناك من يمكن أن يدفعني للرقص أو يجعلني أتردد في القفز إلى حلبة الرقص، فوجدتني أدخل الحلبة دون تردد أو وجل.

كانت الموسيقى صاخبة بدرجة فاحشة تجعل الحديث بين الراقصين مستحيلا، وكنت أتساءل عمن قرر أن تكون الموسيقى صاخبة إلى هذا الحد؟ وما إذا كان من الأنسب لهم جميعا خفض إيقاعها؟

لم يكن أحد معنيا بدرجة كبيرة بحركات الراقصين الآخرين المبحرين في استسلام فريد... باستثنائي طبعا. كنت الوحيد الذي يراقب حركات الآخرين بحثا عن اقترابها وابتعادها عن إملاءات إيقاع الموسيقى.

كنت الوحيد الذي يفكر ويختار الحركات التي يمكن أن تناسب الموسيقى ويراقب جميع الراقصين بحثا عمن يمكن أن يراقبني.

حاولت جاهدا أن أبحر معهم إلى عام بدا بعيدا للوهلة الأولى. أغلقت عينيّ وحاولت أن أمنع عقلي من أن يحدد الحركات المناسبة للموسيقى. بعد دقائق لم تعد الموسيقى فاحشة وصاخبة ولم أعد معنيا بحركات الآخرين، ولم أعد أفكر بحركات الراقصين الآخرين، وتسللت شحنة حرية فريدة إلى أنحاء الجسد.

مضت ساعات وأنا في ذلك الهيام اللذيذ، قبل أن تبدأ الأضواء بالسطوع للإعلان عن قرب إغلاق المكان في الساعة الثالثة صباحا، لأخرج بجسد جديد لم أعهده من قبل. عدت إلى البيت بابتسامة شاسعة تخترق جميع مفاصل الجسد، لتصاحبني طوال الليل في نومة لم أذق مثيلا لها منذ سنوات.

قررت منذ تلك الليلة أن أقفز إلى حلبة الرقص في كل فرصة مقبلة، وأصبحت منذ ذلك الحين أكثر مرحا وحيوية وأقل قسوة وغلوّا في مواقفي من العالم والآخر.. أصبح الرقص رياضتي المفضلة.

جسدي أصبح أكثر رشاقة ومرونة وصحة. لا عجب أن الشعوب التي يقفز الرقص إلى موائدها، تتمتع بمستويات أعلى من التسامح والسلم الاجتماعي ومساحة أوسع من الحريات الفردية، بل إن متوسط أعمارها يفوق متوسط عمر الفرد في الشعوب التي لا تعرف طريقا إلى الرقص.

هل هناك علاقة بين ضيق مساحة الرقص في تقاليد شعوبنا في الشرق الأوسط وبين سلطة مجتمعاتنا القاهرة لكل مساحة فردية؟

وهل له علاقة بقسوة مواقفنا من الآخر وسرعة انزلاقنا إلى التطرف؟ تلك القسوة لا تقتصر على المتطرفين والإرهابيين! بل تمتد إلى علاقات العائلة الواحدة! وتصل إلى الأوساط الثقافية الليبرالية التي تضيق بالآراء والآخر.

هل تعاني مجتمعاتنا من قلة الرقص في حياتها؟ نعم!

* تخطيط: ساي سرحان

* شاعر من العراق مقيم في لندن

عينان تصوران قصصا قصيرة

نظرة على أعمال الفوتوغرافي دومينيك بوديس

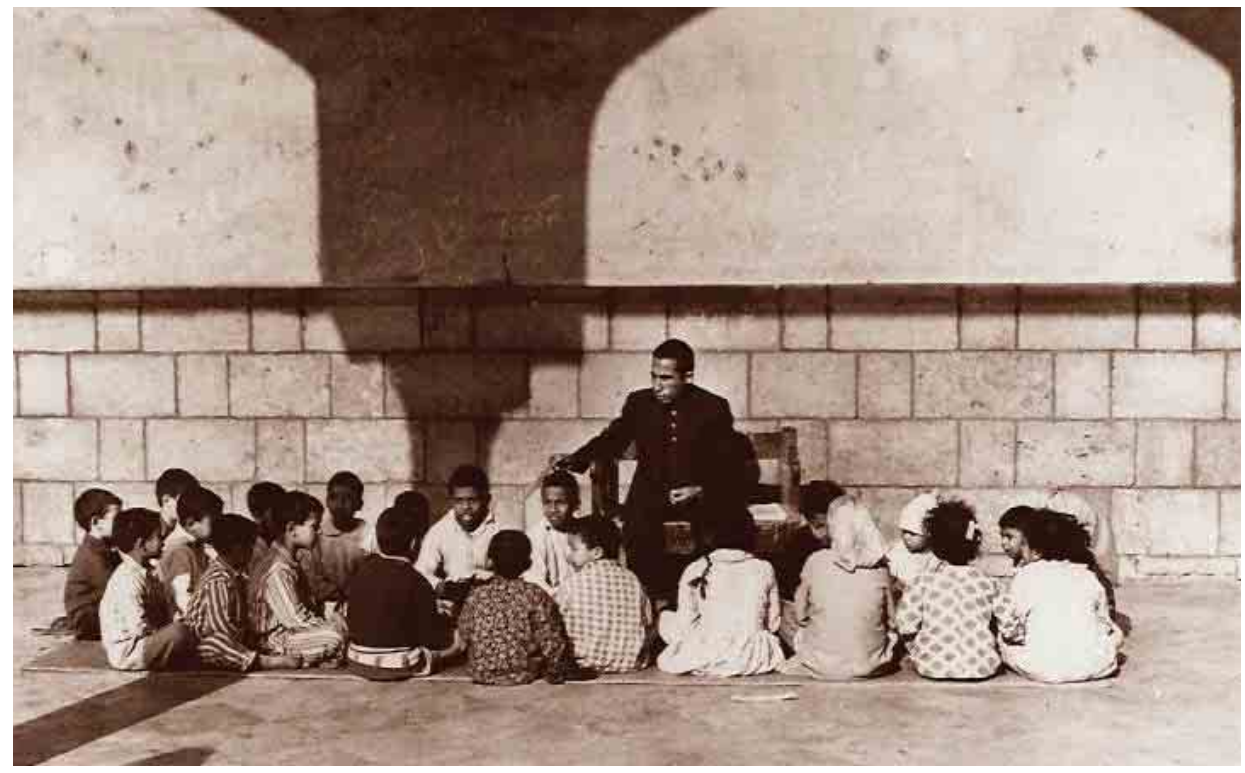

المعلم والتلاميذ في الشمال الأفريقي

بدرالدين عرودكي

❑ "في عينيه، استهلكتُ ملايين الثواني من السعادة، في عينيه كنت أرى انعكاسات الحياة وقد تلطفت، كنتُ أسكن في عينيه".

بهذه العبارة تفتتح إيزابيل صياح كتابا أشرفت عليه، لزوجها ورفيقها الراحل دومينيك بوديس، أرادت له أن يضمّ مجموعة مختارة من آلاف الصور التي التقطها طوال سنوات إقامته في المشرق العربي خلال سبعينات القرن الماضي، بوصفه مراسلا صحفيا للتلفزيون الفرنسي حين شاء القدر أن يشهد بهذه الصفة أولىٰ سنوات الحرب الأهلية في لبنان، بل وأن تطاله بعض آثارها حين وقع جريحا بينما كان يقوم بأداء مهمته، وكذلك أن يشهد معظم الأحداث التي توالت بعد ذلك في مختلف بلدان المشرق العربي، من العراق إلىٰ مصر، ومن سوريا إلىٰ جنوب الجزيرة العربية، وذلك قبل أن يصير عمدة مدينة تولوز خلال ثمانية عشر عاما ثم نائبا في البرلمان الأوروبي، فرئيسا للجنة العليا المشرفة علىٰ وسائل الاتصال السمعي البصري، كي ينتقل بعد ذلك إلىٰ رئاسة معهد العالم العربي، ثم لينهي مساره المهني بوصفه مدافعا عن الحق.

مئة وخمس وعشرون صورة اختيرت من بين آلاف الصور التي التقطها دومينيك بوديس، تكاد تشبه في تعبيرها البليغ سوناتات سكريابين القصيرة، أو تشبه أيضا، في ذاتها، قصصا قصيرة مكثفة، تقول اللحظة إذ تفجرها، مثلما تفعل القصة القصيرة تماما، حين توظف النور والظل في وجه أو في موقف أو في نظرة، تاركة لكل من يراها –دون أن يعرف ظروف التقاطها– أن يستوحي عناصرها وأن يكتب هو نفسه قصتها.

ذلك ما فعله أربعة وخمسون من أصدقائه، نساء ورجالا، أكانوا سياسيين أو شعراء أو روائيين أو رحالة أو رجال أعمال، حين قرأ كلٌ واحد منهم صورة أو أكثر ثم كتبها كلمات. كان كل منهم في جملة أو جملتين أو في عشرات الجمل يحاول أن يُنطقَ الصورة كلمات لا تحدّ من أو توجّه معَ ذلك مخيلة أيّ شخص آخر يحاول بدوره أن يقرأ الصورة ذاتها وأن يكتب علىٰ طريقته، وكما تمليه عليه نظرته إليها، قصتها. بفعل الصورة وما توحيه، صارت النصوص ذاتها، كالصور التي تقولها، متعددة الأبعاد. إذ لم تكن تقول الصور كلمات فحسب، بل كانت في الوقت نفسه تقول هذه العلاقة التي كانت لكلّ منهم مع دومينيك بوديس بقدر ما كانت أيضا وفي الوقت نفسه تحاول النفاذ في عمق الصورة تستقرئها ظاهرا وباطنا، ثم تستدعي كل ما تحمل عناصرها مجتمعة أو متفرقة علىٰ افتراضه، ولا سيما شخصية من التقطها في لحظة ما من حياته، إذ كانت في الحقيقة واحدة من لحظات التكوين.

كان الروائي أمين معلوف أول من سجل هذه الخاطرة الخاصة بالصور "تحت كل صورة قصة، ولأننا لا نعرفها، نتخيلها، ونظننا قادرين علىٰ حزرها". وها هو يكتب –كما رأى– قصة طفلة تهيّأت بلباسها الجديد كي تحضر عرسا "في نظرة الطفلة التي لبست من أجل العرس الهشاشة، والانتظار، والخوف من الآخرين؛ وعلىٰ جبهتها ترتسم قبل الأوان هموم امرأة وعما قريب أمّ وراشدة، بلا حرية الراشدين. أما في نظرة الرحالة المصوّر، فثمة تعاطف عابر، قبلة بعيدة. سيبدأ العيد وسينتهي عمّا قريب.. والنيل يجرف منذ الأبد الحياة والطمي والخصوبة والخطر".

للسياسيّ قصة مختلفة يكتبها ما إن يرى صورة الفتاة وراء النافذة. يكتب فرنسوا بايرو "ثمة خيال في الظل يكاد يمّحي بسبب قسوة الضوء الخارجي وبهارته وعريه. والفتاة، وراء النافذة، مُرصّعة هي الأخرى في الجدار الترابي. لا نرى ذراعيها المزينة بالأساور جيدا، لكننا نحزر نظرة عطشىٰ تبحث عن اكتشاف الآخر وعن فهمه؛ الآخر الذي يلتقط الصورة".

أمّا الصحفي، أي الزميل بمعنىٰ ما، كريستيان ماكاريان، فيكتب هو الآخر عن معرفة بما وراء الصورة/ الخبر/ القصة "صورة مفاجئة للألم، وجه الألم، شرق يحمل الكارثة. يلتقط دومينيك هنا لحظة من الأبدية التي تؤلف بالنسبة للإنسان عبئا ثقيلا؛ تبدو اليدان المتوسلتان وهما تطلبان العفو، تصدر عن الفم شكوى أكثر مما تصدر عنه صرخة، كلّ عذاب العالم يرتسم في هذا المشهد الذي يندرج فيه كل شيء تحت عنوان الكرامة. علىٰ اليسار يقف رجل آخر، أكثر شبابا، ليأخذ دوره في الألم، لا يستطيع فعل شيء، سوف يتلقىٰ وسوف ينقل. وعلىٰ اليمين، ذراع مجهولة تمتد لدعم الجسد الذي يتألم. أجهل كل شيء عن الظروف التي عاش فيها دومينيك هذا المشهد الممزق. أترك لخيالي إذن أن يقوم بالبحث. إنه يضعني عفوا علىٰ درب فقدان ما، وفاة، دراما، ليست شخصية فقط. يعرف الشرق أكثر من أيّ منطقة أخرى في العالم كيف يربط تاريخ الشعوب إلىٰ حزن كل شخص. وما كان الغربيون يعتبرونه خلال زمن طويل مسرحية ثقافية، تضخيما عاطفيا تحررت منه العقول، هو في الواقع ملخص عام للشرط الإنساني: بين الدجلة والفرات، بين النيل والخليج الفارسي، من الشواطئ الفينيقية حتىٰ الهندوس، جرت وتجري سيول من الدموع، أمس مثل اليوم. هناك إنما ولدت الحضارات، وهناك بقيت مجرّد وعد في مواجهة عبء الأيام التي تتشابه من عصر إلىٰ عصر. تتجلىٰ قوة هذه الصورة، المأخوذة قبل عشرات السنين في أنها تكلمنا عن حدث راهن مؤلم، وفي أنها تقنعنا بكل ما يجب عمله من أجل تحرير الشرق من سلاسل القدر".

صحفي آخر يرى في صورة الطفل من التقطها. يكتب باتريس دوهاميل حكاية الصورة " كلّ دومينيك في هذه الصورة. التحفظ والدقة لدىٰ الصحفي في الميدان، الحنان والتعاطف نحو هذا الطفل الوحيد وراء الأسلاك الشائكة، الأمل في رؤيته متحررا وخارجا من الجحيم. الالتزام للمدافع عن الحق في المستقبل؛ كلّ دومينيك هنا وأكثر من ذلك أيضا نظرة الإنساني، وتأثر الصحفي وتعاطف المواطن العالمي"،

أما من رافقه في حياته المهنية اليومية سنوات، فيحاول التقاط الصورة في الصور كلها وفي صورة خاصة يقرؤها. كان أنطوان غريزو ذراع دومينيك بوديس اليمنىٰ لسنوات "في عينيه كانت ثمة نظرة، نظرة الصحفي الذي اختار أن يكونه، والذي كان يقدم المعلومات عن جزء من العالم كان في طريقه للانتقال إلىٰ التغيرات. ولكنها أيضا نظرة إنساني يرجو أن يقول حياة هذه البلدان اليومية. كان يبرهن بلغة الصحافة علىٰ أن الحياة رغم الحروب ورغم الآلام، تستمر وعلىٰ أن الأمل يدوم. هذا الأمل هم هؤلاء الصبيان وهاتيك الفتيات الجالسين كي يتعلموا. إذا كانت صور دومينيك بوديس عن الحرب قد التقطت عن كثب، وغالبا بالتماس، فلا يمكننا ألا نعبأ بأنه في سهره علىٰ احترام مسافة ما من أجل الصور يقوم بإلقاء الضوء علىٰ الحياة اليومية لهؤلاء الناس. لا يجب وتلك هي يقظته الجوهرية، أن تكون المعلومة تطفلا. كذلك، يتعزز صفاء هذه اللحظات من الهدوء بأفضل استخدام لهذا النور الذي يميّز هذا الشاطئ من المتوسط. لم يكن دومينيك بوديس مجرّد مراسل حربي، بل كان شاهدا ورفيقا للرجال والنساء الذين اختاروا العيش في الأمل".

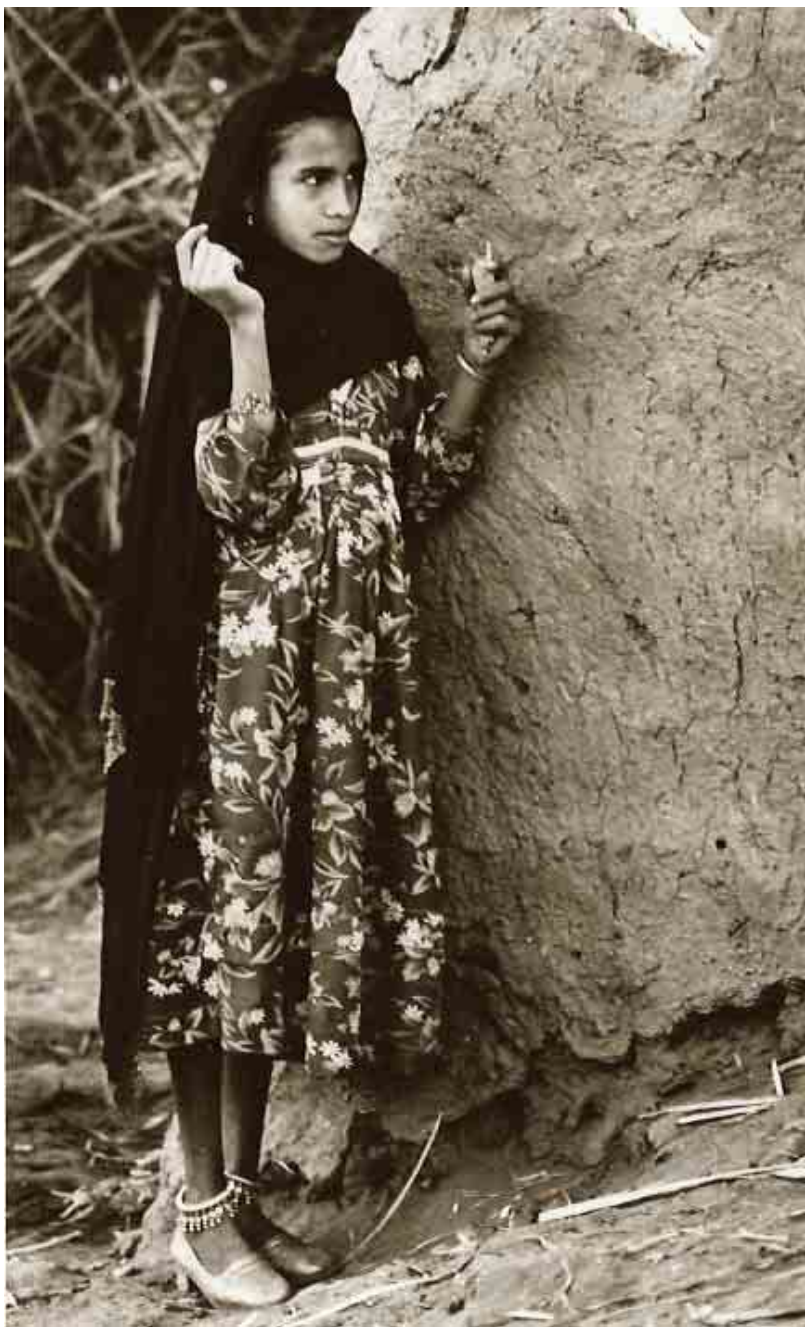

طفلة مصرية تهيأت بلباسها الجديد كي تحضر عرساً

ذلك أنه كما يخاطبه جان لوك لاغارديير حين يقرأ في هذه المختارات "دومينيك، لقد قمتَ علىٰ الدوام بممارسة المهنة ذاتها: التقريب بين البشر". هنا تقوم مسافة بين المصوّر وموضوعه.

لكن الأمر ليس علىٰ هذا النحو دوما. فها هي صورة حارس أحد الأمراء تكاد تنطق بأكثر من معنىٰ. وهل هناك أفضل من نظرة من امتهن حرفة السمعيات البصريات كي يفكك ما بين الألوان/ السطور وهو يقرأ الصورة؟ يكتب كامي باسكال "الرجل شابٌّ وسيم مبتسم، ويفتن. يضع الكوفية التقليدية لكن طريقته طبيعية، سهلة، ومرتاحة. يضفي عليه الجاكيت الغربي الملبوس علىٰ الجلابية البيضاء مظهر بلابوي. لماذا صور دومينيك هذا اليوم هذا الرجل الذي يبدو في عمره تقريبا؟ ثمة شيء من الصداقة يتجلىٰ في نظرة الرجل مثل تلك التي حملها المصور. هل رأى دومينيك فيه صديقا؟ أخا؟ أم مثيلا له معكوسا بفعل عاكس الحضارات، لا نعرف! ثمة تفصيل، وهو ليس كذلك في الحقيقة، يدهشنا عند النظرة الثانية مع ذلك. خنجرٌ رائع معلق علىٰ زنار هذا الرجل، خنجر للاستعراض طبعا لكنه سلاح معكوف ومرعب، لا بدّ أن دومينيك، حين اخذ هذه الصورة، قد أخذها لأن شيئا ما دفعه، ربما بلا وعي، إلىٰ التماهي مع هذا المحارب اللامبالي والمتألق، لكنه لم يكن يستطيع التنبؤ أن عليه ذات يوم أن يحمل بدوره خنجرا كي يصيب به الحقد في مقتله".

هل كان دومينيك بوديس وهو يلتقط صورة الطفلة السورية التي حملها غلاف الكتاب يعلم ما الذي ستعنيه نظرتها اليوم بعد سنوات التدمير الممنهج والقتل العمد لشعب أراد استعادة كرامته وحريته المسلوبتين؟ نظرة براقة وابتسامة مفعمة بمستقبل مأمول علىٰ ما يحيط بها من بؤس مادي تحملنا علىٰ أن نرى في عينيّ المصوّر آمالا لا تنضب: لا في البلاد التي أحبها وظل حتىٰ اللحظة الأخيرة يبحث عن الراحة والسعادة فيها فحسب، بل إن في إنسانها طفلا وامرأة ورجلا يستنطقهم بعينيه ويخاطبهم في العيون.

هكذا يبدو لنا أن دومينيك بوديس الصحفيّ لم يكن وحده الذي كأنه وراء الصور حين التقاطها، ولا كذلك السياسي الذي سيكونه بامتياز في موازنته بين الجميع يمينا ويسارا أو في طريقة فهمه للسياسة خدمة عامة للناس وشق كل الطرق في ما بينهم، ولا الروائي الذي سيكونه أيضا والذي ستعكس رواياته همومه التولوزية والمشرقية، بل كل ذلك معا: بذرة سرعان ما ستصير شجرة كبرى وارفة علىٰ كل من أحب من البشر شرقا وغربا.

* كاتب من سوريا مقيم في باريس

> هل كان دومينيك بوديس وهو يلتقط صورة الطفلة السورية التي حملها غلاف الكتاب يعلم ما الذي ستعنيه نظرتها اليوم بعد سنوات التدمير الممنهج والقتل العمد لشعب أراد استعادة كرامته وحريته المسلوبتين؟

المصور عندما تقوده عيناه إلى اللحظة الطفولية وراء اسلاك اللجوء

باولو سورنتينو شاعر الجمال العظيم

تحولات في علاقات الفن والحياة

أمير العمري

❏ كانت المفاجأة الأكبر عند إعلان جوائز الدورة الـ68 من مهرجان كان السينمائي، خروج الفيلم الإيطالي "شباب" Youth للمخرج باولو سورنتينو، دون الحصول على أي جائزة، في حين أن الفيلم قد حظي بقدر كبير من ترشيحات النقاد، للحصول على "السعفة الذهبية". كانت تلك النتيجة مشابهة كثيرا لما انتهى إليه فيلم سورنتينو السابق "الجمال العظيم" The Great Beauty في ختام دورة 2013 من المهرجان نفسه، فقد خرج دون أن ينال أي جائزة، وكأنه قدر مكتوب على جبين هذا السينمائي العظيم، وريث التراث الإيطالي المعماري والتشكيلي العظيم، الذي ينتمي إلى سلالة من السينمائيين المشهود لهم من أمثال فيلليني وأنطونيوني وبازوليني وسكولا.

أخرج سورنتينو (مواليد 1970) حتى الآن ستة أفلام روائية طويلة للسينما، (إلى جانب عدد من الأفلام التلفزيونية والقصيرة)، تدور في معظمها حول البطل الوحيد المهزوم، الذي يقنع بدور يبدو وكأنما قد رسم له مسبقا، إلى أن يدرك بعد أن يتقدم به العمر، أن بوسعه تغيير حياته، وأهم هذه الأفلام فيلماه الأخيران.

لا شك أن هناك ما يربط بين "الجمال العظيم" وفيلم "لادولشي فيتا" (أو "الحياة الحلوة") لفيلليني، ليس فقط من زاوية الموضوع، وهو مرثية لحضارة وتراث وتاريخ الفنون في روما، التي أصبحت ترزح مهملة تحت عبء السنين، غارقة في مستنقع التدهور والانحطاط السلعي الاستهلاكي، تغلفها طبقة سميكة من الأضواء اللامعة الزائفة، بل من زاوية الجماليات أيضا، فسورنتينو مثل فيلليني، مغرم بتصوير وجوه النساء في "بورتريهات" غريبة وكأنهن يضعن أقنعة على وجوههن، وبحركة الكاميرا الرصينة البطيئة، التي تعبر الممرات، وتجوس بين الأعمدة الرومانية، وتتسلل داخل القصور والمتاحف القديمة العريقة، تتحرك من اليسار إلى اليمين، ثم ترتد لتتحرك من اليمين إلى اليسار، ثم تتوقف لتنتقل إلى مجموعة من اللقطات القصيرة المترابطة معا عبر المونتاج، مع موسيقى صاخبة، تتوقف بعد قليل، لنسمع صوت الراوي- المعلق، بطل الفيلم "جيبو غامبارديلا"؛ ذلك المثقف المتأمل الساخر الذي جاء من نابولي قبل أربعين عاما، إلى المدينة الأسطورية، يريد أن يصبح كاتبا مرموقا، لكنه كتب رواية وحيدة ثم يستسلم لمقتضيات الحياة، فيتحول إلى صحفي يتخصص في تغطية نشاطات مشاهير المجتمع وحياة الليل والصخب واللهو، يصادق الكثير من النساء، يقيم علاقات مع رجال أعمال، وسيدات مطلقات، ومع رجال محبطين يبحثون عن التحقق، فنانين ومثقفين، ورجال دين، وأصحاب حانات ومطاعم فاخرة. "جيبو" أصبح الآن يمتلك نظرة فلسفية متمردة رافضة، تدفعه لمراجعة حياته، يصفع الآخرين بآرائه الصادمة، لا يكف أصدقاؤه عن سؤاله كيف أنه لم يكتب سوى رواية واحدة، هذا السؤال الذي يعذبه والذي لا يجيب عنه سوى في نهاية الفيلم بقوله "لقد كنت أبحث عن الجمال العظيم لكني لم أجده".

يبدأ الفيلم بعبارة مكتوبة على الشاشة من لوي فرديناند سيلين تقول "إن رحلتنا خيالية تماما، وهذا هو مصدر قوتها". ويوحي سورنتينو بأن ما يعرضه علينا قد يكون أيضا من الخيال، لكنه يتّحد مع شخصية بطله، يعبّر من خلالها عن شعوره بتدني الحاضر أمام عظمة الماضي. "الجمال العظيم" بهذا المعنى، فيلم عن المدينة من خلال الفرد، المثقف، المبدع الذي أصبح عاجزا عن الإبداع، الذي ينبّته فقط بعد أن يدرك أن سنواته في الحياة أصبحت معدودة، إلا أنه بوسعه أن يبدأ من جديد، وأن يستعيد قدرته على الإبداع، شريطة أن يهجر تلك الحياة التي تجعله يشعر بالعجز. وهو يعيد اكتشاف كل ما هو مجسد من جمال في روما: المتاحف والقصور القديمة والساحات والتماثيل التي لا يترك منها سورنتينو شيئا إلّا ويمرّ عليه بالكاميرا في حركتها التي تبلغ ذروتها في مشهد النهاية. ولكن هل سيعود "جيبو" ليستأنف الكتابة ويكتب روايته الثانية بعد أن عثر على ذلك الجمال العظيم الذي كان يبحث عنه في شكل فتاة شابة شديدة الفتنة والجمال، أم أن الحياة ستهزمه، مع دخول العمر في ذلك النفق العميق؟ ما نعرفه فقط أنه أصبح "يشعر بالوهن الشديد" كما يقول في النهاية.

هناك علاقة وثيقة في الفيلم بين الأماكن والشخصيات، بين روما التي يبدو كما لو كان الفيلم قصيدة رثاء لها، رثاء للقيمة الفنية التي كانت، للشعر الذي لم يعد أحد يريد أن يستمع إليه -يتردد هذا حرفيا في الفيلم-، وللفن التشكيلي العظيم الذي أصبح "مدفونا" داخل متاحف خاصة ينجح جيب وصديقته "رومانا" في الدخول إلى بعضها ليلا بمساعدة رجل يعرج.

استمرار التساؤلات

الفراغ والمعاناة والبحث المرهق عن السعادة المفقودة؛ عن معنى للحياة أمام لغز الموت، وكثير من التساؤلات حول تلاشي الفن الحقيقي وشيوع التفاهة، الماضي الذي يعود متأخرا يطارد الحاضر بعد أن يكون المستقبل قد أصبح هو الحاضر نفسه. فكرة الحب وجدواه، هل يكفل للإنسان السعادة ويدفعه إلى الأمام، وما الجنس؟ وهل يمكن أن يكون دافعا للحب؟ وهل يمكن أن يستعيد الفنان بعد أن يتقدم به العمر، قدرته على الإبداع رغم إحساسه الدفين بأنه لم يعد يملك جديدا يقدمه؟

يواصل سورنتينو طرح هذه التساؤلات في فيلمه الجديد "شباب"، الذي يدور داخل مصحة يتردد عليها المشاهير، تقع في منطقة جبلية خضراء رائعة الجمال في سويسرا. هناك نزيلان يحظيان بعناية خاصة، أولهما موسيقار مرموق هو فريد بالينغر (مايكل كين) معادل "جيبو" في "الجمال العظيم"، وهو قد تجاوز الثمانين من عمره، وتوقف تماما عن التأليف الموسيقي وقيادة الأوركسترا تحت وهم أنه لم يعد يملك المزيد. والثاني هو صديقه القديم الحميم مايك (هارفي كايتل) وهو مخرج سينمائي جاء إلى المصحة التي هي أقرب إلى المنتجع السياحي، برفقة فريق من كتاب السيناريو، لكتابة موضوع فيلم جديد أخير يحلم بتقديمه، يحمل عنوان "آخر أيام العمر" على أن تقوم ببطولته بطلته القديمة وملهمته بريندا موريل التي تقوم بدورها نجمة هوليوود الشهيرة جين فوندا. الموسيقار هجر زوجته منذ زمن، وأقام علاقة عاطفية مثلية مع شاب ارتبط به لفترة على سبيل تجربة شيء مختلف، ثم هجره، وأصبح الآن يقيم مع ابنته الشابة الجميلة ليدا (راشيل وايتز) وهي في نفس الوقت سكرتيرته ومساعدته، تشاركه غرفته في المصحة، وهي متزوجة من ابن صديقه مايك المخرج، لكنه يأتي ليخبرها بأنه سيتركها ليتزوج من "بالوما فايث" (مغنية بوب حقيقية تظهر في مشهد هزلي ساخر في الفيلم) مما يثير استغراب والدها، واستنكار وغضب والده مايك إزاء هذا النوع من "التدني" فهو يرى أن "البوب" بدعة حديثة تشي بما وصلت إليه الموسيقى من تدهور، ويحاول الصديقان معرفة سبب هجر الشاب لزوجته الجميلة، فيعترف لهما بعد تردد، بأنه لم يكن يشعر معها بالسعادة الجنسية.

تتراجع الذاكرة كثيرا ويشعر مايك بالرعب من ضياع ذاكرة الشباب رغم أنه يتذكر في لقطات سريعة وجوه النساء اللاتي ارتبط بهن، ويتذكر فريد كيف كان مغرما بفتاة جميلة في شبابه لكن مايك اختطفها منه، بل ويشك أنه أقام معها علاقة جنسية أيضا، وهو شعور يضايقه، بينما لا ينفي مايك دون أن يؤكد، فهو لم يعد يتذكر فيترك صديقه معذبا بشبح ذكرى علاقة لن تعود. وفي المصحة يكتشفان وجود ممثل شاب من نجوم السينما، يعاني من إسناد المنتجين إليه دور روبوت بعد أن أدّاه بنجاح في أحد الأفلام الخيالية (مصير الفن)، ويستضيف المنتجع لعدة أيام أيضا، "ملكة جمال العالم" كنوع من الدعاية للمنتجع- المصحة (استخدام الجمال للدعاية). وفي المطعم يشاهدان رجلا وامرأة من المسنين، يتناولان الطعام، يتراهن الاثنان على ما إذا كانا سيتبادلان أي حوار هذه المرة فهما يأكلان عادة دون تبادل الحديث (سخرية من السويسريين). وأمام الجميع تنهض المرأة لتصفع زوجها ثم تغادر المكان، ولا يبدي الرجل أيّ ردّ فعل ثم يغادر وراءها، غير أنه في مشهد تال، يشاهد الصديقان الرجل والمرأة مندمجين في ممارسة الجنس بشكل شهواني تحت أشجار الغابة.

وفي مواجهة بين الأب "فريد" وابنته "ليدا"، تتهمه "ليدا" بأنه لم يكن يقيم وزنا لرعاية أبنائه والاهتمام بزوجته، وأنه لم يكن يحبها، بل كان كل ما يشغله نجاحه كموسيقار. يعترف لها في هدوء بأنه لا يفهم سوى لغة الموسيقى؛ "فالموسيقى لا تحتاج إلى كلمات لفهمها".

يرفض فريد عرضا من مندوب ملكة بريطانيا لتقديم أشهر أعماله الأوبرالية أمام الملكة، ويتكرر العرض كما يتكرر الرفض بالإصرار نفسه، ويحاول الرجل معرفة سبب الرفض مرة تلو أخرى، فيقول له فريد في النهاية، إنه كتب تلك الأوبرا خصيصا لكي تقوم ببطولتها زوجته (كانت مغنية أوبرا) لكنها لم تعد تستطيع الغناء. تستمع ليدا إلى هذا الاعتراف وهي تشعر بالسعادة، فهو تعبير عن الوفاء والحب. وعندما يذهب فريد في النهاية لزيارة زوجته في المستشفى، يجدها قد لفظت أنفاسها الأخيرة (تأخر الاعتراف بالحب).

تحضر النجمة الهوليوودية الشهيرة خصيصا بالطائرة بناء على طلب المخرج، ثم تعتذر عن عدم القيام ببطولة فيلمه وتقول إنها وقعت عقدا للعمل في مسلسل تلفزيوني ستجني من ورائه مالا وفيرا تحتاجه، ينفعل مايك ويتهمها بالتخلي عنه، فتواجهه بأن أفلامه الثلاثة الأخيرة فشلت، وأنه يعيش في الماضي وأنه يتعين عليه أن يواجه حقيقة فشله. يذكرها بفضله عليها، وبأنه الذي صنع منها نجمة سينمائية بعد أن قامت ببطولة 11 فيلما من أفلامه، فتقول إنها هي التي صنعت نفسها بنفسها. وينتهي اللقاء العاصف وترحل الممثلة، وفي الطائرة تنفجر في ثورة غضب على نفسها، وتردد كلمات اعتذار لمايك، بعد أن شعرت بأنها فضلت المال على الفن، وكذلك على الوفاء للماضي.

بناء شعري

في الفيلم الكثير من المشاهد التي ليس من الممكن تفسيرها في إطار الحبكة التقليدية أو العلاقة بين الموضوع الأساسي الذي يدور حول الكهلين اللذين يتأملان مسار حياتهما، كما نرى الممثل الشاب عندما يهبط إلى المطعم وقد ارتدى ملابس ووضع كل اللمسات التي تجعله شبيها بهتلر، يتناول الطعام وسط ذهول الجميع. يقبل الموسيقار بعد وفاة زوجته، قيادة الأوركسترا وتقديم الأوبرا الشهيرة أمام الملكة، ويشرع مايك في تصوير فيلم آخر جديد، بعد أن أدرك الاثنان أن لا شيء يمكن أن يجعل الحياة تتوقف.

ثنائيات

مرة أخرى نحن أمام ثنائية الشباب/ الكهولة، الماضي/ الحاضر، الفن الحقيقي الكلاسيكي القديم/ والفن الحديث الزائف، وأيضا اكتشاف النفس متأخرا مع مراجعة رحلة الحياة، والرغبة الجنسية التي تشتعل أمام جمال الجسد الأنثوي رغم الكهولة البادية، الاكتشاف المتأخر بأن المبدع لا يجب أن يتوقف عن الإبداع حتى نهاية العمر، وأن الفن الحقيقي مستمر ما استمرت الحياة.

معالم الأسلوب السينمائي المميز لسورنتينو، تبقى كما كانت في "الجمال العظيم": حركة الكاميرا الانسيابية البطيئة الناعمة في لقطات طويلة، أحيانا من زوايا مرتفعة، البناء الشعري الذي يتكون من شذرات تتجمع لكي ينقل إحساسا، أو حالة ذهنية، وليس لخلق حبكة تقوم على التراكم الكمّي لمشاهد ينتج عنها صراع وذروة، هذه اللقطات والمشاهد المختلفة التي ترتبط بالمكان ولا تكاد تغادره، يضعها سورنتينو أحيانا في تعارض مع بعضها البعض، وأحيانا أخرى في علاقة مباشرة مع الطبيعة الخلابة. وهو يركز في لقطات قريبة على تأثير الزمن كما ينعكس على وجه ورقبة وذراعي جين فوندا التي ظلت لسنوات تقاوم زحف الزمن.

يتمتع الفيلم أيضا بحضور كبير للممثلين: مايكل كين الذي يصل إلى ذروة الأداء في شخصية الموسيقار الذي يسترجع ذكريات الشباب بنوع من الحسرة على ما ضاع، وبسخريته وتعبيراته التي تحمل أكثر من معنى، بصمته وتأمله ورصانته التي تخفي طفولية عابثة في داخله، وهارفي كايتل في دور المخرج مايك، بحيويته وتدفقه وتطلعه إلى استعادة الماضي المتألق الذي كان، لكنه يدرك في النهاية أنه يجب أن يتغيّر، وأن يبدأ في عمل جديد يتخلص به من شبح الماضي.

الشباب والشيخوخة يتجاوران معا في فيلم «شباب»

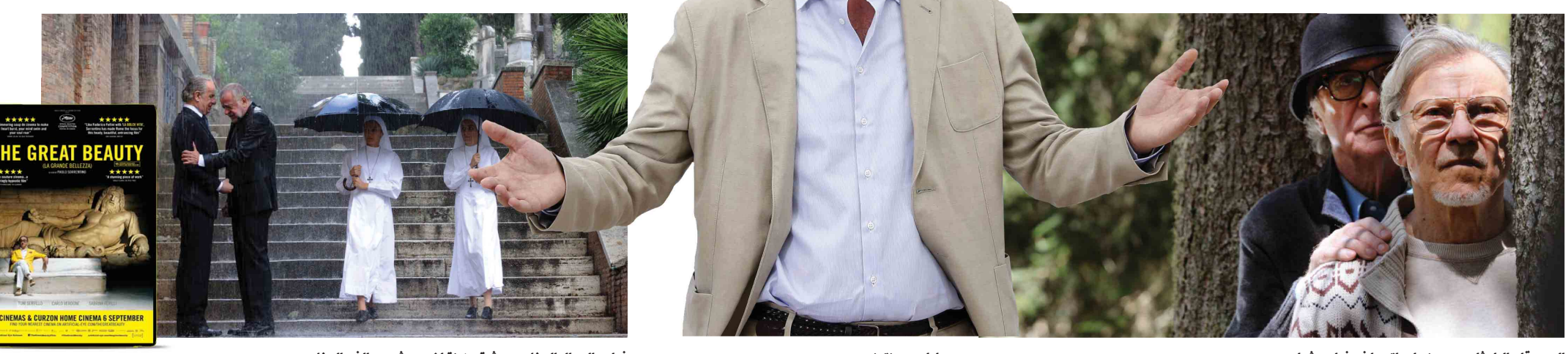

الصديقان الباحثان عن معنى لحياتهما في فيلم «شباب» — باولو سورنتينو

فيلم «الجمال العظيم» مرثية حزينة لغروب شمس الفن العظيم

للأثرياء الشجعان فقط

رحلة فوق العالم داخل كبسولة الاثارة والمتعة

سياحة المغامرات تستهدف الافراد الذين يبحثون عن نوع معين من الاثارة والمخاطرة في تسلق الجبال والتجديف في الانهار وركوب الامواج، واصبحت الشركات السياحية تهتم وتنظم هذا النوع من السياحة وتقدم عروض المغامرة للافراد والمجموعات، الا ان شركة "مغامرات منظر العالم" في ولاية أريزونا الأميركية تنفردت بتوفير رحلات للشجعان من الاثرياء دون غيرهم بتوفير رحلة فضائية داخل كبسولة لمشاهدة جمال الارض من الجو.

❏ **واشنطن** – قد تستغرق الرحلة إلىٰ أعلىٰ وقتا طويلا، غير أن المنظر سيكون ساحرا كما أن الهبوط سيكون أكثر إثارة. هذه هي المفاجأة التي تنتظر الأشخاص الذين يرغبون في السفر إلىٰ حافة الفضاء داخل كبسولة تم تكييف الضغط الجوي بداخلها وتكون معلقة أسفل منطاد مملوء بغاز الهيليوم.

وينبغي علىٰ المسافرين في هذه الرحلة أن يكونوا راغبين في دفع ما يزيد عن 75 ألف دولار مقابل تذكرة الرحلة. وتقدم شركة "مغامرات منظر العالم" ومقرها ولاية أريزونا الأمريكية وعدا في إعلان علىٰ موقعها الإلكتروني للمسافر بأن "تتغير نظرته إلىٰ العالم". وتقول الشركة إنها ستبدأ في تنظيم رحلات جوية مستأجرة تقلع لارتفاع 30 كيلومترا فوق الأرض اعتبارا من عام 2016، بحيث تستوعب الرحلة الواحدة ثمانية ركاب لاستعراض تضاريس كوكب الأرض وظلمة الفضاء.

> رحلة المنطاد الذي يعمل بالهيليوم تستغرق نحو ساعة ونصف الساعة للوصول إلى الارتفاع المستهدف، وفي هذا المكان سيقضي الركاب ما يصل إلى ساعتين في الاستمتاع بمناظر العالم من الخارج

وقالت ديانا ويلكي المتحدثة باسم شركة "مغامرات منظر العالم" إن العديد من الأشخاص بدأوا بالفعل في إظهار اهتمامهم بهذه الرحلات، ومع ذلك لم تستطع المتحدثة تقديم تقديرات حول عدد الراغبين في السفر والذين تقدموا لوضع أسمائهم في قائمة الانتظار.

ولن تكون الرحلات التي ستنظمها الشركة هي المرة الأولىٰ التي يسافر فيها البشر إلىٰ حافة الفضاء داخل منطاد، فمنذ نحو عام قام المغامر النمساوي فيليكس باومجارتنر بعمل جريء ومثير عندما استقل منطادا يعمل بغاز الهيليوم ليصل إلىٰ ارتفاع 36 كيلومترا فوق الأرض وقفز من هذا الارتفاع بمظلة بسلام ليسجل رقما قياسيا عالميا.

غير أن الخطة الجديدة للشركة تطرح فكرة تشجيع الأشخاص متوسطي الدخول إلىٰ جانب الأغنياء علىٰ الاشتراك في الرحلة بشكل يكفل لهم مزيدا من الراحة، وسيتم أيضا تقديم مشروبات فاخرة خلالها.

وأوضحت ويلكي أنه من المقرر إطلاق الرحلات الفضائية من قاعدة "سبيسبورت أمريكا" المخصصة لإطلاق سفن الفضاء وتقع بصحراء ولاية نيومكسيكو الأميركية، غير أن الشركة تقيم مواقع أخرى للإطلاق في مختلف دول العالم.

ومن المقرر أن تستغرق رحلة المنطاد الضخم الذي يعمل بالهيليوم نحو ساعة ونصف الساعة للوصول إلىٰ الارتفاع المستهدف، وفي هذا المكان سيقضي الركاب ما يصل إلىٰ ساعتين في الاستمتاع بمناظر العالم من الخارج. وسيتم وضع أداة أشبه بالمظلة ذات الجنيح وتملأ بهواء الريح تسمىٰ

" بارافويل" بين كبسولة الركاب والمنطاد الذي يعلوها، وهذه الأداة ستهبط بالركاب بشكل مثير وآمن، وبمجرد انفصال المنطاد تبدأ رحلة الهبوط بشكل حر والعودة إلىٰ الواقع الأرضي. ويمكن أن تستغرق هذه العملية فترة زمنية تتراوح بين عشرين إلىٰ أربعين دقيقة، وتتهادى ببطء عن طريق مظلة البارافويل التي ستساعد الكبسولة علىٰ الانزلاق بلطف حتىٰ الهبوط علىٰ الأرض.

وتعد الأداة التي تربط بين المنطاد والكبسولة والتي أنتجتها شركة "باراجون سبيس ديفلوبمنت" التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية، ناسا، أحدث مركبة في سوق سياحة الفضاء الآخذة في الاتساع بسرعة.

وتعمل شركتا "فيرجن جالاكتك" و"سبيس أدفينتشرز ليمتد" أيضا في إنتاج مركبات الفضاء المستخدمة في رحلات فضائية شبه مدارية تجارية، حيث تكلفة المقاعد مئات الآلاف من الدولارات.

وتتوقع الهيئة الفيدرالية الأميركية التي تشرف علىٰ هذه الرحلات –وهي اللجنة الاستشارية للنقل التجاري في الفضاء التابعة لإدارة الطيران الفيدرالية– أن يظل الطلب العالمي علىٰ رحلات الفضاء التجارية للركاب صغيرا، كما توقعت أن تنظم في المتوسط 2،31 رحلة من هذه النوعية سنويا بحلول عام 2022. وقد لا يثير العدد الصغير لهذه الرحلات الدهشة نظرا لتكلفتها العالية.

وعلىٰ الرغم من ارتفاع رحلة "منظر العالم" الذي يصل إلىٰ 30 كيلومترا يقل عن الحدود التي تم الاعتراف بها علىٰ نطاق واسع للفضاء والتي تقع علىٰ ارتفاع مئة كيلومتر فوق مستوى سطح البحر، إلا أن إدارة الفضاء الفيدرالية تقول إنه ستتم معاملة الكبسولة كمركبة فضاء كما أنها بنيت لتعمل في الفضاء الخارجي.

بينما تقول شركة باراغون التي تصمم وتبني الأنظمة للعمل في البيئات القاسية إنه سيتم تكييف الضغط الجوي داخل الكبسولة تماما حتىٰ يمكن تنفس الهواء بداخله.

كما ستزود الكبسولة بنظام للتحكم في الطقس لحماية الركاب والتقنيات الموجودة علىٰ متنها. وأعلنت شركة "منظر العالم" أنها بدأت بالفعل في اختبار بعض القطع بالكبسولة، وستمضي قدما في اختبار نموذج للمنطاد والكبسولة.

رحلة خيالية لكنها باهظة الثمن

■ للسياح آراء

واحات إسطنبول جزر صغيرة بعيدة عن فوضى المدينة

❏ **إسطنبول** – عندما تتداخل أكثر من قارة فلا بد من حدوث حالة فوضىٰ حتمية. كما هو الحال في مدينة إسطنبول التي تقع علىٰ أعتاب قارتي آسيا وأوروبا، لتطل بمآذن وقباب مساجدها علىٰ شوارع تزدحم بالحركة والتجار والسياح. ورغم اكتظاظ المدينة وانشغالها، إلا أنك تجد واحات تتسم بالسكينة والهدوء.

وتطل جزر الأمير بطابعها الهادئ علىٰ بحر مرمرة، الأمر الذي يحفز معظم المقيمين في إسطنبول علىٰ الهرب إليها في عطلة نهاية الأسبوع، خاصة وأنها تمتاز بخلوها من السيارات. وتتمتع الجزر بالبيئة الطبيعية المريحة، فضلاً عن الأطعمة المميزة. وللعلم فإن هناك تسعَ جزر، أهمها بيوكادا التي تتميز بالمناظر الطبيعية الساحرة التي تمتزج بالهندسة المعمارية ذات الطراز العثماني. ويمكن للزائر التجول في الشوارع الخلفية لمشاهدة المناطق العليا من الجزيرة، والمغطاة بأشجار الصنوبر.

ويستطيع السياح الذين لا يرغبون في المشي أو قيادة الدراجات الهوائية، استخدام عربة الحصان، أو "الفيتون" والتي تعتبر أكثر وسائل النقل شعبية.

وتتميز جزيرة هيبليادا عن جزيرة بويوكادا، بأنها أكثر هدوء، وأقل اجتذابا للسياح. ويمكن التنقل في أرجاء الجزيرة مشيا علىٰ الأقدام، أو بركوب الدراجات الهوائية أو عربة "الفيتون".

وتتسم بالهندسة المعمارية الملفتة للانتباه، والمقاهي والمحلات، فضلاً عن بائعي الأزهار.

● **سرحان من بيروت:** في دير وكنيسة آية يورجي يعود تاريخ الدير إلىٰ القرن السادس، ويشتمل علىٰ كنيسة تقع فوق أعلىٰ تلة في بويوكادا، والذي يشكل أحد أبرز ملامح الجزيرة. هناك المتعة بفن التصميم الداخلي للكنيسة. ويستطيع المشاة علىٰ امتداد الطريق أن يلمحوا بقايا طقوس تقام سنوياً في أبريل، ويعتقد بأنها تحقق الأمنيات. أما رهبان أوكولو، فيعود لمدرسة اللاهوت التي كانت تديرها البطريركية الأرثوذكسية الشرقية في القسطنطينية.

● **زينب مقيمة في باريس:** لا تجد في الجزر الهادئة التاريخ والطبيعة فقط وإنما تحتوي أيضا علىٰ مقاهي وفنادق للاسترخاء والراحة. ففندق نايا يعتبر بمثابة مركز للاسترخاء المتوارثة من مختلف الثقافات، مثل اليوغا والتأمل، والشياتسو، فضلاً عن تدليك الأيورفيدا، وهو الفندق الخشبي والمطل علىٰ بحر مرمرة محاط بأشجار النخيل والأزهار. أما المطاعم فتميل إلىٰ تقديم المأكولات البحرية ويعتبر مقهىٰ سينيك، أحد المقاهي التي تتميز بالودية في التعامل مع الزبائن.

● **سيلينا من مدريد:** في شارع سوكاك إسغوزار الذي يقع بالقرب من مركز البلدة، ويوجد في هذا الشارع العديد من المحلات والمقاهي. مثل محل "إيفدن" الذي يقدم 70 نوعاً من المربىٰ المصنوعة من قبل صاحب المتجر. وفي المحل المجاور، يوجد مقهىٰ لوز، المصمم علىٰ الطراز الكلاسيكي، ويقدم قائمة بالمأكولات التركية محلية الصنع والسلع المخبوزة.

■ أين تذهب

الأردن.. وديان خضراء في قلب الصحراء

❏ **عمان** – تشتهر المملكة الأردنية علىٰ خريطة السياحة العالمية بمناخها المعتدل والبيئة الطبيعية المتنوعة والكنوز الأثرية العريقة مثل مدينة البتراء، والتاريخ الحضاري الرائع، الذي يضم العديد من المساجد والكنائس، بالإضافة إلىٰ السياحة العلاجية في منطقة البحر الميت.

يتمتع الأردن بالثراء الطبيعي الذي يجمع بين البادية والريف، وتتعانق فيه الصحراء مع الحقول الخضراء. وبفضل هذا التنوع البيئي تتنوع المناظر الطبيعية ومظاهر الحياة والكائنات الحية.

وتعتبر طبيعة الأراضي الصحراوية في الأرض مثالية للانطلاق في رياضة المغامرة، حيث تتلاقى اثنتان من الصفائح التكتونية في وادي نهر الأردن، فمن خلال احتكاك هذه الصفائح نشأت شقوق كبيرة في الجدران الصخرية، والتي غالباً ما تنساب منها الجداول والأنهار الصغيرة، وبالتالي تكتسي الوديان باللون الأخضر الداكن.

وبالإضافة إلىٰ ذلك يمكن للسياح هنا الاستمتاع بتجول مريح من خلال الهبوط من قمم الجبال إلىٰ أسفل علىٰ المنحدرات الجبلية عن طريق الحبال. وأوضح حكيم التميمي مورينو أن وادي الأردن يزخر بحوالي 67 من الأخاديد، التي تتدفق فيها الأنهار الصغيرة، ومع ذلك لم يتم تسجيل الكثير من هذه الأنهار، وبالتالي فإنه يمكن الاستمتاع بلحظات التجول بها.

وأشارت متحدثة باسم الجمعية الملكية لحماية الطبيعة إلىٰ أن الشغف بالتجول وسط المناظر الطبيعية وتسلق المرتفعات لم يظهر في الأردن إلا خلال السنوات الخمس الماضية فقط.

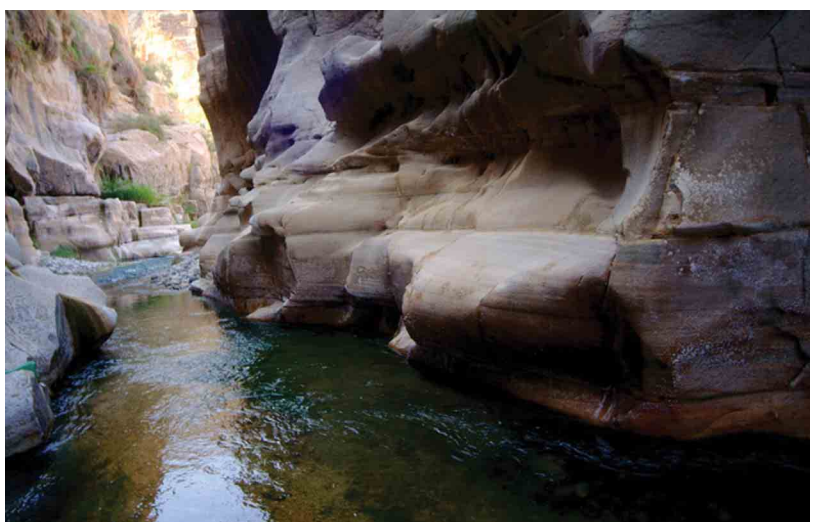

جمال الطبيعة يختبئ بين الكهوف

وتعتبر هذه الجمعية هي المسؤولة عن المحميات الطبيعية، التي تضم أربع محميات توفر للسياح دروبا ومسارات للتجول بها. ويتمتع اثنان من الوديان بشهرة سياحية كبيرة للقيام برحلات الإثارة والمغامرة. وتقع محمية وادي الموجب علىٰ طول البحر الميت وتمتد إلىٰ مرتفعات الكرك وتصل مساحتها إلىٰ 220 كلم2، وتعيش فيها أنواع مختلفة من الحيوانات والنباتات البرية والطيور. ويتمكن السياح من عشاق المغامرة في هذه المحمية من تسلق الشلالات الصغيرة. كما يوفر وادي بن حماد للسياح فرصة الاستمتاع بنزهات تجول مريحة، حيث يتجول المرء وسط أشجار النخيل والزهور. توفر مدينة البتراء المنحوتة في الصخر والمدرجة علىٰ قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو العديد من مسارات التجول المتنوعة، حيث لا يوجد واد يشبه الآخر.

كما يمكن لهواة الرحلات الجمع بين الطبيعة والثقافة من خلال جولة تثقيفية علىٰ خطىٰ سيدنا إبراهيم لمسافة تزيد علىٰ 430 كيلومتراً في الشرق الأوسط. وفي القسم الأردني من الرحلة يمر السياح علىٰ الكنائس البيزنطية والقلعة الصليبية في الكرك، وتنتهي الرحلة في الصحراء الحمراء عند وادي رم، والذي شهد تصوير أحداث فيلم لورانس العرب الشهير.

■ مواعيد سياحية

◄ **وجبة حسب الرغبة في الطائرات السعودية**

■ الخطوط السعودية تقدم خدمة جديدة لركاب الدرجة الأولىٰ تتمثل في توفير طهاة يعدون وجبات حسب لاختيارات الركاب خلال رحلاتهم الطويلة التي لا تقل مدتها عن سبع ساعات. وتقول الشركة "إن البداية ستكون برحلة تنطلق من جدة إلىٰ لوس أنجلس، حيث سيكون ضمن طاقم الرحلة عدد من الطهاة المهرة.

◄ **عروض ديزني على الجليد تعود إلى دبي**

■ عرض ديزني علىٰ الجليد يعود مجدداً ليستمتع جميع أفراد العائلة بعالم مليء بالأبطال والعواطف، ويشاهدوا "آرييل" وهي تبحث عن الحياة فوق الأمواج، والأمير "إريك" وهو يستعيد حبه الحقيقي "أورسولا". كما تشاهدوا سباق الأمير "فيليب" مع الزمن لإنقاذ "أوروورا" من العصابات الشريرة.

◄ **برشلونة تخطط للتخفيض من أعداد السياح**

■ أعلنت عمدة مدينة برشلونة الإسبانية الجديدة عن خطة مثيرة للجدل تهدف إلىٰ وضع حد أقصىٰ لأعداد السياح الوافدين إلىٰ المدينة. وأشارت آدا كولاو التي انتخبت عمدة لعاصمة إقليم كتالونيا في الشهر الماضي، إلىٰ أنها تريد تحديد سقف لأعداد السياح في المدينة، مؤكدة أنها لا تريد أن ينتهي الحال ببرشلونة كمدينة فينيسا الإيطالية.

◄ **طعام مطهو على نار بركان في الكناري**

■ مطعم في جزر الكناري يقدم تجربة فريدة لزواره لتذوق المشاوي والأطعمة المطهوة علىٰ نار أحد البراكين في المنطقة. وينفرد مطعم "إل ديابلو" بتقديم وجبات الطعام المطهوة علىٰ حرارة بركان خامد تصل إلىٰ 500 درجة مئوية في حديقة تيمانفايا الوطنية بجزيرة لانزاروت. وتم تصميم نظام الطهي باستخدام 9 طبقات من الصخور البركانية البازلتية لتشكيل الفرن.

◄ **لندن الأكثر جذبا للسياح**

■ لندن تتمكن من التغلب علىٰ بانكوك، حيث احتفظت بلقب المدينة الأكثر جذبا للسائحين في العالم، ومن المتوقع أن يبلغ عدد الزائرين الذين بقوا في المدينة ليلة واحدة علىٰ الأقل 18.8 مليون زائر هذا العام. وقد جاءت العاصمة البريطانية في المرتبة الأولىٰ في مؤشر ماستر كارد للمدن الأكثر جذبا للسائحين في العالم للمرة الخامسة خلال سبعة أعوام .

صندوق العجائب التكنولوجية «بؤرة التغيير»

مؤتمر أبل للمطورين يكشف عن جملة من التحديثات والابتكارات

❑ **سان فرانسيسكو** – تنطلق غدا الاثنين فعاليات مؤتمر أبل للمطورين 2015، وسط ترقب لما ستكشف عنه شركة الإلكترونيات العملاقة من تحديثات وإصدارات.

ويتوقع أن يحمل حدث هذا العام الذي سيقام في مدينة سان فرانسيسكو على مدى خمسة أيام تحت شعار "مركز التغيير"، الجديد في عالم أبل.

وتقدم أبل دورات مختلفة للمطورين الحاضرين بوجود مختصي أبل من المهندسين إلى جانب نشرها لبعض المحاضرات في موقع المطوّرين.

وتبيع أبل ما يفوق الـ3500 تذكرة بقيمة 1599دولارا ورغم القيمة العالية إلا أن التذاكر تنفد في ثوان نظرا للفوائد الكبيرة التي يحصل عليها المطورون من الحضور للدورات لخمسة أيام، يسبق الدورات ما هو أهم في افتتاح المؤتمر في يومه الأول حيث تقيم أبل مؤتمراً كبيراً تعلن فيه عن عدة أرقام، أنظمة ومنتجات جديدة، وفي ختام أيام المؤتمر تعلن عن الفائزين بجوائز تطبيقات العام!

حدث هذا العام سيحمل لنا الكثير وهو الذي عنونته أبل بـ"بؤرة التغيير"، حيث يتوقع الإعلان عن أرقام مبيعات الساعة مع استعراض أنظمة "أي أو أس9" و"أي أو أس إكس 10.11" إلى جانب تحديد موعد إطلاق "أي أو أس 8.4" وخدمة أبل الموسيقية الجديدة فيه كما قد تعلن أبل عن مميزات جديدة قادمة لساعة أبل.

ويتوقع أن تعلن أبل عن خدمتها الموسيقية الجديدة إلى جانب تحديد موعد إطلاقها للتحديث يوم المؤتمر على أن يكون في شهر يونيو، حيث أن التحديث يحتوي حسب النسخ التجريبية على إعادة تصميم

> أبل ستسمح للمطورين ولأول مرة بتطوير تطبيقات خاصة بجهاز «أبل تي في» في خطوة جديدة من التراجع عن الانغلاق المفرط المعروف عن الشركة

أبل تمكن المطورين الجدد في مجال التكنولوجيا من عرض خبراتهم

جذرية لتطبيق الموسيقى (صور للتطبيق)، إلى جانب إضافة الكتب التفاعلية للآيفون.

وفي الفترة الماضية دخلت أبل تحديا جديدا بأن تجعل من الـ"أبل تي في" خط إنتاج مهم لها سواء بالجهاز نفسه أو بخدمتها التلفازية المرتقبة .

من المؤكد حسب التسريبات بأننا سنرى موديلا جديدا من الجهاز، تحديث جديد وحزمة تطويرية جديدة للمطورين لتصميم تطبيقاتهم للجهاز .

الخدمة التلفزية قد لا يعلن عنها في المؤتمر المرتقب رغم ذلك حسب آخر التقارير للصعوبات التي تواجهها أبل بإقناع مقدمي الخدمات الكبار .

وبحسب صحيفة "نيويورك تايمز" فإن أبل كانت ستكشف عن جهاز التلفاز الجديد في مؤتمر المطورين لكنة في الحقيقة لم يكن جاهزا تماما بعد. وكانت أبل تعمل على تطوير جهاز التحكم عن بعد وستسمح للمطورين ولأول مرة بتطوير تطبيقات خاصة بجهاز التلفاز في خطوة جديدة من التراجع عن الانغلاق المفرط المعروف عن أبل .

وعدم جاهزية التلفاز الجديد لا تتعلق به وحدة بل يمتد إلى المحتوى حول الأسعار وحقوق الملكية ومشاكل تقنية في توصيل المحتوى.

وبهذا الشكل فإن تلفاز أبل الجديد قد يطلق نهاية هذا العام أو يتأجل للعام القادم أيضا، الأمر رهن حل المشاكل والتحديات الصعبة. ومن المؤكد أن أبل ستتحدث عن الساعة، أرقام المبيعات وردود الفعل حولها، ويتوقع أن تحدد موعد بدء بيع الساعة في متاجرها إلى جانب تحديد موعد إطلاقها لبعض الدول الأخرى.

وتعتزم أبل إبداء المزيد من المرونة أيضا فمع انعقاد مؤتمرها للمطورين من أنحاء العالم في سان فرانسيسكو ستقدم مجموعة أكبر من الأدوات للمطورين للمساعدة في ابتكار تطبيقات للاستفادة من مكونات الساعة.

وقال جيف وليامز نائب رئيس أبل للتشغيل في مؤتمر أقيم في الآونة الأخيرة إن أول حزمة تطبيقات تصمم بواسطة الأدوات الجديدة ستطرح في الأغلب في الخريف القادم. ويقول المطورون إنهم يتوقعون التمكن من صنع تطبيقات أكثر سرعة وثراء بواسطة الأدوات الجديدة.

وتفيد تقارير إعلامية أن أبل ستعلن عن نظام مكافئات خاص لمستخدمي خدمة "أبل باي" مما يشجعهم على العودة مرة أخرى إلى استخدامها في المتاجر المختلفة.

ونظام المكافئات الجديد غير واضح حتى الآن، ولكن خطوة رائعة تستعد بها أبل لجذب المستخدمين قبل طرح الخدمة في بعض الدول الجديدة. وتتحدث أبل في بداية كل مؤتمر عن نجاحاتها في متاجرها حول العالم وتذكر عدد الزوار السنوي، إلى جانب ذلك قد تعلن أبل بشكل رسمي أنها ستفتتح متجرها الأول في الشرق الأوسط في دبي!

ويستبعد محللون أن نرى أجهزة آيفون جديدة في مؤتمر المطورين، فالموعد المتوقع والمعتاد للإعلان والإطلاق هو سبتمبر، رغم أن أحد المحللين ذكر أننا قد نرى الإعلان أبكر من المعتاد في أغسطس على أن يبقى الإطلاق في سبتمبر.

ولا توجد أي تسريبات ومن غير المتوقع أن نرى أجهزة آيبود جديدة في مؤتمر المطورين، ولكن قد نرى ذلك لاحقاً هذا العام.

مبادرة عالمية لحماية المدن الذكية من الخروقات الأمنية

❑ **نيويورك** – انطلقت مبادرة عالمية جديدة غير ربحية لحماية المدن الذكية من الخروقات الأمنية. وتهدف مبادرة حماية المدن الذكية، التي تحظى بدعم من كبار الباحثين والشركات والمؤسسات المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات إلى التغلب على تحديات الأمن الإلكتروني التي تواجه المدن الذكية، وذلك من خلال التعاون وتبادل المعلومات.

وستكون المجموعة بمثابة مركز اتصال بين الشركات والحكومات ووسائل الإعلام، والأفراد في جميع أنحاء العالم الذين يساهمون في إنشاء وتحسين وتعزيز التكنولوجيات الذكية والآمنة للمدن الحديثة. ويعد مفهوم المدينة الذكية مفهوما حديثا للغاية، وتعمل العديد من المؤسسات على وضع حلول ذكية لجعل المناطق الحضرية ذات كفاءة في استخدام الطاقة ومريحة وصديقة للبيئة، ومحمية من الجرائم. وكلما زاد عدد مؤسسات تقنية المعلومات التي تساهم في إنشاء المدن الذكية، كلما زادت المخاطر المحتملة. وفي حال تعذر التصدي للتحديات الأمنية في وقت مبكر، سيكون من الصعب معالجة تلك التحديات بسبب التكلفة وتعقيدات المدينة الذكية، وفي النهاية، ستظل المدينة عرضة للخطر.

ويعتقد المشاركون في تأمين المدن الذكية أن هذه المبادرة ستساعد بكفاءة والتزام على تبادل المعرفة حول الأمن الإلكتروني للمدن الحديثة، حيث سيتم ربط بائعي معدات التشغيل الآلي للبنية التحتية مع الباحثين في مجال الأمن الذين هم على استعداد للتحقق من صحة الأداء الآمن لهذه المنتجات. وسوف تجمع المبادرة أيضا بين سلطات المدينة وبين المجموعات الأمنية للتعاون في حل المشاكل الجديدة المتعلقة بالأمن الالكتروني.

وينطوي مفهوم المدن الذكية على الكثير من التقنيات المختلفة المتصلة مع بعضها البعض بعدة طرق، وبالتالي فإن الطريقة الوحيدة لتوقع جميع المشاكل الأمنية المحتملة والقضاء عليها تكون من خلال التعاون بين الخبراء في جميع أنحاء العالم".

وقال كريس رولاند، المؤسس والرئيس التنفيذي لشركة "باستيل" وعضو مجلس إدارة مبادرة حماية المدن الذكية "تمثل المدن الذكية فرصة هائلة للنمو، والاستدامة، وتحسين الأوضاع الاجتماعية، ومع ذلك، لا يجب أن تكون المشاريع ذكية فقط، بل يجب أن تكون آمنة أيضا. إن تمكين التقنيات المدمجة والاستفادة من إنترنت الأشياء في البنية التحتية للمدينة يجلب إليها المخاطر التي يجب أخذها بعين الاعتبار ومراقبتها للحفاظ على سلامة المواطنين. نريد أن نعمل مع مخططي وبناة المدينة لرفع مستوى الوعي حول التهديدات الإلكترونية وتبادل المعلومات حول كيفية الحد من تلك التهديدات قبل أن تتمكن من التأثير على العامة".

واشار باتريك نيلسن، الباحث الأمني الرئيسي في شركة كاسبرسكي لاب وعضو مجلس إدارة مبادرة حماية المدن الذكية بقوله "يهدف تأمين المدن الذكية إلى حل المشاكل الإلكترونية الخاصة بشبكة الإنترنت في كل مرحلة من مراحل تطوير أيّ مدينة ذكية بدءا من التخطيط وحتى التنفيذ الفعلي للتقنيات الذكية. نشجع سلطات المدينة وبائعي المعدات والبرمجيات، بالإضافة إلى الباحثين في مجال الأمن على الانضمام إلى المناقشة حول هذا الأمر".

سكايب بتحديثات جديدة لخدمة الدردشة

❑ **لندن** – أطلقت شركة مايكروسوفت تحديثاً جديداً لتطبيق خدمة الدردشة سكايب على نظام ماك، يجلب معه عدداً من التحسينات والمزايا الجديدة.

تصميم جديد لحقل إدخال الدردشة مع دعم أسرع لإرسال الصور، والملفات، وجهات الاتصال، ورسائل الفيديو، فضلاً عن القدرة على "سحب وإفلات" الصور داخل حقل الدردشة.

كما حصل تطبيق سكايب على حواسيب ماك الشخصية التابعة لشركة أبل على بعض الإصلاحات المتفرقة، لكن بعض المستخدمين أبلغوا عن مشكلة تمنعهم من تغيير المدخلات للصوت والفيديو.

وأصدرت مايكروسوفت تحديثاً جديداً لتطبيق سكايب على نظام "آي أو إس" المشغل لأجهزة شركة أبل الذكية، يَعرض معاينات لصفحات الويب التي تُرسل بصورة روابط ضمن الدردشات، حيث يعرف المستخدم محتوى الموقع قبل الدخول إليه.

تحديث سكايب الجديد يقدم تحسينات ملموسة على خاصيات الدردشة

كما تلقى تطبيق سكايب المتوافق مع ساعة أبل الذكية، "أبل ووتش"، على تحديث يدعم تحويل "الصوت إلى نص" لإرسال الرسائل من الساعة، إضافة إلى القدرة على إدارة المكالمات الواردة.

ولعل أبرز ما جاء به تحديث سكايب لهواتف آيفون هو إصلاح المشكلة التي أبلغ عنها مستخدمو الخدمة، والتي ينجرّ عن إرسال أو استقبال بضعة رموز توقف التطبيق.

ويمكن لمستخدمي نظام ماك تنزيل التحديث الجديد، وكذلك يمكن لمستخدمي الإصدار 7.0 وما فوق من نظام آي أو إس تنزيل التحديث الذي يأتي بحجم 79.1 ميغابايت من متجر "آب ستور".

يُذكر أن هذه التحديثات تأتي بالتزامن مع إعلان مايكروسوفت تقديم خدمة سكايب على خدمة "أوتلوك" بحلة جديدة لتعمل جنباً إلى جنب مع صندوق الوارد على نسخة الويب من خدمة البريد الإلكتروني التابعة للشركة.

جديد التكنولوجيا

❑ تؤكد التقارير العالمية الزخم الكبير والإقبال المتسارع الذي يشهده تطبيق تويتر للبث المباشر "بيريسكوب"، والذي أطلقته تويتر في 26 مارس 2015 بعد الاستحواذ على الشركة المطورة له قبل تأسيسها في فبراير 2015. ويقدم تطبيق "بيريسكوب" إمكانية البث المباشر من أجهزة الهواتف الذكية، وكان بدايةً متوفرا فقط لهواتف آيفون ليتم منذ حوالي أسبوع فقط توفيره أيضاً لأجهزة أندرويد.

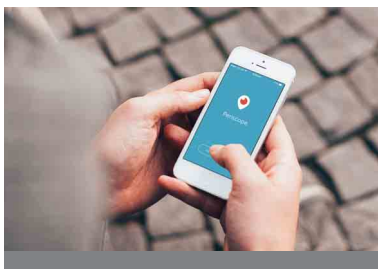

❑ صور جديدة تظهر لهاتف "هواوي هونور7"، تؤكد قدومه بهيكل معدني، مع مستشعر للبصمة، ومواصفات عالية.

وستتوفر نسختان من الهاتف، الأولى بسعة داخلية تبلغ 16 غيغابايت مع ذاكرة عشوائية 3 غيغابايت، والنسخة الثانية بسعة داخلية 64 غيغابايت مع ذاكرة عشوائية كبيرة تصل إلى 4 غيغابايت.

وستمتلك النسختان كاميرا خلفية بدقة 13 ميجابيكسل، وبطارية بسعة 3280 ملّي أمبير.

❑ دراسة حول سوق الأجهزة القابلة للارتداء خلال الربع الأول من عام 2015 الجاري، تكشف عن استحواذ شركة شاومي الصينية، حديثة العهد، على حصة سوقية كبيرة تقارب 25 بالمئة من المبيعات في هذا السوق.

ويتوقع أن تتغير الحصص السوقية لشركات سوق الأجهزة القابلة للارتداء خلال الربع الثاني الذي ينتهي بنهاية شهر يونيو، وذلك بعد حساب مبيعات ساعة أبل الذكية، التي طرحت قبل فترة قليلة في الأسواق.

❑ شركة ناشئة سلوفاكية تطور جهازا جديدا يتسم بسهولة الاستخدام والتنقل موجها لمستخدمي الهواتف الذكية أطلقت عليم اسم "كول تشارج" ويضم بطارية قابلة للشحن بسعة 1000 ملّي أمبير/ ساعة، ويؤدي إلى جانب ذلك، وظيفة كابل الشحن، وكابل نقل البيانات بين الأجهزة الذكية والحواسيب الشخصية. ويأتي "كول تشارج" الجديد مع سلسلة مفاتيح لتسهيل حمله ونقله في الجيب أينما ذهب المستخدم، وهو قابل للاستخدام مع هواتف آيفون الذكية العاملة بنظام أندرويد ونظام ويندوز فون.

❑ شركة أسترالية تدشن حملة للحصول على الدعم المادي اللازم لبدء إنتاج هاتف ذكي عالي المرونة، وقابل للارتداء في المعصم مثل الساعات الذكية، وهو الهاتف الذي أطلقت عليه اسم "بلو". وأوضحت الشركة أن الهاتف "بلو" سيملك كافة مميزات الهواتف الذكية التقليدية، حيث سيعمل بنظام أندرويد، إلا أنه سيتميز عن الهواتف الحالية، العاملة بنفس النظام، بقابليته للثني من دون مشكلات.

وسيحصل الهاتف الذكي الجديد على ذاكرة وصول عشوائية سعة 4 غيغابايت، وذاكرة تخزين داخلية سعة 128 غيغابايت، ونظام صوت محيطي يوزع الصوت في محيط 360 درجة.

تمارين الإطالة تحقق التوازن بين العضلات وتحسن كفاءتها وقوتها

حركات التمطط هي بمثابة تدليك داخلي للمجموعة العضلية

أظهرت جملة من البحوث في مجال الطب الرياضي أن تمارين الإطالة تنشط العضلات القصيرة والطويلة وتوازن بين قوتها جميعا، الأمر الذي ينعكس إيجابيا على الأداء والكفاءة، وينصح الخبراء بضرورة إجراء الإحماء قبل الشروع في حركات التمطط، ذلك أن ممارستها والعضلات باردة تؤدي إلى إصابات خطرة، خصوصا في الصباح حين تكون عضلاتك أكثر تصلبا.

❑ **لندن** – أثبت باحثون أن تمرينات الإطالة لمختلف عضلات الجسم خاصة المجموعة العضلية العاملة في الأداء قادرة على تطوير المهارات والقدرات البدنية. وبينوا أن العضلة القصيرة يمكن أن تعيق النشاط الأقصى للعضلة المقابلة لها مما يؤدي إلى إضعافها. وللتخلص من عملية التثبيط التي تعوق النشاط الأقصى للعضلات الحركية ينبغي تدريب الإطالة بطريقة صحيحة ومنتظمة لاستعادة الطول الطبيعي للعضلات القصيرة لتحقيق التوازن العضلي والحفاظ عليه. وبذلك تتحسن الكفاءة الوظيفية للعضلات وتظهر في شكل أداء بدني وفني متطور، ونتيجة لذلك يستطيع اللاعب أداء الحركات بمدى واسع وبأفضل إنتاج للقوة والسرعة.

وتقلل تمارين الإطالة من مخاطر الشد أو التمزق في العضلات أو التواءات المفاصل بالإضافة إلى تقليل إصابات العمود الفقري.

وقد أظهرت نتائج دراسة سويدية تمت على 12 لاعبا من 12 فريقا لكرة القدم فاعلية برنامج لتدريب الإطالة في الوقاية من الإصابات.

وكشفت دراسة أجريت على مجندين بالجيش أن تدريبات الإطالة وتقوية العضلات قد تقيان من مشكلات الركبة المنتشرة بما في ذلك ما يعرف باسم "لين الغضروف" بين الأشخاص النشطاء بدنيا.

ويعاني حوالي 25 بالمئة من الأشخاص النشطاء بدنيا من ألم الركبة الأمامي وهو ألم في مقدمة الركبة يزداد عند صعود درجات السلم أو العدو وهذا هو السبب الرئيسي أيضا في عدم لياقة المجندين الجدد في الجيش البريطاني.

وتابعت دراسة أجريت في مركز التأهيل الطبي التابع لوزارة الدفاع البريطانية في سرية بالمملكة المتحدة أكثر من 1500 مجند أثناء برنامج تدريب شاق مدته 14 أسبوعا.

وطلب من نصفهم القيام بأنواع مختلفة من التدريبات في كل جلسة تدريب مع التركيز على تقوية عضلات الساق وجعلها أكثر مرونة بالإطالة. وقام النصف الآخر بتدريبات الإحماء والتهدئة العسكرية التقليدية.

وكتب راسل كوباك وزملاؤه في الدورية الأميركية للطب الرياضي "أميركان جورنال أوف سبورت ميديسن" أنه مع الإحماء التقليدي أصيب حوالي خمسة بالمئة من الجنود بألم في الركبة ولكن العدد انخفض إلى ما يزيد قليلا عن واحد بالمئة بين أولئك الذين مارسوا التدريبات الخاصة.

وكتب كوباك "أدت مجموعة بسيطة من تدريبات إطالة وتقوية الطرف السفلي إلى انخفاض كبير وآمن للإصابة بألم الركبة الأمامي في أفراد الجيش من الشباب الذين يخضعون لبرنامج تأهيل بدني".

"يمكن لمثل هذه التدريبات أيضا أن تكون مفيدة في الوقاية من هذه الإصابة الشائعة بين المشاركين في النشاط البدني الترفيهي من غير العسكريين".

وكان ثلاثة مجندين فقط من الذين قاموا بالتدريبات الجديدة غير لائقين للخدمة العسكرية مقارنة بإجمالي 25 شخصا من المجموعة الثانية.

وقال كوباك وزملاؤه إنه من غير الواضح ما إذا كانت النتائج تنطبق على الجميع بشكل عام، لأن الناس خارج الجيش أقل عرضة لمتابعة ممارسة تدريبات روتينية صارمة.

ولكنهم أضافوا أن تقديم التدريبات المستهدفة على الأقل في الجيش قد يقلل إعداد غير المقبولين ومعدلات الإصابة فضلا عن إمكانية توفير الأموال.

وتجدر الإشارة إلى أن المرونة المحدودة في مفصل ما وقصر العضلات العاملة على هذا المفصل تؤديان إلى مدى حركي أقل وبالتالي فقد القوة ومن ثم السرعة. وتراجع مدى الحركة يؤدي بالضرورة إلى تراجع في القوة والطاقة التي يولدها اللاعب. وبالعكس فإن زيادة مدى الحركة في المفصل والزيادة في إطالة العضلات العاملة عليه تمكن العضلات من إنتاج قوه أعظم لأن العضلات التي تمت إطالتها تؤدي وظيفتها بكفاءة أعلى وتنتج قدرا أكبر من القوه نتيجة لاختزان الطاقة المرنة في الأنسجة العضلية أثناء مرحلة الإطالة وتحررها أثناء مرحلة التقصير التالية لهذه الإطالة.

وقد أظهرت نتائج إحدى الدراسات العلمية أن أداء تمرينات الإطالة بصورة منتظمة لمدة 4 سنوات أدى إلى زيادة المدى الحركي لمجموعة من اللاعبين الذين كانوا يعانون من قصر وضعف بعض العضلات.

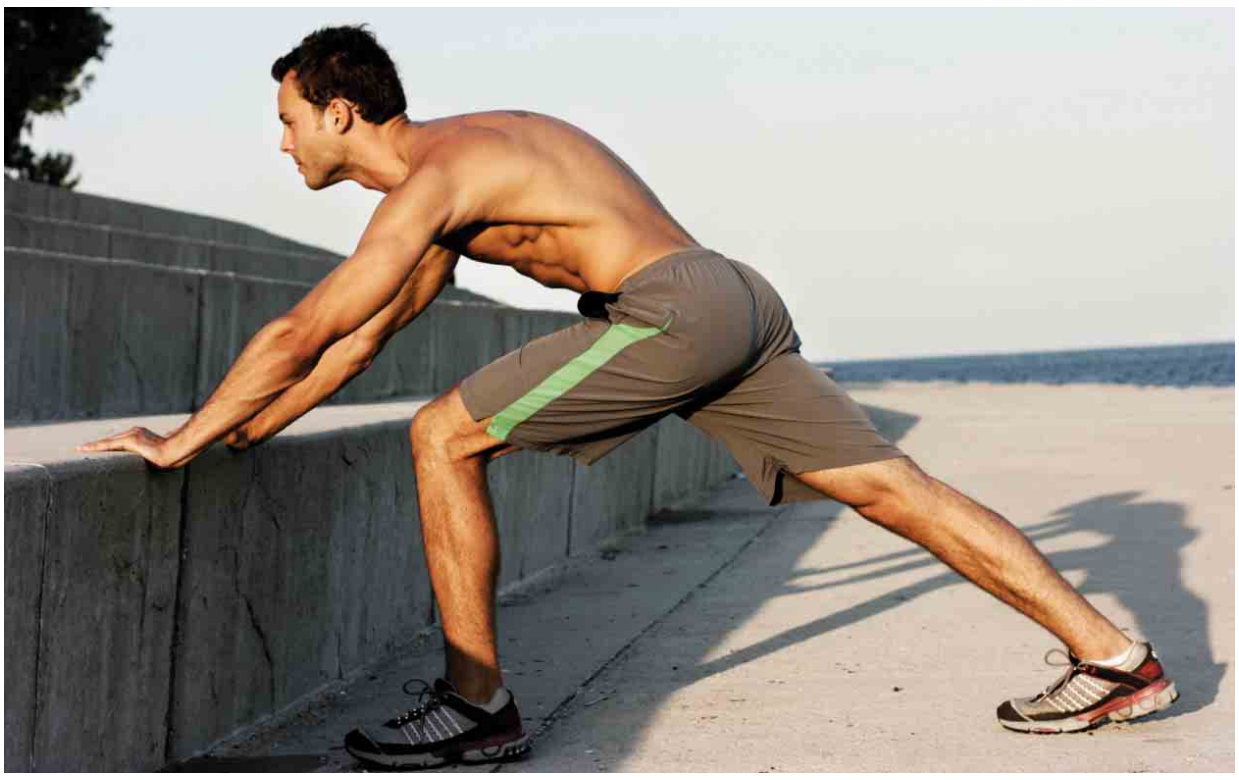

تمارين الإطالة تقلل من مخاطر الشد أو التمزق

ويذكر أن تمارين الإطالة يمكن ممارستها قبل النشاط الرياضي أو بعده، شرط القيام ببعض الإحماء لتهيئة العضلات لقوة التمطط، وهي ليست حكرا على الرياضيين المباشرين بانتظام للمنافسات وإنما بإمكان أي شخص القيام بها ضمن أنشطة حياته اليومية.

ويمكن ممارسة تمارين الإطالة في أي وقت طوال اليوم وأثناء العمل وفي السيارة وأثناء السير في الطرق وعلى الشاطئ.

وبالنسبة إلى الرياضيين يجب تأدية تمارين الإطالة قبل التمارين وبعدها.

أوضح أخصائيو العلاج الطبيعي والطب الرياضي أن تمرينات الإطالة هي جزء أساسي في أي برنامج لتنمية المرونة أو الحفاظ عليها كصفة بدنية هامة للأداء في الأنشطة الرياضية. ولتحقيق أفضل الفوائد من برنامج تنمية المرونة ينبغي أن يخطط له جيدا ويطبق بانتظام خلال فترة زمنية محددة بغرض التدرج إلى زيادة مدى الحركة في المفصل.

ويؤكد الأطباء أن حركات التمطط تترافق مع بعض الآلام التي ينبغي ألا تتجاوز مجرد الانزعاج من الشد على العضلة إلى آلام شديدة ومزمنة.

ويشار إلى أن هناك نوعان من الآلام المصاحبة للتمرينات العضلية وهما الألم أثناء أو بعد التمرين مباشرة والذي يمكن أن يستمر لعدة ساعات، والألم الموضعي المتأخر والذي لا يظهر عادة قبل مرور 24–38 ساعة بعد التمرين.

وأثبتت نتائج الأبحاث العلمية أن الإطالة العضلية وبصفة خاصة تمرينات الإطالة البطيئة ذات فعالية في تقليل الألم العضلي سواء أثناء التمرينات أو بعدها مباشرة. كما أشارت الدراسات إلى أن الإطالة الثابتة تزيل الألم العضلي وتساعد على خفض أعراض التوتر العصبي، بالإضافة إلى فعاليتها في إزالة التعب الموضعي المتأخر. فتعتبر تمرينات الإطالة بمثابة حركات تدليك داخلي للعضلة أو المجموعة العضلية. وهذا التدليك الداخلي يساعد على خفض نسبة الألم في العضلة أو المجموعة العضلية والذي يتراكم نتيجة للجهد البدني المبذول.

> تمرينات الإطالة البطيئة ذات فعالية في تقليل الألم العضلي سواء أثناء التمرينات أو بعدها مباشرة

ويذكر أن ممارسة تمرينات الإطالة لعدة دقائق خلال فترات الراحة وبعد الانتهاء من الوحدة التدريبية أو المنافسة تعد وسيلة مناسبة استعدادا للمرحلة التالية.

جدير بالذكر أن المقدرة على استعادة الشفاء بسرعة من أفضل مؤشرات ارتفاع اللياقة البدنية والوظيفية. وسرعة استعادة الشفاء قد تكون هي الفيصل بين الفوز والهزيمة خاصة في الرياضات التي تتوقف نتيجتها النهائية على نتائج العديد من الأدوار السابقة كما في رياضة (المبارزة والجودو والمصارعة...) وكذلك على الرياضات التي تشتمل على أكثر من مسابقة متنوعة متتالية مثل (الجمباز، السباحة وخماسي القدم...) والألعاب الجماعية مثل (كرة السلة والطائرة...) والتي تتطلب استبدال اللاعبين لمرات عديدة في المباراة.

وكل هذه الرياضات تتطلب أن يقوم الرياضي بإعداد وتجهيز نفسه للمرحلة التي تليها من المنافسة. وكلما كانت هناك فرصة لسرعة استعادة الشفاء كلما كانت فرصة الرياضي أفضل في تهيئة عضلاته للمرحلة التالية.

وتعتبر تمرينات الإطالة في مرحلة استعادة الشفاء بمثابة حركات تدليك داخلي للعضلة أو المجموعة العضلية.

وهذا التدليك الداخلي يساعد على خفض نسبة حامض اللاكتيك في العضلة أو المجموعة العضلية والذي يتراكم نتيجة للجهد البدني المبذول وكذلك يساعد على التخلص من فضلات التمثيل الغذائي لأقل حد ممكن.

ويضع المدربون عددا من الشروط لممارسة الإطالة بشكل صحيح كأن تكون مساحة المكان الذي تطبق فيه التمارين كافيا وأن تكون درجة حرارته معتدلة ودافئة، حيث أن البرد يتعارض مع فكرة استرخاء العضلات. وفي حال تنفيذ تمرينات الإطالة خارج الصالات في الأيام الباردة يجب ارتداء الملابس.

ويوصي الخبراء بتجنب اتخاذ أي وضع مؤلم أثناء تنفيذ تمرينات الإطالة وأن تكون عملية التنفس ببطء وبانتظام.

وعلى الرياضيين الذين يواجهون بعض الصعوبات في مرونة المفاصل التدرج في أداء تمرينات الإطالة.

ويشار إلى أن عدد تمرينات الإطالة التي يؤديها الرياضي تعتمد على هدف الوحدة التدريبية وشدتها وزمنها وعدد التمرينات التي سيتم تنفيذها لكل مجموعة عضلية، ذلك أن الزيادة أو المبالغة أحيانا في العدد تؤدي إلى مشاكل في الأربطة والمفاصل.

الحليب منزوع الدسم يساعد النساء على فقدان الوزن

❑ **واشنطن** – كشف باحثون أميركيون أن شرب الحليب منزوع الدسم يساعد في تخفيض الوزن، لأنه يزيد من البكتيريا النافعة داخل الأمعاء ويقضي على الانتفاخ واضطرابات الهضم التي يسببها خلل مستويات هرموني الاستروجين والبروجستيرون قبل موعد الدورة الشهرية.

وتوصي الإرشادات الطبية الحكومية بالولايات المتحدة باستهلاك "كميات معتدلة من الحليب ومنتجاته، مع اللجوء إما لاختيار المنتجات قليلة الدسم أو تناول كميات أقل من المنتجات كاملة الدسم".

وكشف تقرير نشر في صحيفة "ديلي ميل" البريطانية أن الحليب منزوع الدسم قليل السعرات الحرارية رغم ثرائه بالفيتامين 'د' والكالسيوم والبروتين.

ويرجع العلماء سبب قدرة الحليب على تخفيض الوزن إلى أن الجسم عندما يحصل على كفايته من الكالسيوم يحرق الدهون بسرعة كبيرة.

ويشار إلى أنه في حال لم يحصل الجسم على ما يكفيه من الكالسيوم يطلق هورمونا اسمه "كالسيتريول" الذي يحفز إنتاج الدهون وتخزينها، الأمر الذي لا يحدث عند تناول ما يكفي من الحليب وباقي مشتقات الألبان، التي تعمل على إخماد هذا الهورمون وإعاقة حركته. وبالتالي فإن الجسم ينتج نسبة قليلة من الدهون التي يتم حرقها بسهولة وسرعة خصوصا حول منطقة المعدة والفخذين. كما تبين أن الكالسيوم يخفض من نسبة الكورتيزول، وهو الهرمون المسؤول عن زيادة الوزن في منطقة المعدة والفخذين.

وجدير بالذكر أن الكالسيوم الموجود في الألبان أكثر فاعلية من الكالسيوم المتوفر في مصادر أخرى، ذلك أن الألبان تحتوي على الحمض الأميني، الذي يساعد على بناء العضلات. وأثبتت دراسة أميركية أخرى أجرتها خبيرة التغذية الدكتورة مارلين جلينفيل ونشرتها في كتاب "دهون حول الوسط"، أن زيادة هرمون الكورتيزول المسؤول عن إحساسنا بالضغط والتوتر يجعل الجسم يختزن الدهون الموجودة في الأطعمة ولا يقوم بحرقها واستخدامها كطاقة.

> 22 بالمئة هي نسبة خسارة الوزن في حال تم اعتماد الحليب منزوع الدسم كعنصر أساسي ضمن حمية منخفضة السعرات

كما ثبت أن قلة هرمون السيروتونين المعروف بهرمون السعادة يؤدي إلى اختزان المواد الكربوهيدراتية أو النشوية، كما يؤثر على عملية تنظيم وتوازن هرموني الاستروجين أو البروجيسيترون المسؤولان عن تنظيم مواعيد الدورة الشهرية والحمل والإنجاب ومن شأن هذا كله أن يسبب زيادة في الوزن ويجعل طرق الحمية بلا فائدة.

وأوضح باحثون أنه في حال تناول الحليب كعنصر أساسي يدخل في نظام غذائي منخفض السعرات الحرارية يؤدي إلى فقدان ما يوازي 80 بالمئة من منطقة الخصر والكرش وفقدان ما يعادل 22 بالمئة من الوزن العام. كما أكدوا أن الحليب الخالي من الدسم يساعد الجسم على حرق الدهون الضارة مع الاحتفاظ بالعضلات.

شرب الحليب منزوع الدسم يوميا يخفض الانتفاخ واضطرابات الهضم

الأحوازيات صورة استثنائية للاضطهاد بين النساء العربيات

الإقصاء السياسي والمجتمعي جعل المرأة الأحوازية تقدم دروسا في التحدي

عديد العائلات الأحوازية العربية تمنع الفتاة من التعليم العالي وتعتقد أنه يكفيها أن تجيد القراءة والكتابة لتسيير أمورها

بشاعة جرائم الاحتلال يصعب حصرها، لكن جريمته الأسوأ هي ما يرتكب ضد غالبية النساء الأحوازيات

في الوقت الذي يصارع فيه الأحوازيون رجالا ونساء الاحتلال الأجنبي بدايات قرن العشرين، كانت النساء في شتى الدول الأوروبية والشرقية تطالب بحقوقها من حكومات بلدانها لتقننها وتدرجها في الدساتير. ونالت المرأة في أنحاء كثيرة من العالم نسبة هامة من حقوقها وباتت توصف بأنها نصف المجتمع وأحيانا أساسه، فتجدها تكافح في بيتها أو في عملها، وفي نفس الوقت تربي وتعلم أطفالها، كما تجدها تنافس الرجل في شتى المجالات والمستويات العلمية والعملية.

منى عودة الساري

❑ كان من المفترض أن تكون الأحوازيات وارثات للحقوق التي كانت تتمتع بها المرأة العيلامية، نسبة لحضارة قديمة عمرها 5000 سنة انتشرت بمنطقة الأحواز. كانت نساء الأحواز خلال هذا العهد يتمتعن بحقوق أكثر من الرجال منها الإرث، فالعيلامية تحصل على إرث وأموال زوجها بعد الوفاة، وأيضا كانت تقدس كالآلهة عند العيلاميين، ولها حق الشهادة لدى القضاة وحقوق أخرى، وبصمات وإنجازات العيلاميات ما زالت مخلدة في الآثار العيلامية. لكن للأسف تعيش الأحوازية اليوم تحت وطأة أصعب الظروف في غياب الحماية، القوانين والتشريعات. كما يمارس ضدها أبشع وجوه العنف والاضطهاد والتعسف والتهميش الممنهج بغرض تغييبها عن المشاركة الفاعلة في الحياة العامة وحبسها داخل جدران وزوايا البيت.

من هي المرأة الأحوازية

يمكن أن نختصر المرأة الأحوازية في الأسيرة فهيمة البدوي التي اعتقلت مع زوجها الشهيد علي المطوري قبل ما يقارب عشر سنوات، وأعدم زوجها بينما كانت هي على وشك الولادة، وما زالت تقبع في سجون الاحتلال مع طفلتها "سلمى" التي أنجبتها خلف القضبان.

وتقول إحدى المناضلات الأحوازيات لتعريف المرأة الأحوازية "كحل عينيها العربي وعباءتها السوداء وشريط دمية طفلتها المغصوبة وصراخها وأياديها المكبلة إنها فهيمة وهدى وسكينة وزهراء ومعصومة وسلمى مولودة الانتفاضة التي أرادوا أن يدفنوها تحت طيات الحقد"، هذه عينة من الأسيرات الأحوازيات في السجون الإيرانية.

النسيج القبلي وعادات وتقاليد المجتمع الأحوازي والتمسك بالبائد منها يمنع المرأة من حياة مدنية عادية فعلى سبيل المثال عديد العائلات الأحوازية العربية تمنع الفتيات من التعليم العالي وتعتقد أنه يكفي الفتاة أن تجيد القراءة والكتابة لتسيير أمورها. وفي الوقت ذاته، تؤكد إحصاءات حكومة الاحتلال أن 65 بالمئة من الفتيات العربيات الأحوازيات في عمر أقل من الخامسة والثلاثين لا يجدن القراءة والكتابة، وأن معدل الأميات فوق هذه السن يصل إلى 95 بالمئة.

أما من الناحية الاجتماعية والأسرية فهناك عديد المشاكل التي تنغص حياة الفتيات الأحوازيات وتدعو إلى القلق، ولعل أهمها إخضاعهن للزواج العرفي أو الزواج التقليدي الذي يسلبهن حق اختيار شريك الحياة لأنهن غالبا ما يكن مرغمات على الزواج تحت مسميات مختلفة مثل الزيجات "الفصلية" أو "الإحسان" أو "الخمسية" ولا يؤخذ بآرائهن ولا يسألن عن موافقتهن من عدمها.

ومما لا شك فيه أن وجود الاحتلال الفارسي ضاعف معاناة المرأة الأحوازية في ظل المجتمع القبلي الذي جعل من هذه المعاناة واقعا يوميا، فعندما استولت دولة الفرس على الأحواز العربية تغير نسيج المجتمع الأحوازي، كما تغيرت اللغة الرسمية من العربية إلى الفارسية، وأجبرت السلطات الحاكمة النساء على خلع الحجاب وتغيير زيهن العربي.

وتزايدت هذه التغييرات الدخيلة على المجتمع الأحوازي بارتفاع هجرة الفرس من مدنهم إلى الأحواز بهدف تغيير الطابع السكاني للمنطقة، وبما أن نسيج المجتمع الأحوازي كان مبنيا على القبائل والعشائر، وبما أن التفكير الأحوازي العربي ينطوي على الحساسية والتعصب تجاه المرأة وعلى استضعافها والخوف عليها من الوقوع في أيادي الاحتلال في آن، فقد نشأت بيئة وعقلية تؤمن بمحاصرتها في دائرة ضيقة تكون قادرة على حمايتها.

لكن في واقع الأمر أدى هذا التعامل المنغلق إلى تغييب الأحوازيات من الساحة العامة ومن الشأن العام وحرمت من المشاركة الفعلية في الحياة الاقتصادية والسياسية وحتى في مجال النشاط المدني والمجتمعي، حيث يبدو جليا غيابها عن الأنشطة النضالية المدنية وعن العمل المنظماتي والجمعياتي بشكل ملحوظ لدى المهتمين بالشأن الأحوازي.

وبعد مرور حوالي قرن من الاحتلال الإيراني للأحواز ليس من العدل أن نلقي كل اللوم، فيما تلقاه اليوم النساء في الأحواز، على عاتق المجتمع القبلي والتقليدي، لأننا إذا ألقينا نظرة على الدول المجاورة للأحواز وخاصة الدول العربية التي لديها ثقافة ولغة ونسيج مجتمعي مشابه سوف نرى بوضوح أن المرأة العربية استطاعت أن تظفر بنسبة معينة من حقوقها وأن تظهر وتبرز قدراتها وتعمل في مجالات متنوعة وتتفوق على الرجال في وظائف وأعمال ومناصب متعددة، حتى أنها تتقلد الكثير من المناصب البرلمانية والوزارية والقيادية في مجتمعاتها. في حين لا تزال الأحوازية غير متمتعة باحتياجاتها الأساسية مثل الصحة وحق التعليم وحق اختيار الهندام.

وفي ظل استمرار الأوضاع الإنسانية المتردية وحالات انتهاك حقوق الإنسان في الأحواز التي تصل إلى درجة السجن بتلفيق التهم والحكم بالإعدام، تجد الأحوازيات أنفسهن في ظروف بالغة القسوة يعانين فيها من اضطهاد مزدوج أولا معاناة من عقلية متحجرة من طرف مجتمعهن القبلي الذي يأبى عليهن أبسط الحقوق. وثانيا من اضطهاد أكثر شمولية وأكثر قوة وسطوة من قبل قوى الاحتلال التي تنتهك ما بقي لهن من كرامة. هذا ما يجعلنا نخلص إلى القول بأن المرأة الأحوازية تعيش وضعا استثنائيا بين النساء العربيات، حيث تتعرض للاضطهاد والقهر المركب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

المرأة الأحوازية وسياسات الاحتلال

من المفروض على المرأة الأحوازية التي تريد أن تعيش حياة عادية وترغب في التمتع بحقها في العمل أن تهاجر لتمارس عملها وإرادتها ولتسعى إلى تحقيق طموحاتها في ظل ثقافة مغايرة تماما لثقافتها الأصلية، فلا مجال أن تمارس هذه الحقوق في موطنها ولا يمكنها معارضة الثقافة والفكر الأحوازي أو فكر الاحتلال الإيراني الذي يحصرها في إطار لا يجب أن تتجاوزه. وإذا عزمت على التحدي فسرعان ما تجد أصابع الاتهام موجهة نحوها وقد ينعتها الإيرانيون بانتمائها "لخلق العرب" أو محاربة للنظام.

وهكذا تتحول بشكل أو بآخر رغبتها في الحصول على حقوقها إلى تهمة سياسية تجرها إلى استجوابات وهمية تؤدي بها إلى الاعتقال والإيداع في غياهب السجون. وهناك تلقى شتى أنواع التعذيب والمعاناة فإما أن تستسلم للإحباط وتتوقف عن السعي لتحقيق ذاتها وإما أن تموت في السجن أو تعدم.

وفي حال اجتازت جميع الحواجز الاجتماعية بما فيها من حرمان وفقر وتفوقت في دراستها وحصلت على شهادة جامعية لن يتم تعيينها بسهولة كما يتم تعيين زميلاتها بالدراسة من القومية الفارسية وفي هذه الحالة أيضا تواجه التمييز العنصري وكثيرا ما نرى خريجات عربيات لا يحصلن على فرص في العمل لهذه الأسباب.

وإذا تطرقنا للحالة النفسية للمرأة الأحوازية وإلى ما يتوفر لها من وسائل ترفيه ومؤسسات وفضاءات اجتماعية يمكن أن تحتضنها وتخفف عنها الضغوط النفسية التي فرضها عليها المجتمع والاحتلال فسنلاحظ أنها تشكو غياب الفضاءات الترفيهية والمؤسسات والنوادي والجمعيات خاصة منها الحقوقية النسوية التي تلعب دورا هاما في توعيتها بحقوقها وفي مناقشة قضاياها والنهوض بها.

فحياتها كثيرا ما تختصر في العمل -إن توفر- وإدارة شؤون بيتها وتربية أطفالها وهي أنشطة يومية تدخلها في حلقة الروتين والملل الذي قد يوصلها إلى الكآبة والوحدة والانزواء.

أما فيما يخص جانب الرعاية الصحية فلا توجد مراكز صحية على المستوى المطلوب للاهتمام بصحة المرأة خاصة أثناء الحمل والولادة ولوقايتها وعلاجها من الأمراض التي تتطلب فحوصا دورية وعلى سبيل المثال لا يوجد مستوصف للقيام بالتحاليل والفحوص الطبية اللازمة بشكل منتظم وكثيرا ما تكتشف في وقت متأخر بأنها مصابة بمرض مستعصي العلاج يودي بحياتها، وهو ما يدل على إهمال صحتها من قبل السلطة والجهات المعنية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطات الفارسية تستهدف المرأة الأحوازية لتنفيذ سياستها ومشاريعها بأساليب متعددة منها الإجهاض، ففي الآونة الأخيرة تزايدت حالات الإجهاض غير المرغوب فيها عند النساء. وكانت الأسباب بالنسبة لهن غامضة ومبهمة أو تعود لعدم إحاطتهن بالرعاية الضرورية لحالاتهن الصحية من قبل العاملين في المؤسسات الحكومية والمشرفين عليها وغالبا ما يكون الإهمال مقصودا.

ووفقا لإحصائيات المراكز الطبية الإيرانية -المشكوك في صحتها ودقتها- فإن عدد حالات الإجهاض في الأحواز يتجاوز 20 بالمئة وهي تحتل المرتبة الأولى في نسب الإجهاض بين الأقاليم الأخرى في جغرافية إيران.

كما أن بشاعة جرائم الاحتلال يصعب حصرها، لكن جريمته الأسوأ هي ما يرتكب ضد غالبية النساء الأحوازيات، من خلال سياسة التطهير العرقي التي تمارس عليهن بأبشع الطرق التي عرفها التاريخ، وذلك عبر منعهن من الإنجاب لإحداث تغيير ديموغرافي في مناطق الأحواز، حيث تجبر سلطات الاحتلال المرأة على الولادة بإجراء العمليات القيصرية عوضا عن الولادة الطبيعية،

> نساء الأحواز يعانين من اضطهاد مزدوج أولا معاناة من عقلية متحجرة من طرف مجتمعهن القبلي، وثانيا من اضطهاد أكثر شمولية وأكثر قوة وسطوة من قبل قوى الاحتلال التي تنتهك ما بقي لهن من كرامة

> المرأة الأحوازية ورغم كل الظروف التعسفية التي تعانيها وجميع الجرائم التي ترتكب في حقها، أثبتت قدراتها في شتى المجالات الثقافية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية حتى في مواجهة التمييز العنصري

وفي بعض الحالات تقوم السلطات بإجراء عمليات التعقيم لها دون علمها من خلال (ربط قناتي فالوب) مما يؤدي إلى حرمانها من الإنجاب نهائيًا، وبالتالي الحد من التزايد السكاني عند العرب.

مما لا شك فيه أن المرأة الأحوازية ورغم كل الظروف التعسفية التي تعانيها وجميع الجرائم التي ترتكب في حقها، فإنها أثبتت قدراتها في شتى المجالات الثقافية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية حتى في مواجهة التمييز العنصري والخطوط الحمراء الموضوعة من جانب السلطة الحاكمة، إلا أنها تمكنت من تحقيق أهدافها.

ونراها اليوم في مناصب مرموقة منها مثلا مستشارة المحافظ في شؤون النساء والمدير العام لدائرة شؤون النساء في الأحواز الدكتورة موالي عربية والدكتورة رافع مساعد الأمين العام لجمعية الهلال الأحمر في إيران من نساء المحمرة وهي عربية، والسيدة نجاد عضو سابق لشورى البلدية ومدير مسؤول في جريدة أحواز حاليا. والدكتورة نجمة حميد الأستاذة الجامعية الحاصلة على شهادة الدكتوراه في علم النفس وهي أحد أعضاء شورى البلدية سابقا، والسيدة سهام الباجي من أعضاء شورى البلدية في الأحواز حاليا.

ولدينا أستاذات جامعيات ومهندسات ومحاميات ومدرسات ناجحات يعملن إلى جانب الرجل.

ولا ننسى حضور المرأة في عالم الفن والإبداع والأدب فمن الأحوازيات نجد الفنانات والكاتبات والشاعرات اللواتي تركن بصماتهن في الأدب والفن الأحوازي وعبرن من خلال أعمالهن عن قدرة الأحوازية المهمشة على صنع المستحيل رغم أنها لم تدرس بلغتها الأم التي لها دور أساسي في تكوين شخصيتها وبناء كيانها رغم أنها لم تحظى بالظروف الاجتماعية والمادية والسياسية التي تساعد في تنمية الذات والارتقاء بها نحو الأفضل.

المرأة الأحوازية لها دور هام في الحياة الاجتماعية وفي النهوض بالمجتمع رغم أنها مضطرة لأن تمارس عملها في ظل السلطة الحاكمة بالشكل الذي ضبطه وقننه المنهج الفكري الحاكم، وهو ما يحرمها من حرية الرأي والاختيار والتعبير بلغتها الأصلية خاصة في الفضاءات العامة مثل مكان عملها أو ارتداء الزي العربي الذي يظهر هويتها وثقافتها.

وهكذا تجد الأحوازية نفسها مضطهدة في أبسط تفاصيل حياتها اليومية وفي أبسط حقوقها وأين ما تلتفت تجد أمامها الخطوط الحمراء التي فرضتها عليها الحكومة لتقصيها وتبعدها عن ممارسة حقها في الحياة كامرأة وكعربية وكأحوازية.

صور مشوهة عن الذات والعالم والحياة تقبر أحلام أطفال العراق

العراق وطن بلا طفولة

اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 20 نوفمبر 1989، يوما عالميا لإعلان حقوق الطفل، وقدم العالم تعهدا للأطفال "بأن نبذل قصارى جهدنا من أجل حقوقهم في البقاء والنماء وفي التعليم والتحرر من العنف وسوء المعاملة وفي المشاركة وإسماع الصوت". وكانت الجمعية العامة أوصت في عام 1954 من خلال القرار 836، بأن تُقيم جميع البلدان يوما عالميا للطفل وتركت حرية الاختيار لها، واعتمد الأول من يونيو من كل عام يوما عالميا للطفل تحتفل به أغلب دول العالم ومن بينها العراق.

د. قاسم حسين صالح

□ منذ 35 عاما وأطفال العراق ضحايا مفجوعون صامتون. كان أول ما استلب منهم هو حياة الطفولة بمرحها وبهجتها وألعابها وأغانيها، يوم نشوب الحرب العراقية الإيرانية سنة 1980. أذكر أنني كنت عام 1978 عضو لجنة مشرفة على برامج الأطفال في تلفزيون بغداد، تضم أيضا الروائية لطفية الدليمي والكاتب باسم عبدالحميد. كانت برامج الكارتون تنتقى من مناشئ مختلفة: تشيكوسلفاكيا، بولندا، الاتحاد السوفييتي، اليابان، وأميركا. وكانت البرامج المحلية المخصصة للأطفال هي الأخرى ممتازة مثل: لغتنا الجميلة، سينما الأطفال، الشاطر، وبرامج تعليمية أخرى. وكانت أغاني الأطفال تعبّر عن عالم الطفولة ومفرداتها، منها أغنية تقول: "شوفو شحلو بيدي الطباشير.. شوفو شحلو ارسم عصافير.. رسمت وردة.. وفراشة عالحقل تطير".

وكان أخطر خلل سيكولوجي حدث للأطفال المولودين عام 1980 وما بعده، أن تشكّلت لدى هذا الجيل الذي يؤلف حاليا 70 بالمئة من المجتمع العراقي، صورا ذهنية ومعتقدات ومدركات مشوهة بخصوص نفسه والآخرين والعالم والحياة، وأخرى غير سوية بمواصفات الصحة النفسية.ففي السنوات الثماني للحرب العراقية الإيرانية تشكّل لدى الأطفال مفهوم أن العالم عدائي وأن الآخرين يريدون إفناءه. وبمشاهدته لجثث قتلى الحرب بدءا من برنامج "صور من المعركة" في الثمانينات، إلى مشاهد التفجيرات اليومية في المدن العراقية التي صارت تستهدف المدنيين، إلى بشاعة جرائم قطع الرؤوس، تراجعت لدى هذا الجيل "قيمة الحياة" التي كانت مقدسة.

أذكر في الخمسينات حين كنت طفلا، وأنا ابن قرية، حضرت موكب تشييع رجل توفي وهو في السبعين من عمره. كان الجميع يشعر بالأسف والحزن على وفاته. هكذا كان ذلك الجيل الذي لا تتجاوز نسبته حاليا 30 بالمئة، يحترم قيمة الحياة التي انعدمت لدى جيل الشباب، وإلى هذا السبب نعزو جرائم القتل وبشاعة قسوتها في الاحتراب الطائفي التي قامت بها ميليشيات من الشباب.

كنّا نأمل أن تنتهي استلابات الطفولة بسقوط الدكتاتورية، ويعود للطفولة عالمها الذي يشبه عالم العصافير، لكن ما حصل للأطفال في الزمن الديمقراطي كان أفضع وأبشع. فبحسب تقديرات وزارة العمل في 2010، فإن 4,5 مليون طفل فقدوا والديهم أو أحدهما.

يشار إلى أن يتيم الحرب لا يعرف من قتل أباه فيما يتيم الاحتراب الطائفي يعرفه، ولهذا ينشأ لديه دافع الأخذ بالثأر ولن يخف دافع الانتقام لدى هؤلاء اليتامى ما داموا أحياء.

وتشير منظمة اليونسيف إلى أن أطفال العراق يعدّون أكثر أطفال العالم معاناة من الخوف والجوع والفقر جراء العنف والإرهاب والتهجير والإهمال، منذ وقوع العراق تحت الاحتلال، وأن أكثر من 360 ألف طفل يعانون من أمراض نفسية، فيما أفادت ممثلة الأمين العام للأمم المتحدة قبل أربع سنوات أن 50 بالمئة من طلبة المدارس الابتدائية لا يرتادون مدارسهم، و40 بالمئة منهم فقط يحصلون على مياه شرب نظيفة. فيما صار حالهم الآن أقسى بعد التهجير القسري لثلاثة ملايين عراقي.

أطفال العراق يعدون أكثر أطفال العالم معاناة من الخوف والجوع والفقر

ولأول مرّة في العراق تم استخدام الأطفال في أعمال إجرامية بقتل أبناء وطنهم، بدأت بمنظمة طيور الجنة التي شكلتها القاعدة ووصلت الآن إلى قيام داعش بتشكيل أفواج من الأطفال بتدريبهم حتى على قطع الرؤوس. ولأول مرّة أيضا تم بيع أطفال العراق قبل خمس سنوات في دول الجوار وأخرى أوروبية، وأجبرت فتيات بعمر الصبايا على الدعارة، وعرضن للبيع في سوق النخاسة كالفضيحة التي بثها التلفزيون السويدي عام 2013. لتصل الآن إلى بيع الفتيات بعمر ست سنوات بمئتي دولار للإيزدية الواحدة.

ومع كل هذه المصائب، هناك بين السياسيين من يعدّ موضوع الأطفال قضية ثانوية إزاء وطن منكوب وشعب موجوع مفجوع، مع أنه من بين أهم ثلاث قضايا إلى جانب الأمن والخدمات، لسببين: لأنهم أكثر الفئات الاجتماعية التي يجب أن تحظى بالرعاية في أوقات الأزمات والكوارث، ولأن هذا الجيل الصامت الآن، والمأزوم نفسيا، هو الذي سيكون المتكلم الذي سيحدد مستقبل العراق.

لكن واقع الحال يشير إلى أنهم مهملون. والمفارقة أن المسؤولين في الحكومة ليسوا جميعهم جهلة، بل بينهم من جاء من مجتمعات متقدمة لا سيما المجتمع البريطاني.

يعرفون أن الطفل في بريطانيا يخصص له راتب يوم يولد، يوضع في البنك ويستلمه حين يكمل السابعة عشرة مع الأرباح المتراكمة، فضلا عن تأمين صحي واجتماعي، فلماذا لم يتعلموا هذا العمل النبيل من بريطانيا التي عاشوا فيها سنين ويحملون جنسيات تؤكد انتماءهم لمجتمع متحضر؟

لا تفسير لهذا الإهمال سوى أن الذين صاروا في السلطة وفروا الرفاهية لأطفالهم وأمّنوا مستقبلهم، وما عاد يعنيهم بؤس وشقاء ملايين الأطفال. بل إن لديهم من قساوة القلب وموت الضمير ودناءة النفس ما يسمح لهم بسرقة مخصصات النازحين. وعجبي كيف أن الممثلة الأميركية، أنجلينا جولي، بكت حين شاهدت أطفالنا النازحين، وما اهتزت شواربهم على أطفال أهلهم وكأن الغيرة العراقية قد مسحوها من جبينهم بورق التواليت.

اللعنة منا عليكم.. مباشرة وبالوجه.. وأخرى مؤجلة.. تأتيكم من جيل الأطفال هذا يوم تغادرون السلطة والدنيا.

* رئيس ومؤسس الجمعية النفسية العراقية

50
بالمئة من طلبة المدارس الابتدائية لا يرتادون مدارسهم، و40 بالمئة منهم فقط يحصلون على مياه شرب نظيفة

طبق اليوم

لفائف الباذنجان بالجبن

المكونات:

- 2 حبات باذنجان كبيرتان
- ثوم مفروم
- حبة طماطم
- باقة بقدونس صغيرة، مفرومة
- 100 غرام زيتون أسود منزوع البذور مقطع خشناً
- 100 غرام كعك مدقوق
- 100 غرام جبنة البارميزان مبشورة
- 200 مليلتر زيت زيتون
- فلفل أسود حسب الرغبة
- ملح حسب الرغبة

طريقة الإعداد:

- يقطع الباذنجان إلى شرائح طولية سمكها 2 مليمتر، ترش بالملح من كلا الجانبين وتترك لمدة 40 دقيقة ثم تصفى من الماء الزائد.
- تقشر الطماطم وتنزع البذور ثم تقطع بشكل ناعم.

يمزج الثوم مع الكعك المدقوق والطماطم والزيتون ونصف كمية الجبنة ونصف كوب زيت.

- يوزع المزيج على الشرائح بمقدار ملعقة طعام لكل شريحة باذنجان، تلف الشريحة وتثبته بعود أسنان.
- تدهن صينية فرن بـ2 ملاعق طعام زيت زيتون ثم توضع اللفائف في الصينية، تدهن اللفائف بما تبقى من الزيت وينثر ما تبقى من الجبن فوق اللفائف وتخبز لمدة 15 دقيقة في درجة حرارة 180 مئوية.
- يقدم الطبق ساخنا أو باردا.

موضة

قفطان مغربي يمزج بين النعومة والفخامة

□ كشفت مصممة الأزياء المغربية سلمى بن عمر عن مجموعتها الجديدة لشهر رمضان والتي تميزت بطابع متفرّد مزج بين الأصالة والسحر المغربي.

مزجت بن عمر في هذه المجموعة المكونة من 20 قطعة بين النعومة والفخامة، مستخدمة عدة أنواع من الأقمشة من بينها الشيفون والكريب الخفيف لتتلاءم مع فصل الصيف وأجوائه الحارة مستعينة بألوان الصيف الخفيفة كالأخضر الفاتح، البيج. وترى سلمى أن التطريزات والأقمشة المستخدمة من أهم عوامل التفرقة بين القفطان يومي والمخصص للمناسبات. وأشارت بن عمر إلى أن الاختلاف يكمن في التفاصيل التي تتخلل كل منهما؛ فاليومي يكون خفيف ومكون من قطعة واحدة خالية من التطريزات، ولكنه يتجه أكثر الى وجود بعض الرسومات والشغل المغربي التقليدي كاستخدام "السفيفة"، أما قفطان المناسبات فهو يحتوي على تطريزات بشكل أكبر ويصمم كقطعة واحدة أو قطعتين حسب الطلب.

وأوضحت قائلة "تعد التطريزات من أهم ما يميز قفطان المناسبات، ولكنني في الحقيقة لا أحبذ المبالغة في استخدام الكريستال كي لا يفقد نعومته وقيمته".

أين تجد نفسك

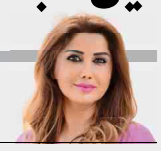

د. ناديا بوهناد

□ اتصل بي صديق يوم الخميس الماضي مستغربا عدم خروجي للسهر كما هو معتاد مع نهاية الأسبوع، وخاصة في مدينة دبي التي لا تنام خلال إجازات نهايات الأسبوع، فأخبرته كم أتوق للاختلاء بنفسي خلال الأسبوع وأجملها لديّ نهايات الأسبوع لكن ليس دائما، فحتى يوم الجمعة الذي هو ملكي أنا فقط أجدني أكتب مقالي الأسبوعي وأحيانا أقرأ وأخرى أنام، هو يوم لراحتي الجسدية والنفسية. وعندما سألته أين هي سهرته تلك الليلة، فاجأني عندما قال إنه يرتاد مقهى صغيرا في منطقة بين ديرة وبردبي تقع بالقرب من الخور، مقهى بسيط يرتاده البسطاء من الناس وفي معظم الأحيان هذا المقهى غير مكتظ بالزبائن لأنه بسيط في تصميمه ومقاعده وما يقدمه من شراب ساخن. قال لي صديقي بهدوء "هنا أجد نفسي يا دكتورة"، فاستوقفتني تلك العبارة وسألته عن السبب، فذكر أنه قضى سنوات طويلة من طفولته في هذه المنطقة ومناطق أخرى قريبة مع والده. فعندما كان صغيرا كان والده يصطحبه لزيارة المحلات التي كان يمتلكها ويديرها من الصباح حتى المساء، يشرف على كل أعماله بنفسه وكان يُعلّم أولاده المهنة من خلال اصطحابهم معه.

تمر الأيام والسنوات ويحذو الابن حذو والده ويُصبح تاجرا. صديقي هذا يملك ثروة جيدة تعب عليها ولا يزال يعمل بجد، ويمتلك منزلا رائعا تخيلت وأنا أجول فيه وكأنني في بيت من بيوت العصر الأندلسي ويمتلك سيارات كل واحدة أجمل من الأخرى، والأجمل أن لديه زوجة وأطفالا ما رأيت أروع منهم في سمو الأخلاق والتواصل مع الناس. وعلى الرغم من كل هذا صديقي يختلف عن باقي الناس فهو لا يجد نفسه بين الترف والفخامة بقدر ما يجد نفسه بين البساطة والعراقة وذكريات الماضي الجميل. وكما وصف جلال الدين الرومي "لعل الأشياء البسيطة هي أكثر الأشياء تميزا ولكن ليست كل عين ترى".

يقول إنه لا يُحسن التواصل مع الناس المزيفين، وما أكثرهم يا صديقي فقد أصبحوا غالبية عظمى لا يُنافسهم أحد فكل ما يجري في حياتنا اليومية يحدث بسببهم ومن أجلهم حتى أن المعايير الاجتماعية تحددت بهم ولهم. الكل يبحث عن البريق سواء فيمن حوله من الناس أو فيما يملك وحتى الأعمال الخيرية إن لم يتم ربطها بالمزيفين لا يقدم عليها أحد. أتفهّم ما يعنيه ويُعانيه صديقي، فأحيانا كثيرة سبب عدم حضور الأشخاص لبعض المناسبات لا يكون لانطوائهم أو لنقص في مهارات التواصل لديهم، بل في الغالب يكون لعدم تحملهم لازدواجية المعايير والمشاعر الزائفة التي يُظهرها أغلب الحضور، وأقسى ما يمكن أن يمر به الإنسان هو عندما لا يكون نفسه، تلك القسوة التي لا يشعر بها إلا من كان يوما ما من المزيفين واستيقظ.

> ليس علينا أن نفسر ونشرح للآخرين ماهية حياتنا ليفهموها إنما علينا أن نعيش بالطريقة التي تناسبنا طالما لا نؤذي بها غيرنا

ليس فقط صديقي هو من يجد نفسه بعيدا عن الزيف والتقليد بل لو نظرنا حولنا اليوم زادت هي الجلسات الروحانية المعنية بالتواصل مع الذات مثل التأمل واكتشاف الذات، الكثير ممن يبحث عن ذاته هو من النساء، وأعرف العديد ممن يواظبن على حلقات الدروس الروحانية والزهد. فليس بالضرورة أن يجد الشخص نفسه ويتواصل مع الخالق من خلال الطقوس الدينية الروتينية لأنها أصبحت روتينية لا روح فيها. هناك الكثير ممن يريد أن يتمسك بتلك القشة التي سوف تنقذه من أن يغرق أو ينصهر مع متطلبات العصر الافتراضية، فما عادت الأمور كما كانت عليه.

الواقع يقول إننا لا نستطيع أن نزهد بشكل كامل ونبتعد عن الجميع إنما علينا أن نكسر روتين اللحاق وراء الركب وذلك بالتواجد في الأماكن التي نجد أنفسنا فيها، أو بالقيام بالأعمال التي نجد أنفسنا فيها تماما كما تعمل صديقتي المعالجة النفسية حيث يستهويها العمل مع الطبيعة فها هي خلال السنوات الأخيرة تسافر مرتين إلى ثلاث مرات إلى جبال الألب تتعلم مهارات النحت على الخشب لمدة أيام وتعود لتمارس عملها كباقي البشر، هي مثلي ومثل صديقي نتوقف لإعادة التوازن الداخلي ثم العودة للحياة بتناقضاتها المنهكة والجميلة.

ليس علينا أن نُفسر ونشرح للآخرين ماهية حياتنا ليفهموها إنما علينا أن نعيش بالطريقة التي تُناسبنا طالما لا نؤذي بها غيرنا. ليس علينا أن نُطلق أحكاما ولا أن نقبل أحكاما مطلقة ممن حولنا من يعرفنا أو لا يعرفنا. أن تُبحر في داخلك وتتعرف على نفسك وتحمد الخالق هو أحد الوسائل الرائعة والبسيطة للتواصل مع الله.

وعودة لوصف الصوفي جلال الدين الرومي "فقط حين تفعل ما تمليه عليك روحك، تشعر بهذا النهر العذب يتدفق داخلك، إنها البهجة الخالصة".

أنا أجد نفسي عندما أختلي بها، فاختلائي بنفسي يجعلني في حالة اختلاء روحاني مع الله أكون فيها على طبيعتي وفطرتي الإيجابية، فأنا لا يفهمني إلا من خلقني، وأنت أين تجد نفسك؟

*استشارية نفسية وكاتبة من الإمارات

الساحر الصغير يحمل لواء البرازيل في كوبا أميركا

نيمار يعشق التتويجات ويسعى إلى الظفر بالذهب القاري

يحمل البرازيلي نيمار لاعب برشلونة الأسباني على كتفيه الصغيرين آمال وأحلام عشاق السامبا، خلال مشاركة المنتخب البرازيلي في بطولة كوبا أميركا، التي ستنطلق بعد أيام قليلة في تشيلي.

□ برازيليا – المنتخب البرازيلي هو منتخب كل النجوم بامتياز، إذ يضم في صفوفه نخبة من أفضل لاعبي كرة القدم في العالم، يتقدمهم نجم برشلونة الأسباني والقائد الحالي للسامبا نيمار داسيلفا. ويملك المنتخب البرازيلي لاعبين أفذاذا في الخطوط الثلاثة، ففي الدفاع نجد ثنائي باريس سان جرمان الفرنسي تياغو سيلفا ودافيد لويز ولاعب برشلونة داني ألفيس، وفي وسط الميدان يبرز لاعب تشيلسي ويليان ونجم مانشستر سيتي فرناندينيو وصانع ألعاب ليفربول فيليبي كوتينيو.

ويعتبر نيمار هو نجم الشباك الأول لراقصي السامبا في البطولة، فرغم صغر سنه (23 عاما) إلا أنه من طينة العمالقة البرازيليين بيليه، وزيكو، وروماريو، ورونالدو، وريفالدو، ورونالدينيو، وكاكا، وذلك بسبب أهدافه الدولية الغزيرة التي بلغت 43 هدفا متفوقا على كثير من الكبار.

ويعشق الفتى الذهبي للبرازيل التحديات والبطولات الكبرى، وقد وضح ذلك أثناء قيادته لهجوم السليساو في البطولات العالمية التي شارك فيها، حيث قاد منتخب الراقصين لإحراز كأس العالم للقارات بعد الثلاثية في النهائي أمام أسبانيا، ثم حمل على عاتقه أحمال أمة بأسرها في المونديال، وبمجرد ابتعاده بسب الإصابة جاءت الانتكاسة الكبرى أمام ألمانيا بالسباعية الشهيرة في الدور قبل النهائي.

ومن خلال هذا التقرير سنسرد لماذا أصبح نيمار الأمل الأول للبرازيليين في كوبا أميركا.

النضج الكروي

منذ أن كان نيمار لاعبا ناشئا أقنع الجميع بأنه لاعب مؤثر، وقاد البرازيل لإحراز لقب بطولة أميركا الجنوبية تحت 20 عاما، وهو ما يبحث عن تكراره مع المنتخب الأول في تشيلي، ثم أحرز فضية أولمبياد لندن وهو 20 عاما فقط لينتظر الجميع اكتسابه الخبرة لإعادة أمجاد ملوك اللعبة مرة أخرى.

في السنوات الأخيرة أصبح أكثر نضجا، بعد أن خاض تجربة الاحتراف الأوروبي مع العملاق الكتالوني، ووضح تطور أدائه مع المنتخب، عندما قاده للفوز بكأس القارات، وكان بمثابة القائد الخفي للمنتخب ومحرك الأحداث داخل الملعب في مونديال 2014، ليعلم الجميع أن الفتى الصغير أصبح حامل لواء الإمتاع والإبداع لراقصي السامبا بعد أن ثقلت خبرته، واستطاع مواجهة الضغوط الملقاة على عاتقه.

المتابع لبدايات نيمار يعلم أنه موهوب بالفطرة، فلا تتوقع ما يفعله عندما يستلم الكرة، فهو يسدد في الوقت الذي يتوقع فيه المنافس أن سيمررها، ويراوغ عندما ينتظر الجميع أن يسددها، فهو من طينة الموهوبين المتفردين في عالم الساحرة المستديرة.

> نجاح المنتخب البرازيلي وسيطرته على المشهد العالمي لا ينسحب بالضرورة على سجلاته في كوبا أميركا، فهو ثالث المنتخبات تتويجا بالذهب القاري برصيد 8 ألقاب خلف الأرجنتين الثانية بـ14 لقبا والأوروغواي الأولى بـ15 لقبا

الجمهور البرازيلي لا يقتنع دائما بالفوز فقط، ولكنه يبحث دائما عن لاعب يشبع رغباته الفنية بلمسات ومراوغات ساحرة، وهو ما يتمتع به هذا اللاعب فعندما كان طفلا صغيرا كان يرتب الأثاث في المنزل، ويبدأ في المرور بينه بطريقة فنية، واستطاع اكتساب الدقة في التسديد سواء من الوضع متحركا أو ثابتا ليصبح أحد اللاعبين الذين يجيدون التسديد والمراوغة، وصناعة الأهداف في نفس التوقيت.. فهو في النهاية كوكتيل مواهب قادر على الحسم في أجزاء من الثانية.

المنتخب البرازيلي هو أشهر المنتخبات العالمية وأكثرها نجاحا في بطولة كأس العالم، إذ توّج باللقب العالمي 5 مرات أعوام 1958 و1962 و1970 و1994 و2002.

نجاح المنتخب البرازيلي وسيطرته على المشهد العالمي لا ينسحب بالضرورة على سجلاته في كوبا أميركا، فهو ثالث المنتخبات تتويجا بالذهب القاري برصيد 8 ألقاب خلف الأرجنتين الثانية بـ14 لقبا والأوروغواي الأولى بـ15 لقبا.

منتخب "السامبا" هو ثالث أكثر منتخبات أميركا الجنوبية حضورا في العرس القاري، إذ يأتي ثالثا بعد الأرجنتين الثانية بـ39 مشاركة والأوروغواي الثانية بـ41 مشاركة.

في مشاركاته الـ33 السابقة لم يخرج المنتخب البرازيلي من دور المجموعات إلا في مناسبة وحيدة، كانت عام 1987 في البطولة التي استضافتها الأرجنتين.

ولم ينتظر هذا المنتخب طويلا للفوز باللقب، إذ تمكن من ترويض الكأس العملاقة في ثالث مشاركاته عام 1919، عندما تصدر مجموعة التتويج على حساب أوروغواي والأرجنتين وتشيلي في البطولة التي استضافها على أراضيه.

بطولة مثيرة

مع بداية القرن العشرين ومع انتشار كرة القدم وزيادة شعبيتها في أماكن عديدة من العالم، بدأت قارة أميركا الجنوبية منبع المهارة والفن الكروي الجميل مرحلة البحث عن بطولة دولية تتنافس فيها منتخبات دول هذه القارة.

وكان للأرجنتين كلمة السبق في إقامة هذه البطولة وذلك في عام 1910 بمناسبة مرور مئة عام على الثورة الأرجنتينية. وإلى جانب المنتخب الأرجنتيني، شارك في هذه البطولة منتخبا تشيلي وأوروغواي.

ولكنها لم تكن البطولة التي تصبو إليها هذه القارة التي كانت ولا تزال المصدر الرئيسي لأبرز المواهب الكروية في العالم خاصة وأنها أقيمت قبل تأسيس اتحاد كرة القدم في أميركا الجنوبية (كونميبول).

وفي عام 1916، استغلت الأرجنتين احتفالاتها المئوية باستقلالها وقدمت ضربة البداية لأقدم بطولة دولية لكرة القدم في العالم، حيث استضافت النسخة الأولى لبطولة كأس أمم أميركا الجنوبية تحت مسمى "بطولة أميركا الجنوبية للمنتخبات" وذلك في الفترة من الثاني إلى الـ17 من يوليو بمشاركة منتخبات الأرجنتين وتشيلي وأوروغواي والبرازيل.

وتوج منتخب أوروغواي بلقب البطولة بتعادله السلبي مع أصحاب الأرض في الجولة الأخيرة من مباريات البطولة التي حققت نجاحا كبيرا لتكون دفعة قوية إلى تزايد عدد المنتخبات المشاركة فيها واستمرار إقامتها في السنوات التالية حتى 1929 بشكل سنوي باستثناء عامي 1918 و1929.

ومع إقامة بطولة كأس العالم الأولى في أوروغواي عام 1930 بعد منافسة شرسة مع الأرجنتين على حق الاستضافة، تسبب النزاع بين اتحادي كرة القدم بالبلدين في عدم إقامة البطولة القارية حتى عادت إليها الحياة عام 1935.

وعانت البطولة من مشكلة عدم إقامتها بشكل دوري منتظم مما دفع البعض إلى اعتبار عدد من نسخها غير رسمية خاصة مع إقامتها بشكل سنوي أحيانا ثم كل عامين وكل ثلاثة أعوام وأحيانا كل أربعة أعوام وذلك حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي.

وخلال هذه الفترة، لم تول بعض المنتخبات الأهمية المطلوبة لهذه البطولة، حيث لم تكن مشاركة هذه المنتخبات بشكل منتظم رغم إقامة البطولة دون تصفيات في ظل اقتصار الاتحادات الأهلية الأعضاء في الكونميبول على عدد صغير للغاية. ونجح المنتخب الأرجنتيني في ترك بصمة واضحة في تاريخ البطولة في منتصف الأربعينات من خلال الفوز بلقب البطولة ثلاث مرات متتالية أعوام 1945 و1946 و1947 ليصبح أول فريق يتوج بلقب البطولة ثلاث مرات متتالية.

> الجمهور البرازيلي لا يقتنع بالفوز فقط، ولكنه يبحث دائما عن لاعب يشبع رغباته الفنية بلمسات ومراوغات ساحرة، وهو ما يتمتع به نيمار

وخلال فترة الستينات، أقيمت البطولة مرتين فقط في عامي 1963 و1967 ولم تستأنف إلا في عام 1975 بعد توقف دام ثماني سنوات وذلك تحت اسم جديد هو اسمها الحالي (كوبا أميركا).

وظلت البطولة تقام كل أربع سنوات حتى عام 1987 رغم عدم إقامتها بطريقة البطولات السابقة المجمعة، حيث كانت تقام بنظام الذهاب والإياب بعد تقسيم المنتخبات التسعة المشاركة إلى مجموعات فيما يتأهل حامل اللقب إلى المربع الذهبي مباشرة.

ولكن الكونميبول قرر في عام 1986 عدم استمرار البطولة بهذا الشكل وأن تعود لنظام إقامتها بطريقة البطولة المجمعة في إحدى الدول بطريقة المداورة بين الدول العشر الأعضاء في الكونميبول على أن تقام البطولة كل عامين.

وساهم هذا التطور في زيادة بريقها بالإضافة إلى بدء بث مبارياتها تلفزيونيا في أوروبا وأميركا الشمالية.

كما بدأ الكونميبول في منتصف التسعينات من القرن الماضي في دعوة منتخبات من خارج القارة للمشاركة في البطولة.

وبدأت الدعوة بالمنتخبين الأميركي والمكسيكي ليصبح عدد المنتخبات المشاركة في الدور الأول للبطولة 12 منتخبا.

وفي نفس الوقت، بدأ المنتخب البرازيلي في فرض سطوته على البطولة، حيث توج باللقب أربع مرات من بين خمس بطولات أقيمت بين عامي 1997 و2007.

وجاء آخر هذه الألقاب الأربعة في بطولة 2007 بفنزويلا من خلال فوز المنتخب البرازيلي على نظيره الأرجنتيني 3–0 في المباراة النهائية مما يشعل المنافسة بين المنتخبين ومنتخب أوروغواي، الفائز بلقب البطولة عام 2011 بالأرجنتين، في البطولة الجديدة التي تستضيفها تشيلي من 11 يونيو الحالي إلى الرابع من يوليو المقبل.

أرقام وإحصاءات

◄ عندما تتحدث لغة الأرقام عن نيمار، فإنها ستقول كلمتها بأنه سيكون الأبرز في تاريخ الكرة البرازيلية، فاللاعب الذي ما زال يبلغ من العمر 23 عاما، استطاع التفوق على عمالقة أنهوا تاريخهم مع السيلساو، فقد أحرز 43 هدفا خلال مسيرته الدولية حتى الآن، ليصبح خامس هداف في تاريخ السامبا ويسبقه بيليه 77 هدفا والأسطورة رونالدو 62 هدفا، وروماريو 55 هدفا، وزيكو 48 هدفا، وهو ما يعني أن الفتى البرازيلي أصبح قريبا من تخطي العمالقة والقفز إلى المقدمة.

دونغا المدير الفني للبرازيل يعلم جيدا أن نيمار هو الورقة الرابحة في فريقه، ورغم إصراره أن يتحدث عن المجموعة فقط إلا أنه في النهاية يعطي الموهبة قدرها، ويمنح نيمار حرية التحرك وإحراز الأهداف فيكفي أنه سجل 7 أهداف في مباراتين وديتين مؤخرا برباعية في اليابان وثلاثية في فرنسا، ولذلك سيكون أمل البرازيليين في إحراز بطولة كوبا أميركا.

مفاجأة.. بلاتر يتلاعب بالألفاظ لتجنب استخدام كلمة الاستقالة

مونديال قطر على المحك وروسيا صعبة المنال

بدهاء الثعلب الذي يعرف متى يجب التراجع عن غنائمه، نجح السويسري جوزيف سيب بلاتر رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم من جديد في إدارة عواصف الهجوم التي تعرض لها مؤخرا، واضطرته للدعوة لجمعية عمومية غير عادية للفيفا للبحث في رئاسته للمنظمة الدولية.

بهاء الدين يوسف

مونديالا روسيا وقطر يقوضان عرش بلاتر

علمت "العرب" من مصادر عايشت كواليس الانتخابات التي أقيمت في مقر الاتحاد الدولي لكرة القدم بزيوريخ الأسبوع الماضي وأسفرت عن فوز بلاتر، بأن السويسري كعادته ناور ببيانه الذي أصدره، ويصعب اعتبار ما قاله استقالة صريحة، بعكس ما فهمها الكثيرون، كما أن المناورة تظهر بوضوح أكبر في إصراره على البقاء في منصبه حتى موعد انعقاد الجمعية العمومية المنتظرة، خلاف ما أوردته بعض وكالات الأنباء عن تولي عيسى حياتو مهام بلاتر بشكل مؤقت باعتباره النائب الأول له.

بلاتر تجنب استخدام كلمة استقالة، بدلا من ذلك استخدم عبارة مطاطية يمكن تفسيرها على أكثر من وجه، حيث قال (أسلم تفويضي) إلى جمعية عمومية غير عادية.

واللافت أن أغلب من تعاملوا مع الخبر، أردفوه بخبر ثان عن تولي الكاميروني عيسى حياتو رئيس الاتحاد الأفريقي لكرة القدم والنائب الأول لرئيس الفيفا مهام بلاتر بشكل مؤقت، حتى انعقاد الجمعية العمومية التي رجحت أن تقام ما بين ديسمبر 2015 ومارس 2016، وتم تغافل تأكيد بلاتر في بيانه أنه مستمر في عمله على رأس الفيفا حتى انعقاد الاجتماع غير العادي للجمعية العمومية.

كما استخف البعض -دون حق- بكلمات بلاتر الزئبقية التي تلت إعلان تنحيه، والتي جاء فيها "بما أنني لن أكون مرشحا في الانتخابات، وسأكون متحررا من القيود يمكنني التركيز أكثر على الإصلاحات الجوهرية التي تتجاوز ما قمنا به في السنوات الماضية"، وهي كلمات لا تحمل معنى محددا يمكن محاسبته عليه لاحقا، وتحتمل العديد من المعاني.

مصادر "العرب" أفادت أن بيان بلاتر والظروف التي خرج فيها تحمل علامات مريبة سببت القلق لمسؤولي ملف قطر 2022، حول مصير المونديال الذي نجحوا في الفوز باستضافته، فرغم الضمانات الكبيرة التي حرصوا على تسجيلها في عقد الاستضافة الذي وقعوه مع الفيفا، وأهمها الحصول على تعويضات مالية شبه تعجيزية على الاتحاد الدولي لكرة القدم، إذا قرر سحب الاستضافة لاحقا منها، وهي تعويضات عما تكبدته الحكومة القطرية من تكاليف إنشاء البنى التحتية والملاعب وبقية التجهيزات اللازمة لتنظيم المونديال.

ورأت المصادر أن هذه الضمانات كانت وراء تطمينات وزير الخارجية القطري خالد بن محمد العطية أخيرا بأن سحب تنظيم المونديال من قطر مستحيل، لكن القطريين يعرفون أكثر من غيرهم أن بلاتر لا يؤمن جانبه، خاصة بعد أن اختبروه من قبل، واضطروا للتضحية بابن بلادهم محمد بن همام، الذي تحول من رجل الفيفا القوي والمنافس الشرس لبلاتر في انتخابات 2011، إلى رجل مدان بالفساد وممنوع من تولي أيّ مناصب رياضية رسمية.

ولم تستبعد المصادر وجود اتفاق بين بلاتر وجهات أميركية لضمان خروج آمن له من الفيفا، مقابل أن يسهّل بدوره لهذه الجهات الحصول على ما يثبت وجود عمليات فساد في التصويت على استضافة مونديالي 2018 و2022 في الشهور القليلة المقبلة التي سيمارس فيها عمله المعتاد كرئيس للمنظمة الدولية، وهو ما يمهد لطرح فكرة إعادة التصويت على استضافة البطولتين مجددا.

وفي المقابل أكدت المصادر لـ"العرب" أن مونديال قطر هو الهدف الرئيسي والوحيد لهذه التحركات، أما مونديال روسيا فيعرف مسؤولو الفيفا والمحققون الأميركيون، وكذلك كبار السياسيين الإنكليز الذين لم يشفوا بعد من جراح هزيمة ملف بلادهم أمام الملف الروسي، أن أحدا لا يستطيع سحب تنظيمه من دولة عظمى تملك من "الدبابير" ما تستطيع أن تسبب به الكثير من المشاكل والمتاعب للفيفا وللعديد من الدول الغربية، إذا تجرأت على دخول عشها.

> مصادر «العرب» بالفيفا لا تستبعد وجود اتفاق بين بلاتر وجهات أميركية لضمان خروجه الآمن مقابل تسهيل الحصول على ما يثبت وجود فساد في استضافة مونديالي 2018 و2022

الدوري الإنكليزي.. فخ النجوم

مراد البرهومي

❏ نصيحة لكل لاعب موهوب ولديه كل مقومات النجومية أن يتريث كثيرا ويفكر مليا قبل اتخاذ قرار اللعب في الدوري الإنكليزي الممتاز، فاللعب في "البريميرليغ" ليس بتلك السهولة المتوقعة، وكثير من التجارب أثبتت أن خصوصية المنافسات في الدوري الإنكليزي قد لا تتماشى مع خصال عديد النجوم وربما ينتهي بهم المطاف إلى "حصد" الفشل الذريع ثم الخروج من الباب الصغير.

حديثنا عن الأمر مرده الأساسي ما حصل هذا الموسم مع أربعة لاعبين كانوا إلى زمن قريب نجوما "مرعبة"، تألقوا بشكل لافت قبل أن ينتهي بهم المطاف إلى خوض تحد جديد وصعب للغاية في الدوري الإنكليزي.

ويخص الأمر بشكل أساسي لاعبي مانشستر يونايتد الكولمبي راداميل فالكاو والأرجنتيني أنخل دي ماريا، وكذلك لاعبي تشيلسي المصري أحمد صلاح والكولومبي خوان كواردادو، هؤلاء اللاعبين عانوا كثيرا في موسمهم الأول في إنكلترا، ولم يقدر أيّ منهم على ترك بصمة تذكر، رغم أن قدومهم أثار ضجة كبيرة وأغلبهم قدم بمبالغ كبيرة للغاية.

ففي مانشستر لم يجد دي ماريا النجم السابق لريال مدريد ثوابته، رغم كل الدعم الذي وجده من مدرب النادي لويس فان غال في بداية الموسم، إلا أنه فقد ذلك العنفوان والتوهج الذي عرف به مع الريال وخوّل له أن يكون أحد نجوم المونديال الأخير، لقد لازم اللاعب الأرجنتيني دكّة البدلاء لفترة طويلة، بل إنه عبّر في اليومين الأخيرين عن رغبته وأمنيته في العودة إلى الدوري الإسباني واللعب مرة أخرى لفائدة ريال مدريد.

أما زميله خلال الموسم المنقضي ونعني به فالكاو ذلك "النمر" الكولمبي، فإنه فقد "أنيابه" بمجرد قدومه إلى مانشستر من موناكو الفرنسي، فالكاو الذي تألق بشكل لافت مع بورتو البرتغالي ثم أتليتيكو مدريد الإسباني بشكل خاص، بات في مانشستر لاعبا عاديا ومهاجما لا حول له ولا قوة، لتنتهي تجربة الإعارة بسرعة ويعود أدراجه إلى فريقه الفرنسي موناكو.

ولم تختلف تجربة هذا الثنائي كثيرا عن تجربة ثنائي تشيلسي المصري أحمد صلاح والكولومبي كواردادو، فالأول تنافست من أجله عدة أندية في الموسم قبل الماضي عندما برز كأفضل ما يكون في بازل السويسري، قبل أن يسبق تشيلسي الجميع ويفوز بتوقيعه، بيد أن تجربته الأولى اقتصرت على نصف موسم فقط قبل أن يتوجه إلى الدوري الإيطالي من بوابة فيورنتينا على سبيل الإعارة، ليستعيد "الفرعون" المصري سالف بريقه ونجوميته ويترك بصمة كبيرة وواضحة للغاية رغم تجربته القصيرة في إيطاليا.

أما اللاعب الثاني أي كواردادو فإنه قدم خلال منتصف الموسم وتحديدا في شهر يناير الماضي، وكان يأمل بأن يواصل تألقه ويحقق مكاسب جديدة، غير أن هذا الأمر كان إلى حد الآن مجرد أضغاث أحلام، فالنجم الأول السابق لنادي فيورنتينا لازم دكّة الاحتياطيين ولم يشارك إلا نادرا، وحتى ظهوره كان محتشما للغاية، إذ لم يسجل أيّ هدف ولم يساعد فريقه في أيّ مباراة، رغم أنه كان في السابق صانع انتصارات فيورنتينا وأفراحه.

وقد لا يختلف الأمر كثيرا عما حصل للألماني مسعود أوزيل الذي لم يتمكن بعد موسمين كاملين مع أرسنال أن يعيد إلى الذاكرة نجاحاته السابقة مع ريال مدريد، حيث بات لاعبا عاديا ونزل عدة درجات في سلم الشهرة والنجومية والمجد.

صراحة، لا يمكن أن نجد تفسيرا عمليا لتبرير فشل هؤلاء اللاعبين في التعامل مع خصوصيات الدوري الإنكليزي الممتاز، لكن الثابت أيضا أن لكل لاعب خصاله وميزاته التي يمكن أن تساهم في تألقه ونجاحه مع فريق دون آخر وفي دوري معين، وهما مربط الفرس.

فالدوري الإنكليزي يعتمد أساسا على الفرجة واللياقة البدنية العالية وحسن التعامل مع أجواء المباريات التي تتالى بشكل كبير وفي حيز زمني قصير، وهذا المعطى قد يحول دون تألق بعض اللاعبين الذين تعودوا على نوعية مغايرة تماما وأسلوب لعب مختلف.

في الدوري الإنكليزي يكون التنافس على اللقب غالبا بين ثلاثة أندية أو أربعة في كل موسم، وفي معظم الأحيان تبرز أندية مانشستر يونايتد وتشيلسي ومانشستر سيتي وأرسنال وليفربول ما يضفي على الدوري الممتاز طابعا تنافسيا أكثر قوة وغموضا، قياسا بباقي الدوريات الأخرى على غرار الدوري الألماني الذي يتسيّده عادة بايرن وبدرجة أقل بوروسيا دورتموند، أو الدوري الإيطالي الذي يسيطر عليه يوفنتوس، أو الدوري الإسباني الذي يعرف على امتداد أغلب السنوات الأخيرة سيطرة برشلونة.

فضلا عن ذلك فإن نظرية "النجم" الأوحد والأول تنتفي غالبا لدى أغلب الفرق الإنكليزية، ما يجعل كل لاعب قادم من دوري آخر يكون في أغلب الأحيان في نفس قيمة بقية اللاعبين، والفرق الوحيد يكمن في قيمة العطاء والبذل فوق الميدان.

ومع ذلك تبقى معضلة الدوري الإنكليزي أنه لم يقدر على صنع نجوم للمنتخب الإنكليزي منذ فترة ليست بالهينة.

سيرينا تتوج ببطولة فرنسا للمرة الثالثة

سيرينا ويليامز تفوز باللقب رغم المرض

❏ **باريس** – توجت النجمة الأميركية سيرينا ويليامز، المصنفة الأولى عالميا، ببطولة فرنسا المفتوحة للتنس (رولان غاروس)، ثاني بطولات غراند سلام الأربع الكبرى، للمرة الثالثة في تاريخها عقب فوزها على التشيكية لوسي سافاروفا 6/3 و6/7 و6/2 في المباراة النهائية للمسابقة أمس السبت.

وتغلبت ويليامز (33 عاما)، التي سبق لها التتويج بلقب البطولة عامي 2002 و2013، على معاناتها من نزلة برد شديدة ألمت بها خلال مشاركتها في البطولة.

وأنهت سيرينا بذلك أحلام سافاروفا، المصنفة الثالثة عشرة في البطولة، التي تعد أول لاعبة تشيكية تصل لنهائي البطولة منذ 34 عاما، في مواصلة مفاجآتها في البطولة بعدما أطاحت بالعديد من النجمات البارزات خلال مشوارها نحو النهائي من بينهن الروسية ماريا شارابوفا (حاملة اللقب) والصربية أنا إيفانوفيتش.

وهذا هو اللقب رقم 20 لسيرينا في بطولات "غراند سلام" الأربع الكبرى والسابع والستين خلال مسيرتها الرياضية.

وحافظت اللاعبة الأميركية بهذا الفوز على تفوقها الدائم خلال مواجهاتها المباشرة مع سافاروفا التي تأهلت للمرة الأولى في مسيرتها إلى نهائي إحدى بطولات غراند سلام، بعدما حققت الفوز في جميع المواجهات التسع التي جمعت بينهما حتى الآن. وبفوز سيرينا بلقب فرنسا المفتوحة للمرة الثالثة، عقب حصدها للقب عامي 2002 و2013 أصبح بوسعها معادلة رقم شتيفي غراف خلال عصر الاحتراف والتي نالت 22 لقبا للبطولات الأربع الكبرى.

وهكذا تتراجع سيرينا بفارق بطولتين فقط خلف غراف، ومع اقتراب بطولتي ويمبلدون وأميركا المفتوحتين هذا الموسم سيكون بوسع اللاعبة الأميركية وقتها معادلة هذا الرقم.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

«قارئ اللون» معرض بأنامل أطفال أردنيين مكفوفين

تحرم الإعاقات بأنواعها حاملها من ممارسة حياة طبيعية يمكّنه جسمه خلالها من القيام بكل ما يريد، هكذا يمنع ضعف أو اختلال أو فقدان البصر الشخص من الرسم مثلا، غير أن طلبة مكفوفين في الأردن تحدوا وضعيتهم وتمكنوا من ممارسة هوايتهم للفن التشكيلي.

الرغبة في التعبير والإبداع دفعت الأطفال المكفوفين للرسم بأحاسيسهم

❏ **عمان** – "زرتُ الكعبة وشعرت بهيبة المكان وقدسيته، طفت حولها مع والدي وجدتي، لكني لم أرها، وحين عدت لعمان رسمتها بلونها الأسود وبمنتصفها الخطوط الذهبية، والناس بلباس أبيض يطوفون حولها، هكذا وصفوها لي" بهذه الكلمات يبدأ الطالب الكفيف في أكاديمية المكفوفين الأردنيين طارق خميس (11عاماً) حكايته مع الرسم التشكيلي.

هو واحد من بين 21 طالباً نظم لهم الفنان التشكيلي الأردني سهيل بقاعين بالتعاون مع أكاديمية المكفوفين "حكومية"، معرضاً تشكيلياً في عمّان بعنوان "قارئ اللون"، جميعهم يعانون من مشاكل في البصر، بعضهم كفيف بشكل كلي، أو جزئي، وآخر يعاني من ضغط على العين وعلمياً تسمى "غلوكوما"، لكن طارق فقد بصره في الثالثة من عمره، حيث ولد وهو يعاني من وجود ماء على العينين، ليفقد بصره بعد أن أجريت له عدة عمليات، كما تقول والدته.

من جهته يقول طارق إنه يلوّن لوحاته عن طريق حاسة الشم، ولكل لون دلالة لديه، إذ يستخدم ألواناً خاصة للرسم، فالأحمر يتذكر أنه يشير لرائحة الطماطم ويرسم به الورود، والأخضر للنعناع ويرسم به الأعشاب، والأصفر لليمون ويرسم به شعاع الشمس، والبني تشير رائحته لنبتة القرفة البرية ويرسم بها وجوه الناس وسيقان الأشجار.

قصة أخرى ترويها الطالبة أسيل بشار (10 أعوام) وهي مصابة بضغط بالعين يحجب عنها الرؤية بشكل جزئي "غلوكوما"، قائلة إنها تحب أن ترسم لوحات "الأميرة فخر النساء" وهي والدة الأمير رعد بن زيد "ابن عم الملك طلال والد ملك الأردن الراحل الحسين بن طلال". وفخر النساء من أصول تركية عرفت في الأردن باهتمامها بالرسم والفن التشكيلي، ودرست الرسم بدار الفنون بإسطنبول ثم في باريس عام 1927، ولدت عام 1901، وتوفيت 1991.

تقول أسيل إنها ترسم بانتظام لوحات فخر النساء وتشعر أنها تتقنها، وبالفعل كانت رسوم أسيل مطابقة إلى حد كبير مع تلك التي وجدت في كتاب لفخر النساء وقام بتأمينه لها الفنان الأردني سهيل بقاعين.

يقول سهيل بقاعين، الذي أمّن كتاب الأميرة لأسيل إنه يشعر بالفخر في هذا المعرض الذي أقامه لأطفال أرادوا أن يبرقوا للعالم برسائل أنهم قادرون على إيصال أفكارهم المليئة بالمحبة والحياة والشوق للطبيعة وتلمسها.

ويتابع: إنهم يرسمون بشكل جميل ولا أقول ذلك لأرفع من عزيمتهم، إنهم فعلا مبدعون، فقدوا بصرهم وآخر منهم يرى بشكل جزئي، لكنهم يرسمون ببصيرتهم ما يعجز عنه المبصرون.

ويقول مسؤول العلاقات العامة في أكاديمية الطلبة المكفوفين، أحمد قوقزة ولديه طفلان يدرسان فيها: إن المعرض مكّن الطلبة من معرفة جديدة استطاعوا من خلالها التعرف على الألوان، بعدما كانوا يظنون أن الألوان جميعها سوداء أو بيضاء، وهم اليوم أكثر قدرة على رسم الأفكار، حيث كانت رسومهم في السابق لا تحتوي على أفكار، بقدر ما تكون فقط خربشات، لكن اليوم نرى رسائل وأشواقا وحنينا للطبيعة والصداقة في رسوماتهم.

ويعتبر معرض الطلبة المكفوفين الذي يعود ريع رسوماته للطلبة أنفسهم، بحسب الفنان بقاعين، الأول من نوعه في الأردن، ويضم 79 عملا فنيا أنتجها 21 طالبا وطالبة، وبأعمار مختلفة من 9 إلى 15 عاماً، أظهرت الجهد المبذول منهم وكشفت عن إبداعاتهم للجمهور، مع العلم أن المعرض يتواصل إلى يوم الـ17 من يونيو الجاري.

شعبان شهر عبادة وموسم زواج أيضا

❏ **كوناكري** – في غينيا، البلد الذي يدين 95 بالمئة من سكانه بالإسلام، تشهد الفترة الممتدة ما بين منتصف شهر مايو ومنتصف يونيو الجاري الموافقة لشهر شعبان الذي يسبق رمضان المبارك، انتظام عدد كبير من الزيجات.

بوتورابي كامارا، منظمة حفلات زفاف، في ماتوتو، أكبر ضواحي العاصمة الغينية كوناكري، تقول إن "شهر شعبان يمثل شهراً مثالياً للفتيات للزواج". وتضيف "إذا لم تجد الفتاة زوجاً في هذه الفترة، ينبغي عليها أن تنتظر إلى العام المقبل، وهكذا الأمر مع العرسان من الذكور حيث يرغبون في الزواج قبيل شهر رمضان لقضاء هذا الشهر برفقة الزوجة".

ألسيني لي، شاب غيني سيعقد قرانه خلال بضعة أيام، يروي كيف أن الزواج خلال شهر شعبان أصبح "عادة لدى إثنية البوول (رعاة من منطقة غينيا الوسطى).

يقول لي "لقد قام والداي باختيار تاريخ حفل زواجي، وقد أبدت زوجتي المستقبلية موافقتها على ذلك، وعلى أيّ حال أعرف أن هذا الاختيار موفق، فمن الصعب تمضية شهر الصيام بشكل منفرد، دون زوجة تعتني بك وتعد طعام الإفطار والسحور لك". وتعود كامارا لتبين أن شعبان هو الشهر الذي يشهد أكبر عدد من حفلات الزفات في السنة، قائلة "نقوم بتنظيم 3 حفلات زفاف أيام الأحد من شهر شعبان، في نفس الملكية (مساحة تعيش فيها عدة أسر).

وحسب مصدر في بلدية ماتوتو، تشير البيانات إلى أن عدد الزيجات خلال شهر شعبان قد يصل إلى 2000، على كامل الدوائر الأربع للعاصمة كوناكري.

"شعبان هو قطعاً شهر الزواج"، هكذا وصفه مامادو كانا بالدي، موظف بالحالة المدنية عن دائرة راتوما. ويقول "منذ مطلع عام 2015، سجلنا 139 زيجة في شهر يونيو، و115 في فبراير. أما مايو فقد شهد انتظام 246 زيجة، وإن سرنا على هذه الوتيرة سنصل إلى 520 زيجة".

ووفق بالدي "يدين 95 بالمئة من الغينيين بالإسلام، وينتظر الجميع اقتراب شهر رمضان لعقد قرانهم".

الملكة ليتيسيا تتألق بالأبيض

❏ **مدريد** – احتفلت المملكة الأسبانية أمس السبت باليوم الوطني للقوات المسلحة وأقيمت مراسم الاحتفال في العاصمة مدريد بعروض للجيش الأسباني وبحضور الملك فيليب السادس وزوجته الملكة ليتيسيا.

وكعادتها لفتت الملكة المشهورة بأناقتها وجمالها الأنظار وعدسات المصورين.

وتثير الملكة ليتيسيا اهتمام الصحافة العالمية ليس فقط لأناقتها وحضورها اللافت في جميع المناسبات المحلية والدولية بل أيضا لأنها أول أميرة وملكة في أسبانيا تنتمي إلى أسرة من عامة الشعب وليست من أسرة ملكية وقد كانت تعمل صحفية حين تعرف عليها الملك فيليب وتزوجها عام 2004.

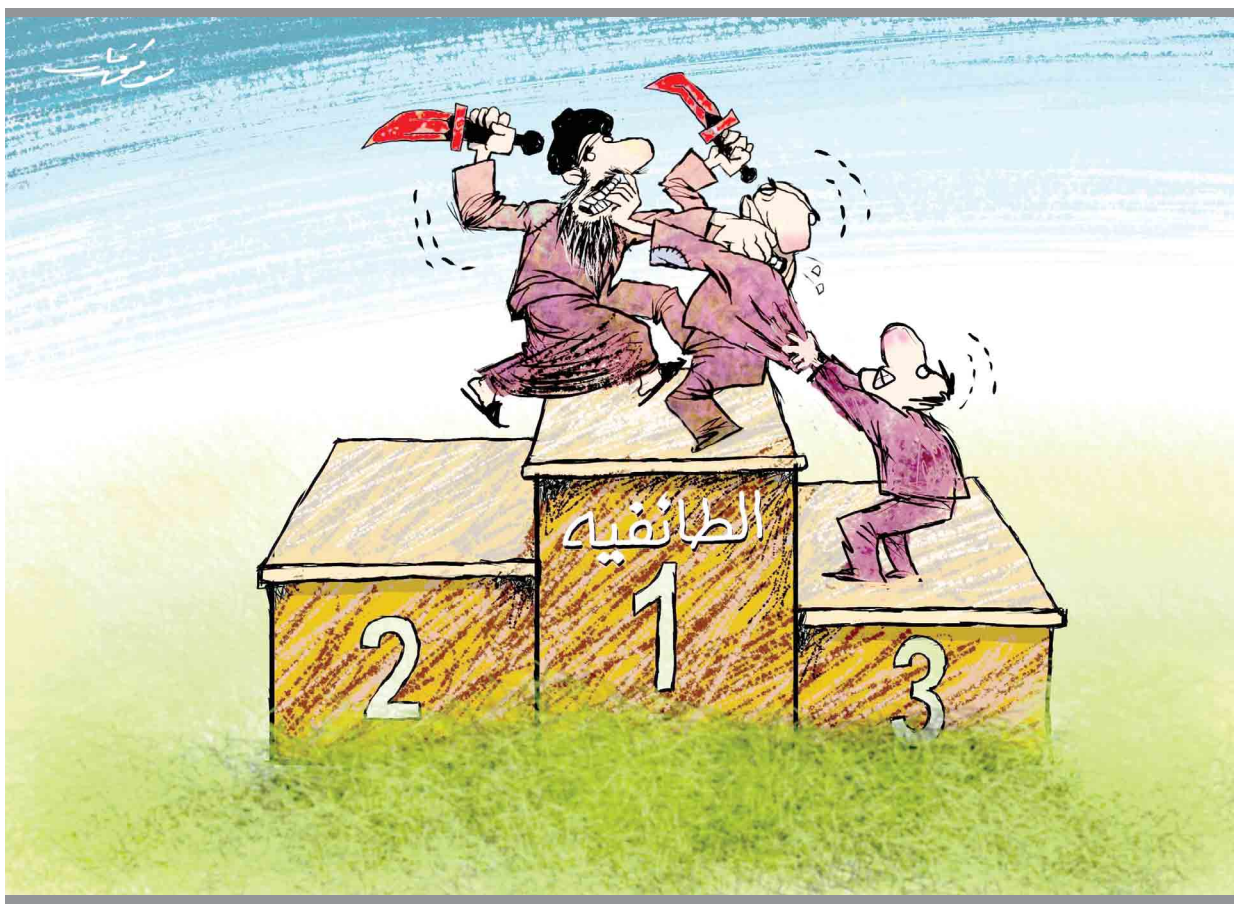

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

حكومتنا الذكية

❏ فيلمان شهيران في السينما المصرية الأول "حياة أو موت" لمديحة يسري وعماد حمدي عام 1955 والثاني "الجزيرة" لأحمد السقا عام 2007 يفرق بينهما 52 عاما تغيرت فيها مصر.

والآن في 2015 أصبحنا أسوأ. اخترت الفيلمين لأن أولهما يظهر الحكومة مهتمة بالمواطن وراحته لدرجة أنها قطعت الإرسال الإذاعي لتذيع نداء إلى بطل الفيلم (عماد حمدي) الذي جسد شخصية مواطن مريض اسمه أحمد إبراهيم أرسل ابنته لشراء دواء من الصيدلية فأخطأ الصيدلي وأعطاها سما.

المشهد العبقري كان لجميع أجهزة الراديو في برّ مصر تذيع في وقت واحد وعلى فترات متتالية ما يلي "من حكمدار بوليس العاصمة إلى أحمد إبراهيم القاطن بدير النحاس لا تشرب الدواء الذي أرسلت ابنتك لإحضاره ففيه سم قاتل.. اتصل بالحكمدارية عند سماعك هذا البيان". هكذا كانت أخلاق الحكومة قديما. راحة المواطن أولوية تجند جهازها الإعلامي الوحيد لإنقاذ حياة إنسان لكن بعد التدهور الذي شهدناه، ظهر على لسان أحمد السقا بطل فيلم "الجزيرة" شعار المرحلة وهو "من النهار دا ما فيش حكومة.. أنا الحكومة" يعني أن كل شخص يستطيع أن يفعل ما يريد سواء كان مجرما أو مسؤولا أو مخالفا للقوانين والقواعد، كل مصري أصبح رئيس جمهورية نفسه. مؤخرا استوقفني خبر يقول إن الهيئة القومية لمترو الأنفاق قررت تشغيل خدمة الواتس آب مترو على خط ساخن 16048 لتسهل على الركاب تصوير أو إرسال أيّ بلاغ أو مخالفة داخل المترو للتواصل مع الإدارة. وأضاف البيان أن هذه خدمة ذكية جديدة تقدمها الحكومة للمواطنين.. والحقيقة أنها خدمة غبية فكل قطارات مترو الأنفاق لا تعمل فيها أيّ شبكة من شبكات الجوال المصرية فكيف سنفعّل خدمة الواتس آب؟ حكومتنا الذكية أيضا ابتكرت خدمة جديدة وهي إرسال رسائل نصية لحاجزي الشقق التعاونية المتعثرين في سداد أقساط الشقة وهي "صباح الخير تم سحب الشقة رقم كذا منكم". الحكومة لا يهمها إن كان المواطن لا يجد قوت يومه وساكن عند حماته طالما أن هناك غيره يدفع حتى لو كان لصا. المهم أنه ملتزم. وطبيعي لأن المصريين دمهم خفيف وأولاد نكتة فكانوا يردون على الرسائل التي تصلهم بسحب الشقق منهم بـ"إلاهي تسحب روحكم يا قادر يا كريم".

آخر تصرفات الحكومة الذكية أن التليفزيون الرسمي الحكومي والمفروض أنه الأقدر على فهم الحالة الاقتصادية السيئة للمصريين، قرر أن يقدم ريجيما صحيا في رمضان من اللحوم والفواكه والأسماك. الوجبة الواحدة تتعدى 150 جنيها يعني الإفطار والسحور بـ300 جنيه أي 9 آلاف جنيه في الشهر الكريم. ومرتب وكيل الوزارة في مصر ثلاثة آلاف جنيه. الطريف أن التي ستقدم الريجيم اليومي الأستاذة نجلاء الشرشابي (وزنها 120 كيلوغراما على الأقل) فعلا حكومة ذكية ومفترية!